

الحَوْزَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْجَنَّةِ الْأَشْرَفِ

الْكِتَابُ الثَّانِي

الْبَيْتُ الْحَضَائِرِيُّ وَاللُّغُوتُ الْحَاضِرَةُ لِلْحَوْزَةِ

الدُّعَا

عَبْدُ الْهَادِي الْحَكِيمِي



الْحُزْنَةُ الْعَلَمِيَّةُ فِي الْخَفِّ الشَّرَفِ

الْكِتَابُ الثَّانِي

الْبَيْتُ الْحَضَائِيَّةُ وَاللَّغْوِيَّةُ الْحَاضِرَةُ الْحُزْنَةُ

هوية الكتاب

« اسم الكتاب: الحوزة العلمية في النجف الأشرف / الكتاب الثاني: البيئة الحضارية واللغوية الحاضنة للحوزة.

« المؤلف: د. عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم.

« المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر.

« الطبعة: الثانية.

« سنة الطبع: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م.

« حجم ورق الكتاب: ١٧ × ٢٤ سم (وزيري).

« عدد الصفحات: ٣٤٦.

« الإخراج الفني الداخلي: أحمد الرصافي.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٣٤) لعام (٢٠٢٣)

حقوق الطبع محفوظة

الرقم الدولي: ISBN : 978-9922-700-53-3

الْجُزْءُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْخَفِّ الْأَشْرَفِ

الْكِتَابُ الثَّانِي

الْبَيْتُ الْخَضَائِيُّ وَاللُّغُوتُ الْخَاضِرَةُ لِلْحُزَّةِ

الدُّكْتُور

عَبْدُ الْهَادِي الْحَكِيمِ

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة



الديباجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين وبعد،

فقد تميزت حوزة النجف الأشرف عن أخواتها من حوزات أهل البيت عليه السلام المنتشرة في شرق الأرض وغربها بميزات وخصائص عدة أهلّتها لأن تكون الحوزة الأم لحوزات شيعة أهل البيت عليه السلام في العالم الإسلامي كله على مدى ألف عام باستثناء حقبة محددة، وهو أمر تكاد تجمع عليه العديد من المصادر التاريخية، ويتفق عليه كثير من الباحثين الذين تناولوا تاريخ الحوزات العلمية لشيعة أهل البيت عليه السلام بالوصف والبيان والتوثيق والدراسة.

بيد أن الأمر الملفت للنظر حقاً هو أن البحث عن أسباب تميّز حوزة النجف الأشرف عن غيرها من الحوزات العلمية الأخرى المنتشرة في شرقها وغربها، وتفرّدها فيما تفرّدت به - فاحتلت به مركز الصدارة لهذه الحوزات طوال هذه القرون العديدة - موضوع غير مبحوث عنه، حسب اطلاعي، بسعة وشمول.

لقد تولى (الكتاب الأول) من هذه الموسوعة الإجابة عن سرّ تميّز هذه الحوزة عن غيرها لقرون، فبيّن: أن أول أسباب هذا التميّز، ورأسه، وحامله، وأسه، وعمود خيمته، وركيزة عمارته، هو وجود المرقد الشريف لأمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه البقعة المباركة. والذي لولاه عليه السلام ما كان للنجف الأشرف أن تكون نجفاً (أشرفاً)، ولا أن تكون على ما كانت عليه، حوزة أمّاً للحوزات العلمية كلها، ولما كانت بعد ذلك وتبعاً له قبلة للعلماء والدارسين والمحبين والعشاق والمتصوفة والعرفاء والفلاسفة والمتكلمين والزوار والسائحين والمتعبدین والمتألّهين، القادمين من إثنيات مختلفة، ولغات متعددة، وثقافات متنوعة، وحضارات شتى.

وهذا ما تكفل ببيانه الكتاب (الأول) من كتبي عن الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

أما هذا الكتاب (الثاني) فقد نهض ببيان أسباب مهمة أخرى: من قبيل العمق الحضاري لمدينة النجف الأشرف قبل الإسلام من خلال وراثتها لحضارة، ولغة، وآداب، وتراث وفن مملكة الحيرة، واحتضانها لمراقد بعض أنبياء الله قبل الإسلام، ومن ثم وراثتها لمدرسة الكوفة الإسلامية واللغوية والأدبية والفكرية والعلمية والعقدية بتراتها المكتنز غنى وتنوعاً، وفي مقدمة ذلك فكر وبلاغة وفصاحة وعلم وفقه وشجاعة وعبادة وعدل وقسطاط إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، يوم تشرفت به على أرضها خليفة حقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأميراً للمؤمنين وإماماً للمتقين، وحازت أفضلية تنعمها باختياره لبقعتها المباركة موقداً ومثوى له عليه السلام.

إضافة إلى أن لغة سكان النجف الأشرف هي لغة التشريع الإسلامي: قرآناً عربياً، وسنة شريفة من جهة، ولغة المصادر الأم لكتب ومراجع علوم الشريعة: وفي مقدمتها علوم الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، والرجال، والعقائد، والأدب، والحكمة، والمنطق، وغيرها من العلوم المساعدة الأخرى لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

كما أن طباع أهل النجف الأشرف العربية الأصلية المتشعبة بطباع البادية المتصلة بها، كونها وريثة قسم من عادات وثقافات وقيم وطرائق وأعراف قد تكون هي الأقرب إلى مثيلاتها في زمن التشريع والأزمان المتطبعة به من اللاحقة له، مع اطلاع بدرجة ما ملحوظة على الثقافة المعاصرة وقد تجلى بأبهى صورته بكثرة المكتبات العامة والخاصة، وبكمّ كبير من الموسوعات والكتب والدواوين والدوريات: مخطوطة أو مطبوعة، هذه كلها، وغيرها مما استعرضها هذا الكتاب، هي التي أهلت النجف الأشرف، إضافة لما تقدم في الكتاب الأول، لتكون الحوزة الأم لحوزات أهل البيت عليه السلام في بقاع الأرض المختلفة.

لقد قدّر لحوزة النجف الأشرف أن تزدهر في مدينة ذات بيئة عربية عريقة، ذات ذائقة أدبية واضحة، بنكهة حس شعري متميز، يأتي في مقدمة أسبابه: خلفية مدينة النجف الأشرف الفكرية والأدبية المتقدم ذكرها، والجذور العلمية والأدبية العريقة لأهلها، والتنشئة الدؤوبة لأبنائها منذ نعومة أظفارهم على تذوق الأدب العربي: شعره خاصة ونثره، والحب الواضح والدأب المستمر على الاجتماع والمجالسة والمؤانسة بإنشاد الشعر وقرضه، والزحف الكبير للقبائل العربية عليها في القرون المتأخرة، لاتخاذها موطناً لها ولأجياها العربية اللاحقة، ولأن النجف بعد ذلك كله كانت لمدة طويلة وبقيت حتى وقت قريب أدركناه محطة يرتادها البدو الرحل، وتيمم شطرها القبائل البدوية أو شبهها القادمة من الحجاز وسوريا الكبرى وغيرها لغرض التبضع والتموين.

إن اجتماع ذلك كله وانصهاره بخلفية فكرية، قوامها مصادر الفكر الشيعي الثرية المنفتحة على التيارات المختلفة من جهة، وكون النجف الأشرف مدينة -نشأت منذ أن نشأت- شيعية الهوى تجمع فيها المحبّون والموالون لإمام (البلاغة)،

ومؤسس (نهجها) الفصيح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رغبة في التنعم بقربه، والتلذذ ببركات مجاورته، فأحبت ما أحبّ، وودّت ما ودّ، ناهجة نهج بلاغته، ساعية للتمثل بقيمه، فحازت منه قدر ما استطاعت أن تحوز، ونهلت من فيض عطائه قدر ما استطاعت أن تنهل، إضافة إلى تشرب ثقافتها ولغتها ببديع النسيج العربي العالي المتمثل بالشعر العربي الفصيح كما تقدم، والنثر البليغ الذي تكتنزه (أدعية الصحيفة السجادية) للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام زين العابدين وبقية الأئمة المعصومين عليهم السلام، أدعية مشحونة بمعان سامية، وبلاغة آسرة، وفصاحة فريدة، وعرfan أصيل، ومناجاة موحية، من أمثال (دعاء كميل بن زياد) و(دعاء أبي حمزة الثمالي) و(دعاء البهاء)، ونصوص زيارات تأخذ بمجامع القلوب من أمثال (زيارة أمين الله) و(زيارة الجامعة الكبيرة)، والعديد من أمثالهما، من قبيل خطبتي السيدة الزهراء عليها السلام، تلك الأشعار والأذكار والأدعية والزيارات والابتهالات والمناجاة التي اعتاد أبناء النجف الأشرف على هضمها وتمثلها: حفظاً، وتلاوة دورية، وتكراراً.

فكانت النجف الأشرف لهذا وبهذا وغيره بيئة أدبية شعرية بفصاحة وبلاغة واضحة المعالم، عالية المضامين، جليلة الصور.

إن تلك البيئة الحاضنة بصفاتها المتقدمة، إضافة لما تقدم، مكّنت الحوزة العلمية من تبادل التأثير والتأثير مع محيطها الأدبي العربي، متجلياً ذلك بكثرة الأدباء، بل الشعراء من الحوزويين خاصة، كثرة ملفتة للنظر من جهة، وحفظها ونشرها وصيانتها للغة القرآن الكريم، والحديث الشريف من حملات التتريك والتغريب من جهة أخرى، هذا فضلاً عن دور حوزة النجف الأشرف المتميز في ريادة وتطوير علوم اللغة العربية من زوايا وجهات لم يحفل بمثلها علماء اللغة العربية وفقهائها أنفسهم.

كل ذلك وغيره منح حوزة النجف الأشرف هذا التفرد الأصيل، وخصّصها فجعلها مقراً للمرجعية الدينية العليا لأتباع أهل البيت عليهم السلام في غالب الأزمان والدهور.

أما وقد انتهت بي الديباجة الى ما انتهت إليه، فقد تقاسمت البحث فصول خمسة هي:

الفصل الأول: (العمق الحضاري والأرضية الثقافية للبيئة الحاضنة)، وقد توزعه مبحثان هما: المبحث الأول: بعنوان (العمق الحضاري للنجف الأشرف قبل الإسلام وبعده)، وفيه مطالب ثلاثة هي: (وحدة المثلث الحضاري: الحيرة - الكوفة - النجف الأشرف) و(العمق العربي لمدرسة النجف قبل الإسلام) و(مدرسة النجف الأشرف وريثة مدرستي الكوفة اللغوية والشرعية في العصر الإسلامي). وتقاسم المبحث الثاني من هذا الفصل الموسوم بـ(الأرضية الثقافية المشكّلة للبيئة العربية الحاضنة: المكتبات والدوريات أنموذجاً)، مطلبان هما: (مكتبات النجف الأشرف العامة والخاصة قديماً وحديثاً) و(الدوريات).

أما الفصل الثاني المعنون بـ(الذائقة الشعرية للبيئة الحاضنة)، ففيه مباحث ثلاثة هي: (ولع النجفيين بأدب اللغة العربية عامة، والشعر منها خاصة) و(كثرة أعداد شعراء النجف الأشرف ماضياً وحاضراً) و(عوامل وأسباب نشاط الحركة الأدبية في النجف الأشرف).

في حين تناول الفصل الثالث المعنون بـ(الحوزة والشعر العربي) الذي توزعه: تمهيد، ومباحث خمسة، تشطر كل مبحث منها إلى مطالب عدة. أما المباحث الخمسة التي ضمها الفصل الثالث فهي: (جملة من أسباب إيلاء

حوزة النجف الأشرف الأهمية الكبرى للغة العربية وآدابها وفنونها) و(اهتمام حوزة النجف بالأدب العربي عامة، وبالشعر خاصة في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده) و(اهتمام الحوزويين بالأدب العربي عامة، والشعر منه خاصة في القرن الرابع عشر الهجري) و(اهتمام العلماء بالأدب العربي وخاصة الشعر منه في القرن الخامس عشر الهجري)، وخامس المباحث: (أنشطة أخرى تدل على اهتمام علماء الحوزة بتنشيط الروح الأدبية لطلابها).

ثم استعرض الفصل الرابع المعنون: ب(دور الحوزة في حفظ وحراسة لغة القرآن الكريم)، وتوزعته مباحث عدة هي: (حوزة النجف الأشرف: حاضنة اللغة العربية وحاميتها من محاولات التتريك والعجمة) و(منهج الحوزة الدراسي ولغة التدريس الحوزوية هي اللغة العربية) و(تعريب الحوزة لطلابها الوافدين من غير العرب) و(الحوزويون النجفيون من غير العرب ينظمون الشعر العربي) و(الطلاب العائدون من حوزة النجف يسعون لإعادة إنتاج ما يشبه حوزة النجف الأشرف في بلدانهم) و(حوزة النجف الأشرف تنشر العلوم باللغة العربية في مدن العراق عامة) و(العثمانيون ومحاولاتهم الحثيثة لتتريك العراقيين، وتحويل لغتهم العربية إلى التركية) و(جهود حوزة النجف الأشرف في إفشال مشروع التتريك العثماني).

هذا ما كان من شأن المباحث. أما المطالب المتفرعة عنها، وهي عديدة، فقد تخطيطتها هنا تحاشياً للإطالة.

أما الفصل الخامس الأخير فقد تعنون بعنوان: (دور حوزة النجف الأشرف في زيادة وتطوير علوم اللغة العربية) متطرقاً لبيان مباحث في اللغة العربية تخطت حوزة النجف الأشرف في ريادتها وعمقها حتى ما قدمه علماء اللغة العربية في هذا المجال.

بعدها اختتم الكتاب بخاتمة، فملحق بعنوان: (علماء الدرس اللغوي في النجف الأشرف)، فمصادر البحث ومراجعته.

وليس لي في الختام إلا أن أتقدم بالشكر إلى العتبة الحسينية المقدسة وإلى مؤسسة (رؤاد) على ما بذلته من اهتمام في طباعة هذا الكتاب.

أسأل الله عز وجل العفو والمعافة في الدنيا والآخرة إنه أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عبد الهادي الشير محمد نقي

النجف الأشرف

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

تمهيد

مما لا شك فيه أن حوزة النجف الأشرف تختلف عن غيرها من الحوزات الأخر المشابهة لها في العالم الإسلامي بالعديد من الخصائص والمميزات، رغم تشابه أهداف الحوزات العلمية في كل مكان، ووحدة غاياتها بل ووسائلها الموصلة للغرض المحدد.

تهدف هذه الفصول وبالأخص الفصل الأول والفصل الثاني إلى الوقوف على طبيعة هذا الاختلاف أو بعضه، من خلال إلقاء الضوء على بيئة النجف الأشرف الحاضنة للحوزة؛ كونها كياناً اجتماعياً عربياً، وجذراً تاريخياً حضارياً، وواقعاً ثقافياً معرفياً، ومزاجاً أدبياً شعرياً، وما تمخض عن ذلك كله من تفاعلات مركبة أدت إلى أن تكون حوزة النجف الأشرف ذات خصائص متفردة ميزتها عن حوزات أخرى في أماكن أخرى عديدة.

إن الأرضية المعرفية لمدينة النجف الأشرف قد هيأت الظروف المناسب لحوزتها العلمية فأعانتها على تنشيط الذائقة الفنية لمتسبيها، كونها من المقدمات الدخيلة في عملية الاجتهاد، وساعدتها على تفكيك النسيج الداخلي لمنظومة اللغة العربية، سعياً وراء اكتشاف خصوصيات تراكيب الجملة العربية ومداليلها، وهندسة بنائها وخصوصياته، في محاولة غير مسبوقة من حوزة النجف الأشرف حتى من قبل المتخصصين في النحو العربي، للوصول إلى فهم أدق لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، واستكناه أجلى لنصوصهما المقدسة، باعتبار

ذلك مقدمة لا يستغنى عنها لاستنباط الأحكام الشرعية منها، قرآنًا كريماً وسنة شريفة، بدقة أكبر، وغوص أعمق في التراكم اللغوية للجملة العربية الحاملة للمضامين الشرعية، وهو ما يستدعي من الفقيه بذل الجهد واستفراغ الوسع في استنباط تلك المضامين من النصوص الشرعية العربية الشريفة.





الفصل الأول

العمق الحضاري والأرضية الثقافية للبينة الحاضرة

يتناول الفصل الأول مبحثين هما:

المبحث الأول

العمق الحضاري للنجف الأشرف قبل الإسلام وبعده

المبحث الثاني

الأرضية الثقافية المشكّلة للبيئة العربية الحاضرة (المكتبات والدوريات أنموذجاً)



ولكل منهما مطالب عدة سأستعرضها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول

المبحث الأول

العمق الحضاري للنجف الأشرف قبل الإسلام وبعده

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: وحدة المثلث الحضاري (الحيرة - الكوفة - النجف الأشرف)

هناك من الباحثين من يذهب إلى أن الكوفة والحيرة وغيرها من مسميات أخرى تقدمت في بداية البحث عن أسماء النجف، هي كلها أسماء لمثلث حضاري واحد يقع في منطقة جغرافية واحدة، اختلفت أسماؤه باختلاف الأزمان لظروف تاريخية خاصة، ولكن حقيقته واحدة. وأنا أميل إلى هذا الرأي.

ولئن ذهب البعض إلى أن الحيرة لا تمت بصلة إلى الكوفة حضارياً وجغرافياً، وأن الكوفة لا تمت بصلة إلى النجف كذلك، فإن التحام الحيرة بالكوفة في حدود سنة (١٠٠هـ / ٧١٩م)^(١) والتحام الكوفة بالنجف الأشرف لاحقاً أمر لا ينكر بحال.

يقول الباحث والوزير النجفي السابق عبد المحسن شلاش ملخصاً ما انتهت إليه تحقيقاته في هذا الشأن: إنه قد تبين لنا أن مدينة الحيرة السابقة، والكوفة اللاحقة، أسماء لمدينة واحدة تتقلب في أدوار التاريخ بين هذه المواضع التي أطلقت عليها هذه الأسماء اليوم، والتي تجتمع كلها على اسم (حيرة العرب)،

(١) الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية. سابق: ٣٨١.

فترى من ذلك أن هذا الاسم العربي القديم إنما يشار به إلى بقعة تاريخية مقدسة واسعة الأطراف في عهد المناذرة وغيرهم قبل الإسلام، ومطمح أنظار العرب بكل أدوار التاريخ، وكوفة الجند بعد الإسلام.

وأما (النجف) فهو جزء من حيرة العرب، وقد أضحي في الصدر الأول للإسلام موقداً للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بواديهما الغربي^(١) وبه تأسست حوزة النجف الأشرف العلمية مجاورة لإمامها العادل باب مدينة علم الرسول صلوات الله عليه وآله.

ويمكن تحديد جغرافية المثلث الحضاري اليوم (الحيرة - الكوفة - النجف) بأنها البقعة الرملية الواقعة على جانب الفرات الغربي كأنها جبل متكوف من الرمال المرتفعة بخلاف الأراضي المحيطة به حيث ترتفع ارتفاعاً بيناً بالتدرج يبلغ إلى ستة وثلاثين متراً تقريباً مما يلي النجف عن شاطئ الفرات، وهو الذي تحده من الجنوب بحيرة النجف المنخفضة، ومن الشرق منخفضات أراضي المشخاب والشامية التي تقطنها اليوم قبائل آل فتلة وآل إبراهيم وآل زياد، ومن الشمال مقاطعات زراعية منخفضة تقطنها قبائل بني حسن (أراضي الهندية)، ومن الغرب منخفضات طف كربلاء^(٢).

أما تحديد أبعاد هذه المنطقة الحضارية فهي من حيث الطول تحدد بـ (١٥٠ كم) تقريباً، تبدأ من المرتفعات الرملية الواقعة في حصّة الخزاعل ومنتهى نهر شلال الذي هو من منازل آل فتلة في المشخاب، والمعروفة اليوم بعرفهم الحاضر بـ (حصوة شلال) أو (أم خشم) التي تأتي متسلسلة بارتفاعاتها الرملية إلى قضاء

(١) الكوفة ويوم التاج. عبد المحسن شلاش. بحث. مجلة الاعتدال. العدد الخامس. السنة الثانية (١٩٣٤م/

١٣٥٣هـ). ص: ٢١٢.

(٢) المصدر السابق: ٢١١.

أبي صخير، ثم إلى الخورنق والنجف على الخط الغربي حتى تصل طف كربلاء، وأما متوسط عرضها اليوم فيقدر بـ (٢٥) كم^(١).

ولعل من أهم ما يدعم الرأي القائل بسعة أطراف الحيرة في العهد القديم وانبساط حدودها على آثار الكوفة الحاضرة، هذه الآثار بين الانقراض المندرسة الواقعة شرقي النجف على مسافة أربعة آلاف متر تقديراً بطريق أبي صخير والمسماة بـ (أرض كيندره) بعرف اليوم، كما يظهر ذلك في معجم البلدان، إذ يقدر المسافة بين النجف والحيرة بـ (ثلاثة أميال).

نعم لقد شاهدت هذه الآثار شرقي النجف تبثدي من محلها الواقع على ضفة الطف المنخفض، متجهة نحو الشمال حتى تتصل بآثار كوفة الجند، وتمتزج بها، ومنها جامع الكوفة الكبير الذي يبعد عن النجف بمقدار (٨٥٠٠ م) تقريباً، ثم تتجه نحو الشرق إلى الغرب من نهر السدير المعروف اليوم بـ (كري سعدة)، وتتوجه نحو الغرب بخط مستقيم تقديره (٦ كم) إلى الغرب من مقبرة الحيرة القديمة (تل الثوية) الذي فيه مرقد (كميل بن زياد)، والذي يبعد عن النجف بمسافة قدرها (٣ كم) شمالاً.

ومما يزيد بوضوح الدلالة على ما تقدم، هو وجود آثار المناذرة التاريخية من القصور والمباني وترعهم وأفنيتهم الأرضية القديمة المنصبة في البحيرة بالقرب من هذه الآثار كنهر السدير وقصر النعمان الذي يبعد عن بدء آثار الكوفة الحادثة على عهد الإسلام بمسافة تقديرها (٦ كم)، وعن بدء آثار مدينة الحيرة بمسافة قدرها أربعة كيلومترات، وعن النجف (١٢ كم) تقريباً^(٢).

(١) المصدر السابق: ٢١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٦ - ٢٣٧.

بل اكتشف علماء الآثار المنقبين عن تراث الحيرة والمهندسين المنفذين للمشاريع العمرانية والبنى التحتية خلال عملهم الهندسي ولا زالوا يكتشفون آثاراً من آثار الحيرة تمتد مكانياً حتى النجف الأشرف اليوم، ولعل آخرها وليس أخيراً اكتشاف كنيسة أثرية من كنائس الحيرة الباذخة في موقع مطار النجف الأشرف الدولي القائم اليوم.

إن معالم المثلث الحضاري الواحد (الحيرة - النجف - الكوفة)، المتعددة أسماؤه بحسب انتقال مركز العلم والأدب فيه من بقعة إلى أخرى، بدءاً من الحيرة قبل الإسلام، إلى الكوفة بعد الإسلام، ثم إلى النجف الأشرف بعد تشرفه باحتضان مرقد الإمام عليّ عليه السلام واشتهاره فيه، فتكوّن الحوزة العلمية الأدبية بجواره منذ أكثر من ألف عام يجلي لنا من بين أسباب أخرى سبب تشرب النجفيين بالأدب العربي وتعلقهم به.

إن وحدة المكان والزمن واللغة ورابطة الدم وانسكاب الحيرة في الكوفة يستلزم أن تتحول المزايا الأدبية من الحيرة إلى الكوفة، كما أنها - ولا شك - تحولت على مثل هذا من الكوفة إلى النجف، فتكون الحيرة قد انسكبت في الكوفة، والكوفة قد انسكبت في النجف وعليه فإن (خد العذراء) الذي من أساريه اليوم مدينة النجف، وفي جنوبها على عشرة أميال الحيرة، وفي شرقها على خمسة أميال الكوفة، كان ولا يزال محطة الأدب العالي للعروبة^(١) في كل مكان.

(١) عروبة المتنبي. بحث. الشيخ علي الشريقي. مجلة الاعتدال. العدد ٢. السنة الرابعة. (آذار ١٩٣٧م/ ١٣٥٦هـ): ٨٩. لقد امتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف وبقيت الكوفة تصب في بحر النجف إلى القرن الثامن للهجرة، وعند ذلك استوعبت النجف كلها كان في الكوفة وأصبحت أهم مدينة في العراق بحسب صراحة الرحالة ابن بطوطة (الأحلام. سابق: ١٢٠).

المطلب الثاني:

العمق العربي لمدرسة النجف قبل الإسلام

يمتد العمق العربي لمدرسة النجف الأدبية قبل الإسلام إلى مدرسة الحيرة اللغوية والأدبية العريقة المزدهرة في الحيرة، تلك المدينة التي اختلف في تأسيسها فذهب بعضهم إلى أن مؤسسها هو أحد ملوك اليمن حينما وقعت المحاربة بينه وبين (بختنصر) أحد ملوك بابل، وقيل بل أول من بناها مؤسس دولة التنوخيين، ومنذ ذلك الوقت صارت مقراً للخميين وعاصمة سلطنتهم^(١).

وذهب آخرون إلى أن مؤسسها هو (اتوقع نبوخذنصر) في مكان حدده ياقوت الحموي بقوله: كان بناء الحيرة في موضع يقال له النجف إذ زعموا أن بحر فارس كان يتصل به^(٢) وذلك خلال الفترة من (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) وتناوب على حكمها ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم، وأن مدة حكمهم ستائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر^(٣).

لقد استوطنت الحيرة عرب يقسمهم الأخباريون إلى طبقات ثلاث: تنوخ، والعباد، والأحلاف^(٤) وتتوزعها عدة من القبائل العربية التي شكلت فيما بعد طرف المثلث الحضاري (النجف - الكوفة - الحيرة)، فقد ذكر النسابون عدداً من القبائل التي استوطنت الحيرة منها: بنو عوف بن أبي سلمى، وبنو عمار بن عبد المسيح

(١) الحيرة وشعراؤها. بحث. عبد الحميد أفندي الدجيلي. مجلة الاعتدال. العدد ٢. السنة الأولى. (آذار ١٩٣٣م/ ١٣٥٢هـ): ٨٢.

(٢) ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٣٢٨.

(٣) مروج الذهب. المسعودي: ٢/ ٢٨.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي: ٤/ ١٤.

ابن قيس بن حرملة أصحاب قصر العدسيين، وهما من كلب، وجفنة وهم بطن من بني عوف بن عمرة بن ربيعة بن حارثة الخزاعيين، وبنو زمان بن تيم الله بن جفال، وبنو سنيد ومرة أولاد زيد بن سعد بن عدي بن نمر، ويقال لهم بنو مطر، ومنهم بقبيلة صاحب قصر بني بقبيلة، وبنو هند من بني زيد الله بن عمرو بن مازن، وهم من الأزد، وبنو الساطع، وهم بنو عدي بن عمرو بن كنانة، وبنو عدي بن الرميل بن لوب بن أسس، أصحاب بيعة عدي، وهم من لخم، والحميرات من بني أراش بن حرملة بن لخم، وبنو سمينة الطائيون، وبنو المحلق بن بكر بن وائل، وسلسلة من بني ملك بن هزيم الجعفي كما ينص ابن الكلبي^(١) وبنو عبد الخيار وبنو مالك بن أياد كما ينص البلاذري^(٢).

وكان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة، حذق بعضهم الصناعات، ودرس بعضهم العلوم، وفاق بعض آخر في اللغات فحذق العربية، وتعلم الفارسية، وكانوا يتقنون في الغالب لغة إرم (الآرامية) بحكم تنصّرهم، واعتبار النصارى لها لغة مقدسة، لأنها لغة الدين، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة، ولهذا السبب اختار الفرس تراجمتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من مسيحيي الحيرة^(٣).

ويعدّ من أشهر مؤلفي الحيرة ومترجميهم حنين بن إسحاق العبادي الحيري

(١) ينظر: كتاب النسب، مخطوطة الأسكوريال: ١٤١، ١٣٩، ٤٥٠، ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٠، ٤٢٤، ٤٢٣، ٢١٨، ٢١٩، ١٥٦ على التوالي، نقلاً عن د. صالح أحمد العلي. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد الخامس لسنة ١٩٦٢. بغداد العراق: ٢٨، وتاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي: ١٤/٤ وما بعدها.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ١/ ٢٧-٢٨.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي: ٣/ ١٧٢.

الذي أُلّف كتاباً في الطب، ومعجماً بهذه اللغة، وترجم من الكتب اليونانية إلى الآرامية، كما ترجم إلى العربية^(١) كتباً يونانية في الطب وفي النبات وفي أمور فلسفية ودينية، وهو عالم نصراني مشهور يعرف بـ(أبي زيد العبادي)، من نصارى الحيرة، وهو من النساطرة، ومن الأطباء^(٢) وقد نال ذكراً في عهد العباسيين^(٣) وأثنى عليه بعض المؤرخين المسلمين^(٤) ولا يستبعد الدكتور جواد علي^(٥) أن يكون المؤرخ والجغرافي المسعودي كان عثر على نسخة معربة للتوراة نقلها عدد من أهل الكتاب إلى العربية ذكر منهم المسعودي اسم حنين بن إسحاق، وقد أثنى على ترجمته هذه قائلاً عنها إنها أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس، وقد ترجمها عن اليونانية عن النسخة التي نقلت إلى بطليموس الكسندرس ملك اليونان، وقد ترجمها له سبعون حبراً بالإسكندرية ترجموها إلى اليونانية من العبرانية. وما قاله المسعودي عن الترجمة اليونانية للتوراة يدل على أن المورد الذي استقى منه خبره كان ملماً بالموضوع. وقد بقي ذكر حنين بن إسحاق حياً حتى يوم الناس هذا.

وإذا كان سكان الحيرة من تنوخ والعباد - وهم أكثر أهل الحيرة ثقافة - والأحلاف فليس غريباً أن توصف الحيرة بعد حضارتها بكونها (أول عاصمة لحضارة العرب)^(٦).

(١) ينظر: الحيرة المدينة والمملكة العربية: ٥٧.

(٢) ينظر: أبحاث في التاريخ الإسلامي. د. جواد علي: ٣٢١ / ٢.

(٣) ينظر: طبقات الأطباء: ١ / ١٨٤.

(٤) ينظر: أبحاث في التاريخ الإسلامي. سابق: ٣٢٢ / ٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق: ٢ / ٢٣٥ - ٢٣٦، وتلاحظ هوامشه.

(٦) ينظر: الحيرة أول عاصمة لحضارة العرب. د. عبد المعطي حسن الخفاف مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة. النجف الأشرف. العراق. (٢٠٠٩ م / ١٤٣٠ هـ).

فقد كان في الحيرة ديوان يتولى أمر الإشراف على المراسلات التي تجري بينهم وبين بلاط الساسانيين، باللغتين الفارسية والعربية، كما كان للملوك عمال يشرفون على الأعمال، ولهم رسل يرسلونهم في مهمات سياسية، وإلى القبائل^(١).

ومما يؤكد ذلك ويدعمه ما ورد في نص إبرهة الشهير الذي أطلق لفظة (رسل) على مبعوثي (مذرن) أي: المنذر ملك الحيرة^(٢).

ولقد عرفت الحيرة من بين أمور حضارية أخرى وخاصة في أيام الملك عمرو بن عدي من آل نصر اللخمين بفن العمارة.

ويعد الطراز الحيري في البناء والمسمى بـ(الصدر والكمين) من أشهر الخصائص المعمارية للعمارة في الحيرة؛ وقد بني به أشهر قصور الحيرة وهما: قصر الخورنق والسدير -المتقدم ذكرهما- حيث استوحت بعض القصور الإسلامية فيها من فن العمارة الحيري، من أمثال قصر المشتى الأموي، وقصور المتوكل العباسي فقد نص المؤرخون على أن المتوكل العباسي اتبع في بناء قصوره نظام البناء المعروف بالحيرة وذلك أن بعض سمّاه حدثه في بعض الليالي أن ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره وهي الحيرة فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر، وفي اليمين منها خزانة الكسوة، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب، والرواق، وقد عم فضاءه الصدر. والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق فسمي هذا البنيان في هذا الوقت بـ(الحيري) و(الكمين).

(١) ينظر: أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي: ١/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ١/ ٣٨٣.

وكان من فن الطراز الحيري نظام القبة، فكانت تضاف ثلاث قبة متجاورة في مركز المبنى، وذكر ياقوت أن الحيريين يجعلون من حيطان دياراتهم الفسيفساء، وفي سقوفها الذهب والصور^(١).

وكان من بين العناصر المعمارية الأخرى التي تم الكشف عنها في حفريات الحيرة أنظمة تسخين المياه، وأنظمة التصريف (للحمامات)، ونظام التبليل بالحص وبالأجر، ومن أنماط تزيين الجدران بالرسوم الحائطية ولوحات الحص.

ولم تعرف الحيرة بفن العمارة فقط تلك العمارة التي وثقتها وأدامتها حية في ذاكرة العرب قضية بناء سنمار لقصر الخورنق المتقدم ذكره، بل عرفت أيضاً بصناعة الخزف والتقنيات المصرفية والصيرفة مثلما عرفت بصياغة الذهب والفضة فقد كانت سوق الصاغة في الكوفة من الحيرة^(٢).

كما عرفت الحيرة أيضاً بالعلم والتسامح الديني، فقد ورث العلم والعرفان من بابل وآشور المنقرضتين^(٣)، وتعايشت بها الوثنية العربية والمناوية والمزدئية والنسطورية والمذهب التوحيدي لطبيعة المسيح، ويبدو أن المسيحيين المشار إليهم من طرف المصادر بكلمة (العباد) كانوا يشكلون الأغلبية، وعلى رأسهم أسقف منذ القرن الخامس. فمثلاً نجد أوزي أسقفاً في سنة (٤١٠م / ٢٢٤ سنة قبل الهجرة النبوية) على (هرته) وكان حاضراً بمجمع سلوقية حيث نظمت كنيسة فارس في سنة (٥١٠م / ١٣٨ سنة قبل الهجرة النبوية) وصوّت نرسس الأسقف النسطوري

(١) ينظر: حضارة الكوفة. مركز دراسات الكوفة. العدد الثاني. السنة الثانية. كانون الثاني: (٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ)،

ص: ١٠.

(٢) ينظر: نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة. سابق: ٣٨١.

(٣) الحيرة المدينة والمملكة العربية. يوسف رزق الله غنيمه: ٥٣.

لفائدة انتخاب جاثليق جديد^(١) وكان بالحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة قريش في الأعمال التجارية، مثل كعب بن عدي التنوخي وهو من سراة نصارى الحيرة وكان أبوه أسقفاً على المدينة، وكان يتعاطى التجارة مع القرشيين^(٢).

لقد أثبت لنا المؤرخون أن الحيرة كانت (أسقفية فيها ٣٨ ديراً وكنيسة)، وكانت (مدرسة) تلقى فيها الطلبة العلوم الكهنوتية^(٣) حيث تلقى عدد من الشخصيات العلمية دراستهم فيها مثل بهرام الخامس الذي تعلم الأدب والفن والفولكلور والفروسية في الحيرة، وتلقى ايليا الحيري ومار عبدا الكبير تعليمهما الديني في الحيرة، كما اشتهرت الحيرة بالكتابة وبالخط العربي، ومنها انتقلت الكتابة العربية إلى الحجاز، وفي الحيرة تعلم المرقش الأكبر وأخوه حرملة الكتابة على يد كتابها، كما تعلم عدي بن زيد الكتابة العربية والفارسية في الكتاب، وأن البطريك أيشوعياب الثاني حدث له صعوبات فجاء إلى مفسر من مدرسة الحيرة ليعضده في أمره وقد وسّط البطريك جرجس لإزالة الخلاف الناشئ بينه وبين جرجس مطران نصيبين أحد اساتذة مدرسة الحيرة^(٤)، كما تعلم زيد بن عدي الكتابة العربية في الحيرة^(٥)، وقد ورد عن خالد بن الوليد أنه في مسيره من عين التمر وجد في بيعة قرية من قراها اسمها (النقيرة) صبياناً يتعلمون الكتابة،

(١) نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة. سابق: ٣٨١.

(٢) ينظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. سابق: ٦ / ٥٩٦.

(٣) ينظر: ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة. د. نزار عبد اللطيف الحديشي. حولية الكوفة. العدد ١٦٠ / ٢.

(٤) ينظر: الحيرة المدينة والمملكة العربية. يوسف رزق الله غنيمه ٥٤.

(٥) ينظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. سابق: ٤ / ١٠٥.

وكان فيهم عمران مولى عثمان بن عفان^(١).

ويذكر هذه الحقيقة الدكتور جواد علي بقوله: لقد ثبت لدينا قطع من كتب بعض رجال الكنيسة ومن الموارد الإسلامية التي تحدثت عن فتوح العراق، أن عرب العراق كانوا يكتبون، وكانوا يتدارسون، وكانوا يراجعون الكتاب لتعلم الفارسية أو العربية فيه، وأن كثيراً منهم كانوا يحسنون القراءة والكتابة^(٢).

ويؤكد هذا ثانية بقوله: كان الحيريون أصحاب مكاتب ومدارس ومؤلفات. وهذا أمر لا يتطرق الشك إليه. وإذا فلا بد أن تكون لهم كتابات ومدونات، وتركة كتابية بقي قسم منها على الأقل في الإسلام^(٣).

وعندما تم فتح الحيرة تعرف المسلمون على عدد كبير من أهل العلم والخطاطين الذين يحسنون الكتابة من أهلها فاستقدموهم من الحيرة إلى المدينة المنورة لتعليم المسلمين الكتابة، فقد ورد في مصادر معتبرة أن المهاجرين سئلوا من أين تعلمتم الخط فقالوا من أهل الحيرة^(٤)، وقد استمر الحيريون على كتابة القرآن الكريم ونسخه للمسلمين رغم كون بعضهم غير مسلمين ومن الجدير بالذكر أن الذي قرأ كتاب سيدنا رسول الله محمد ﷺ إلى كسرى ملك الفرس المكتوب بالخط النبطي كان من أهل الحيرة^(٥)، وهكذا شيئاً فشيئاً كشأن كل اللغات

(١) الحيرة المدينة والمملكة العربية. يوسف رزق الله غنيمه: ٥٥.

(٢) أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام. جواد علي: ١/ ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (مادة حرر) دار صادر دار بيروت. فتوح البلدان. البلاذري: ١/ ٢٥٨

دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣ هجرية، أضواء البيان: ٩/ ٢٥. دار الفكر. بيروت ١٩٩٥.

(٥) ينظر: البداية والنهاية. ابن كثير: ٤/ ٢٦٩. مكتبة المعارف. بيروت.

تطورت النبطية مع الزمن وتطور الخط النبطي تدريجياً مشكلاً أساساً للخط الكوفي وخط النسخ^(١) فيما بعد.

لقد احتفظت الأديرة المنتشرة في الحيرة بسجلات وكتب تحتوي أخبارهم وأنسابهم ودياناتهم ألقت الضوء على طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشوها وما سادها من ديانات وما رافق فترتها من أحداث معاشة أمدت تاريخ الحيرة بمادة غنية لم يكن بالميسور التعرف عليها ودراستها لولا تلك السجلات والكتب والمدونات^(٢).

كما نصبت الحيرة نفسها مركزاً للشعر العربي الأصيل^(٣) في ذلك العصر وباتت موئل الشعراء في أيام عمرو بن هند، فلاكثر مشاهير الشعراء الجاهليين خبراً مع هذا الملك، كانوا يحضرون إليه من أماكن نائية لإنشاده شعرهم ولنيل جوائزه، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض، ومن نقد بعضهم شعر بعض^(٤)، وشكّلت الحيرة وامتدياتها بذلك ملتقى لفحول شعراء نجد والحجاز واليمامة والبحرين والعراق ولذلك لم يكن بدعاً أن يبرز منها أو يسكنها أو ينشد في أنديتها وأمام ملوكها شعراء كان لهم قصب السبق في ميادينه المختلفة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: أعشى زيد، وعدي بن زيد من قبائل

(١) ينظر: الحيرة أول عاصمة لحضارة العرب. سابق: ٩٨-٩٩. يقول هشام جعيط وفي الكوفة تجلّى الخط العربي الذي غدا خطاً رائعاً، بلا شك، بمساهمة عرب الحيرة، وهو أقدم نموذج للخط العربي بعد ظهور الإسلام (نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة): ٣٦١.

(٢) ينظر: العمارة والأختام والرسوم في المواقع الأثرية القديمة. أ. د جواد مطر الموسوي: ١٤.

(٣) نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة. هشام جعيط. ط ٣. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

(٤) ٢٠٠٥ م / ١٤٢٦ هـ. ص: ٣٧. ١٤

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام. سابق: ٧٧/٤.

العباد ومن أصحاب الجمهرات، وكان وزيراً وسفيراً لقومه العرب، ونحا في شعره منحى طبعه بطابع الحكمة والمعرفة، وكانت وفاته سنة (٥٥٩ م / ٦٨ سنة قبل الهجرة النبوية)، ولقيط بن يعرب الإيادي الذي أرسله ملك الحيرة إلى ملك الروم بهدية، ودخل دمشق وذكرها في شعره، وكان يجيد الفارسية، ويعمل مترجماً في قصر كسرى أيضاً، والشاعر الكريم حاتم الطائي، إضافة إلى النابغة الذبياني شاعر المعلقة المعروفة، والحكم في شعر شعراء الجاهلية في سوق عكاظ، والأخطل الشاعر، والمتمس، وطرفة بن العبد صاحب المعلقة، والشاعر المسيب، ولبيد بن ربيعة العامري صاحب المعلقة،^(١) وغيرهم.

وكان لامرئ القيس صاحب المعلقة المشهورة صلوات سياسية بالحيرة وقربى بملوكها حيث التجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر بعد مقتل أبيه وأعمامه وتفرّق ملك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر، فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلّق بحباله ولجأ إليه، فأجاره عمرو، ومكث امرؤ القيس عنده زمناً^(٢).

ونقل الطبري في تاريخه أن الراوية النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي الأخباري المعروف كان يقول: كنت أستخرج أشعار العرب، وأنسابهم، وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى، وتاريخ نسبهم، ومن كتبهم بالحيرة^(٣).

لقد كان لمملكة الحيرة منزلة رائعة في تاريخ العراق وتاريخ العرب ونهضة

(١) ينظر: تفاصيل شعراء بلاط الحيرة في كتاب المفارق لابن قتيبة وتاريخ العرب قبل الإسلام. سابق:

١٠٥/٤.

(٢) الحيرة المدينة والمملكة العربية. سابق: ٥٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٣٧/٢.

آداب لغة الضاد في بضعة قرون من الجاهلية حتى ظهور الإسلام^(١).

فإذا عرفنا ذلك، وكنا عرفنا فيما تقدم أن النجف أيام العصر الجاهلي كانت قطعة من الحيرة عاصمة المناذرة، أو عاصمة عرب العراق قبل الإسلام، حيث عاش الأدب الجاهلي في كنف القوم، ووفد عليهم فحول الشعراء من أقصى نجد والحجاز، هذا عدا من نبغ في الحيرة نفسها من شعراء وخطباء، أنجبتهم قبائل (إياد) و(العباد) وغيرهما من قبائل الحيرة المشهورة، وربما سبق الحيريون إلى إنشاء أول مجمع للأدب الجاهلي، إذا صح ما رواه علماء الأدب، من أن المملكات جمعت في الحيرة، وإن النعمان بن المنذر أمر فنُسخت له أشعار العرب في الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما وثب المختار بالكوفة سنة (٦٦هـ / ٦٨٥م)، قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فأخرج تلك الأشعار^(٢)، وورد أيضاً عن ابن جني عن حماد الراوية قال: أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج، فكتبت له، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار، قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار^(٣).

وأنه كان لدى النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح به هو وأهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان أو صار منه^(٤).

إذا عرفنا ذلك كله، اتضح لنا أثر انتقال مدرسة الحيرة الأدبية إلى وريثها

(١) المصدر السابق: ٥٣.

(٢) ينظر: النجف وطبقات شعرائها الشيخ محمد رضا الشيباني. مجلة الاعتدال النجفية، العدد الرابع. السنة الأولى. (١٩٣٤م / ١٣٥٣هـ). وتاريخ العرب قبل الإسلام. سابق: ٤ / ١٠٥.

(٣) تاج العروس: ٧٠ / ٢.

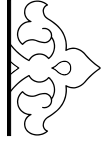
(٤) طبقات الشعراء. الجمحي: ١٠.

مدرسة الكوفة في اللغة والآداب وغيرهم من فنون القول، ذلك الإرث الذي شكّل خميرة أدبية بدا أثرها في تكوين شخصية الفرد النجفي في قابل الأعوام.



المطلب الثالث:

مدرسة النجف الأشرف وريثة مدرستي الكوفة اللغوية والشرعية في العصر الإسلامي



إن نظرة عجل على تراث مدرسة الكوفة الفكري في العصر الإسلامي الذي ورثته مدينة النجف الأشرف، وخاصة ما يتعلق منها بعلوم الشريعة الإسلامية وفق مذهب أهل البيت عليه السلام وعلوم اللغة وآدابها تظهر لنا مدى أصالة مدرسة الكوفة العربية الصافية، والإسلامية الحقّة من جهة، ومدى حجم وعمق ثرائها المعرفي من جهة أخرى، وعلى هذين العمودين وما أضافته إليهما النجف الأشرف من علوم مدرسة أهل البيت عليه السلام لاحقاً تأسست حوزة النجف الأشرف العلمية.

لقد وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بقوله: الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، وأيم الله ليتصرن الله بأهلها في مشارق الأرض ومغارها كما انتصر بالحجارة^(١). وأنها: جبهة الأنصار وسنام العرب^(٢).

وقال عليه السلام بعدما قدم أهل الكوفة عليه مجيبين دعوته لقتال من نقض بيعته

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها. محمد بن علي العلوي الحسني الكوفي. تحقيق محمد سعيد الطريحي: ٥٦-٥٧.

(٢) نهج البلاغة. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. من كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى

يوم الجمل خاطباً فيهم: مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العرب ووجوهها، وأهل الفضل وفرسانها، وأشدّ العرب مودةً لرسول الله ﷺ ولأهل بيته عليه السلام^(١). وقال الإمام الحسن عليه السلام عن الكوفة: لموضعٌ رحل فيها أحبُّ إليَّ من دار بالمدينة^(٢) المنورة.

ووصف الإمام الحسين عليه السلام شباب الكوفة من الموالي والعرب فقال: أما إنهم الذين يعز الله بهم الدين، وهم دفئا العرب^(٣) ويبدو أن عددهم في الكوفة كان كبيراً حيث استظهر صاحب كتاب الكوفة وأهلها في صدر الإسلام^(٤) من نصّ أوردته: أن عدد الشباب زمن خلافة الإمام علي عليه السلام كان قرابة نصف عدد العرب. وكان عمر بن الخطاب قد خاطب أهل الكوفة مرة بقوله: يا أهل الكوفة أنتم رأس العرب ودماغها.

وافتح كتابه إليهم مرة بقوله: إلى جماجم العرب، وكنز العلم، ورمح الله الأطول، ووصفهم ثلاثة بوجوه الناس، ورابعة برأس الإسلام^(٥).

أما أن الكوفة سنام العرب ورأس العرب ودماغها وجماجم العرب ووجوه الناس؛ فلأنها كانت قبلة أنظار العرب وزعمائهم وقادتهم، وفي الكوفة نزلت البيوتات العربية الأربعة: آل زرارة الدارميون، وآل زيد الفزاريون، وآل ذي الجدين

(١) كتاب الجمل وصفين والنهروان. أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي: ١٥٦. وينظر: شرح نهج البلاغة.

ابن أبي الحديد: ١ / ١٧٦.

(٢) نهج البلاغة. سابق: ٨٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) د. صالح أحمد العلي: ٤٥٧.

(٥) نفسه: ٦٨، و ٧٠ على التوالي.

الشيبيانيون وآل قيس الزيديون^(١).

يقول السيد عبد الستار النفاخ: أجريت إحصاء لأسماء القبائل العربية العدنانية والقحطانية التي كانت تعيش في الكوفة في الفترة التاريخية المحصورة بين (١٧-٣٠هـ / ٦٣٨-٦٥١م) فوجدتها قد بلغت (٢٦) قبيلة، عدا أهل الهجر والحمراء. والقبائل العربية التي أحصيناها هي: كنانة - جديلة - قضاة - غسان - بجيلة - خثعم - كندة - حضر موت - الأزد - مذحج - حمير - همدان - تميم - الرباب - بنو العصر - أسد - غطفان - محارب - نمير - ضبيعة - تغلب - إياد - عك - عبد القيس - طي - العائلة الهاشمية العلوية^(٢).

وقد أولى الدكتور صالح أحمد العلي^(٣) مستوطني الكوفة جزءاً كبيراً من اهتمامه فقسمهم إلى عرب وغير عرب، ثم قسم القبائل العربية إلى قبائل يمنية، وقبائل حجازية، وقبائل نجدية، وقبائل من شرق الجزيرة العربية، كما عد بعضاً من مستوطني الكوفة من غير العرب.

فمن القبائل اليمنية عد الباحث: قبيلة كندة ببطونها المتعددة، وكان لها باسمها باب من أبواب جامع الكوفة، وحمير، وهمدان ببطونها المتعددة من عشائر بكيل، وفائش، وشبام، وناعط، وشاكر، ووادة، وأرحب ومرهبة.

وحاشد ببطونها: السبيع، وخيوان وخارف، وصائدة، ونهم، ویناع، ومران وقابض.

(١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة. د. مهدي المخزومي: ١٢ وينظر هامش النص.

(٢) أسرار وخفايا عن منطقة الثوية في الكوفة. بحث: ١.

(٣) ينظر: الكوفة وأهلها في صدر الإسلام: ٢٣٣ وما بعدها.

والنخع بمجموعتيها: بني مالك بن النخع ببطونها: صهبان، وهبيل، وعامر، وحذيفة، وحارثة، وبني بكر بن عوف، ومذحج، ومنها جعفى وخثعم، ومراد ومنها جهل وزبيد، وكذلك قبائل: الأزد، وبارق، والحارث بن كعب، وبجيلة، وأحمس، وقسر، والأنصار، وخزاعة.

ومن قبائل الحجاز وعشائره التي استوطنت الكوفة عد الباحث: قيس عيلان وهي من المجموعات القبلية الكبيرة التي تضم أعداداً من القبائل والعشائر والبطون، وعامر بن صعصعة، وهوازن، وهلال وسلول ومحارب، ومزينة وكنانة، وهي من البطون الضخمة وتشمل ليث، وضمرة، والدليل، وأشجع، وغفار، والقارة، وسليم وهي من القبائل الكبيرة في الحجاز وباهلة، وثقيف وقضاعة بعشائرها أسلم، وليث، ونهد، وجهينة ومنها بنو أسد وهي من القبائل العربية الكبيرة وغيرها..

ومن عشائر نجد التي استوطنت الكوفة عد الباحث: تميم وهي من أكبر القبائل العربية ومن مجموعاتها الكبرى: سعد بن زيد مناة، وتكون من عوف، والأبناء ومقاعس والبطون، وبنو عمرو بن عوف وتكون من بهدلة وخضم، وبنو حنظلة وتكون من بني مالك ويربوع.

ومن عشائر شرق الجزيرة التي استوطنت الكوفة عد الباحث: ربيعة وهي مجموعة قبلية كبيرة توازي مضر، ومن أكبر قبائلها بكر ببطونها، وشيبان، وذهل. وفات الباحث عد الهاشميين، وهم كثر، ويكفي أن نعرف أن أسراً طالبية وبيوتات علوية قد استوطنت الكوفة كان لها الواجهة والزعامة الاجتماعية، وكان لأفراد منهم النقابة فيها، وقد بلغت البيوتات الطالبية والعلوية في الكوفة الكثير،

ومنها (٧٠) أسرة نص عليها النجفي النسابة في المشجر، وصاحب عمدة الطالب، والمجدي وغيرهم من النساين.

أما من غير العرب فقد عد منهم: الحمراء والقيقانية إضافة إلى الموالي.

ويظهر أن همدان وربيعة ومذحج ثلاث قبائل لم تكن لأهل العراق قبائل أكبر منها عدداً يومئذ^(١).

كما يتضح من قراءتنا في كتاب الطبقات - لابن سعد - أن همدان كانت في المنطقة اليمنية هي الأكثر عدداً، تليها مذحج، فمثلاً في الطبقة التي تلي مباشرة طبقة المحدثين الأوائل الذين نقلوا أحاديث عن علي وعن ابن مسعود هناك (٣٤) شخصية معروفة، بينها (٨) من همدان، و(٥) من مذحج، و(٣) من الأزد... إلخ. وفي الطبقة التي تليها، أي: طبقة الشعبي، وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي، هناك (٦٩) اسماً، بينها (٩) أسماء من همدان، و(٦) من بجيلة، و(٤) من مذحج، بينهم (٣) من نخع، و(٣) من طي، و(٤) من الأنصار. وفي رأينا أن همدان كانت القبيلة الأكثر تعداداً بين قبائل اليمن، وربما في الكوفة كلها^(٢).

ولقد خططت مدينة الكوفة بحيث جعل مركز المدينة مسجدها، ثم أسكنت حواليه القبائل ضمن نظام سكن حددت مواصفاته ومناهجه وسعة كل منها وسككه وسعة كل منها مسبقاً.

ويبدو أن الكوفة كانت مكتظة رغم سعتها بساكنيها، فقد شارك من الكوفة

(١) الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيياتهم د. صالح أحمد العلي:

٢٤٨. وينظر هامشه في الصفحة نفسها.

(٢) نشأة المدينة العربية الإسلامية سابق: ٣٧٤.

مع الإمام علي عليه السلام (١٢, ٠٠٠) مقالاتاً في وقعة الجمل، والثابت أنه لم يخرج معه إلا جزء من أهل الكوفة، وقد ذكر أبو مخنف بعد وقعة صفين أن عدد المقاتلة من الرجال يبلغ (٤٠, ٠٠٠)، وأن عدد الفتيان يكون (١٧, ٠٠٠)، ويبلغ عدد الموالي (٨٠٠٠) فيكونون (٦٥, ٠٠٠) ألفاً في الجملة^(١).

وإذا انتقلنا زمنياً من عهد خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى منتصف القرن الأول الهجري أو بعده بقليل وجدنا أرقاماً دقيقة في عصر زياد في الكوفة تستند إلى رواية متينة ذكرتها عدة مصادر ذهبت إلى أن في الكوفة (٦٠, ٠٠٠) مقاتل في الديوان، معهم (٨٠, ٠٠٠) من النساء والأطفال، أي: (١٤٠, ٠٠٠) في الجملة.

والفائدة التي نستمدّها من هذا الخبر تتمثل في وجود إشارة شاملة، مع أن النسبة بين الرجال من جهة، والنساء والأطفال من أخرى من شأنها أن تدعو العالم الديمغرافي إلى التفكير، وينبغي أن نضيف إليهم الموالي والرقيق رجالاً ونساء وأطفالاً، حيث تأكد حضورهم القوي خلال ثورة المختار. وهكذا شاهدت الكوفة مضاعفة عدد سكانها خمس مرات في جيل واحد حيث ارتفع عددهم من (٣٠, ٠٠٠) على أكثر تقدير سنة (١٧هـ / ٦٢٨م) إلى (١٥٠, ٠٠٠) على الأقل سنة (٥٣هـ / ٦٧٣م)^(٢).

أما بشر بن عبد الوهاب القرشي مولى بني أمية، وكان صاحب فضل وخير، وكان ينزل دمشق فقد قال: إن في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر،

(١) المصدر السابق: ٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٤ - ٣٦٥ ونظر هوامشه أسفل الصفحتين.

وأربعة عشر ألف دار لسائر العرب، وستة وثلاثين ألف دار لليمن، فيكون مجموع دور الكوفة مائة ألف دار^(١).

وهذا الرقم يذكرنا بنص للطبري جاء فيه: أدركت في الكوفة مائة عريف، ولما كانت العرافة تتكون من ألف رجل فمعنى هذا أن الكوفة يسكنها مائة ألف رجل من العرب، ويمكن التوفيق بين نص الطبري وما سبقه بالقول إنه كان لكل رجل دار وإنه كان في الكوفة مائة ألف دار، لكل رجل دار، وسواء كانت المائة ألف لرجال الكوفة أو لدورهم فإن هذا الرقم يمثل عدد الأسر، وليس الأفراد من أهل الكوفة^(٢).

ومما يدعم هذا التوجيه ما ورد في أخبار سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م)، حيث يرد رقم (٨٠,٠٠٠) دار، ولعله يقابل ما يقدر (٣٢٠,٠٠٠ - ٤٠٠,٠٠٠) ساكن^(٣) ولعله إلى (٤٠٠,٠٠٠) ساكن من الرجال والنساء والأطفال أقرب، لما تقدم.

بقي أن أشير إلى أن مساحة الكوفة تلك التي استوعبت هذا العدد الكبير من السكان مما يصعب تحديدها بدقة، وأغلب الظن أن أقصى ما بلغت الكوفة من المساحة في القرون الثلاثة للهجرة حسبها نحدده مؤقتاً هو (١٥ كم) طولاً و(٩ كم) عرضاً، أي: من نقطة تبدأ من خان المصلّى في الشمال إلى حدود قصر أم عريف في الجنوب قرب بحر النجف^(٤).

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها. سابق: ٣٩.

(٢) الكوفة وأهلها في صدر الإسلام. د. صالح أحمد العلي: ١٠٧.

(٣) نشأة المدينة العربية الإسلامية. سابق: ٣٦٧.

(٤) خريط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية. د. كاظم الجنابي: ٤١.

وأما أن الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء؛ فلأن أمير المؤمنين الإمام العادل علي بن أبي طالب عليه السلام حظ رحاله في الكوفة، متخذاً منها عاصمة للخلافة، ومختاراً من نجفها مثوى أخيراً له، ومن مسجدها الكبير قبل ذلك مصلى له، ومعبدًا، ومدرسة يدرّس، ويخطب ويقضي فيه بين الناس، وفيه تبلورت أسس هذه المدرسة العلوية، أو مدرسة الكوفة الكبرى^(١) التي نزلها المئات من الصحابة منذ أن انتقل إليها أمير المؤمنين عليه السلام وقبلة وبعده، فقد ورد في (الطبقات الكبرى) لابن سعد^(٢) أن الكوفة نزلها ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر، فضلاً عن غيرهم من التابعين وسواهم من الأعلام، وقد تقدم أن المحدث أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الكوفي، المعروف بأبي المتوفى سنة (٥١٠هـ / ١١١٦م) قال: توفي بالكوفة ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة لا يدرى قبر أحد منهم سوى الإمام علي عليه السلام إضافة إلى كميل بن زياد النخعي وقبره معروف اليوم.

وقد أحصى المؤرخ البراقي^(٣) أعداد من نزل الكوفة من الصحابة فبلغ عديدهم مائة وسبعة وأربعين صحابياً، وانتهى أحد الباحثين المعاصرين^(٤) إلى أن عددهم دون تابعيهم والتابعين مائة وخمسون صحابياً ذكر أسماءهم وأسماء قبائلهم وسني وفياتهم، بينهم على سبيل المثال: الإمام الحسن بن علي عليه السلام، والإمام الحسين بن

(١) مدارس النجف القديمة والحديثة. الشيخ محمد الخليلي: ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢.

(٣) تاريخ الكوفة: ٣٧٧-٣٩٠.

(٤) د. نزار عبد اللطيف الحديشي. ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة. حولية الكوفة. ١٦٢/٢ -

علي عليه السلام، وعبد الله بن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت التميمي، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عمرو، وسهل بن حنيف، وعدي بن حاتم، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وسليمان بن صرد الخزاعي، وخزيمة بن ثابت، وقيس بن سعد بن عبادة، وحذيفة بن اليمان، ووهب بن عبد الله، ومخنف بن سليم، وعثمان بن حنيف، وأبو الطفيل، والبراء بن عازب، وحجر بن عدي، وأبو ليلي الأنصاري، أو قتادة الأنصاري، والمغيرة بن نوفل الهاشمي، وثابت بن قيس بن الخطيم، وحبشي بن جنادة، وقرظة بن كعب، وحذيفة بن أسيد، وهاشم بن عتبة المرقال، ونافع بن عتبة، وعبد الله بن بديل، وعبيد بن خالد السلمي، وعائذ بن سعيد، وسهيل بن عمرو الأنصاري، ومحمد بن حاطب، وثابت الأنصاري، وسعد بن الحارث، وأبو الجعد الأشجعي، وعبد الله بن خباب، وعمار بن أوس الأنصاري، وأبو رافع مولى رسول الله، وأحنف بن قيس، وثابت بن دبيعة الأنصاري، وأبو مسعود الأنصاري، وزيد بن أرقم، وخباب بن الأرت، وحبة العرني، وغيرهم كثير^(١).

أما بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام فقد تعهد بمدرسته العلمية الأئمة من أولاده وأحفاده عليهم السلام حتى جاء دور الإمام الصادق عليه السلام وعلى قلة استيطان الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة حيث مكث فيها سنتين أيام أبي العباس السفاح، لعلها هي التي أشار إليها أبو حنيفة النعمان يوم قال: لولا الستتان لهلك النعمان، فقد تخرج على الإمام الصادق عليه السلام فيها خلال هاتين السنتين علماء كثيرون، حتى ألف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي كتاباً في أسماء الرجال الذين رويوا

(١) ينظر: أتباع أمير المؤمنين من الصحابة في الكوفة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة:

الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، فذكر ترجمة أربعة آلاف شيخ^(١) وزادهم بعض العلماء الباحثين^(٢) فأوصلهم إلى حدود خمسة آلاف شيخ، ما أعاق ارتيادهم لمجلسته عليه السلام وتعلقهم به والتفافهم حوله وتزودهم من معين علمه إمكانية وصول خاصة أصحابه إليه والتقاءهم به، فهذا محمد بن معروف الهلالي مكث ثلاثة أيام على أمل لقاء إمامه الصادق عليه السلام فلم يحالفه الحظ لذلك من شدة التفاف الطلاب حوله حتى إذا حل اليوم الرابع رآه عليه السلام فأدناه إليه.

يقول الهلالي: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد عليه السلام، فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع رأيته فأدناني.

ولا يسعني المجال هنا لدراسة حجم تأثير مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وتلامذته من الفقهاء والمحدثين وغيرهم، غير أنني سأستعرض بإيجاز ما أورده سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي^(٣) وهو يتحدث عن مدرسة الكوفة بقوله: صنّف قدماء الشيعة الاثني عشرية المعاصرون للأئمة في الأحاديث المروية من طرق أهل البيت عليهم السلام ما يزيد على ستة آلاف وستمئة كتاب مذكورة في كتب الرجال على ما ضبطه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي^(٤).

ومن بين هذا العدد من الكتب الذي يعتبر وحده مكتبة ضخمة في الحديث والفقه والتفسير من آفاق الفكر الإسلامي امتازت أربعمئة كتاب

(١) ينظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. سابق: ٦ / ٥٩٦.

(٢) ينظر: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي. السيد محمد علي الأبطحي حيث أوصلهم إلى مايقارب الخمسة آلاف.

(٣) تاريخ فقه أهل البيت عليهم السلام. الشيخ محمد مهدي الآصفي. سلسلة الثقافة الإسلامية ٧٩: ١٩ - ٢٠.

(٤) ينظر: وسائل الشيعة ٢٠ / ٤٩.

اشتهرت بعد ذلك بـ(الأصول الأربعمئة). وقد بقي شيء كثير من هذه الأصول الأربعمئة، فكان شيء كثير منها محفوظاً عند الشيخ الحر العاملي، وبعضها عند العلامة المجلسي، وبعضها عند العلامة النوري، وقد فقد مع ذلك كثير منها^(١).

ومهما يكن من أمر فقد توسعت في هذه الفترة رواية الحديث وتدوينه وازدهرت بها لا مثيل له في أي عصر آخر، وفي أي مذهب من المذاهب الإسلامية عامة، فلهشام الكلبي أكثر من مائتي كتاب، ولابن شاذان مائة وثمانون كتاباً، ولابن دؤول مائة كتاب، ولابن أبي عمير أربعة وتسعون كتاباً^(٢).

وقد ترجم المحقق الشيخ أغا بزرك الطهراني^(٣) لمائة رجل من مصنفي تلامذة الإمام الصادق عليه السلام عدا غيرهم من المؤلفين من أصحاب سائر الأئمة عليهم السلام، وذكر لهم من كتب الأصول (٧٣٩) كتاباً.

فقد روى أبان بن تغلب - كما يقول الشيخ محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (الفهرست) - ثلاثين ألف حديث عن الإمام الصادق عليه السلام، وروى آل أعين وخدمهم أضعاف هذا المقدار. ويونس بن عبد الرحمن، والبزنطي، ومئات من أمثالهم كانوا من كبار المؤلفين والمكثرين في التأليف والتدوين، وقد جمع كل واحد منهم عشرات المدونات في الحديث والتفسير والفقه.

كما استمر ثراء الكوفة في العلوم الإسلامية المتقدمة وعلوم اللغة العربية يتنامى بمرور الزمن فهذا أبو العباس يقول إثر استماعه لمناظرة جرت بين العالم الكوفي

(١) أعيان الشيعة. سابق: ١/ ٣٧.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة. الشيخ أغا بزرك الطهراني: ١/ ١٧.

(٣) المصدر السابق: ٦/ ٣٠١-٣٧٤.

ابن عياش والعالم البصري أبي بكر الهذلي: الكوفة بلاد الأدب، ووجه العراق، وهي غاية الطلب، ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف^(١).

ويظهر تأثير مدرسة الكوفة في أحد رموز تكوين المعرفة التاريخية وهو المدائني علي بن محمد بن عبد الله (١٣٥ - ٢٢٤هـ / ٧٥٣ - ٨٣٩م) فمع أنه نشأ في البصرة إلا أن دور الكوفة في عمله العلمي كان كبيراً إذ احتلت الموقع الثاني في المصادر التي شكلت مصدر معرفته بعد البصرة، إذ أخذ (٢٢٨) رواية عن (٥١) راوٍ كوفي من أصل (١٢٨٦) رواية هي حصيلة علمه، وقد وصل علم الكوفة في التاريخ إلى أبرز المؤرخين اللاحقين وهما خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) اللذين أخذوا عن الصحابة وعن التابعين.

ولم يقتصر دور مدرسة الكوفة على حدود المصر فقد وفد كثيرون من الأمصار الأخرى إلى الكوفة طلباً للعلم مثلما ارتحل الكثير من أهل الكوفة إلى الأمصار الأخرى، كذلك لعبت دورها في تأسيس حركة العلم في آسيا، غير أن الدور الكبير للكوفة كان في تأسيس مدرسة العلم في بغداد^(٢).

ويؤكد ثراء الكوفة المعرفي الذي أهلها تاريخياً لكل ما تقدم ما رواه المؤرخون عن عمرو بن العلاء التميمي، المتوفى في منتصف القرن الثاني للهجرة، من أن مكتبته في الكوفة كانت تملأ بيته إلى ما يقرب السقف^(٣).

(١) البلدان. طبعة ليدن: ١٧٢.

(٢) ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة. سابق ١٦١ / ٢.

(٣) العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية فامتازت بها بين جميع البلدان. جعفر الخليلي. نقلاً عن الغابة العذراء. جمع حامد المؤمن: ٦٣ - ٦٤. وتنظر هوامش الكاتب التي استقى منها نصوص متن كتابته.

وأن خزانة سفيان الثوري المتوفى في العقد الثاني من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري المدفونة تحت الأرض كانت كبيرة جداً، فقد روى الخطيب البغدادي عن أبي الأسود الحارثي قال: خاف سفيان شيئاً فطرح كتبه، فلما أمن أرسل إليّ وإلى يزيد بن توبة المرهبي فجعلنا نخرجها فأقول: يا أبا عبد الله وفي الركاز الخمس، وهو يضحك، فأخرجنا تسع قمطرات كل واحدة إلى ها هنا، وأشار إلى أسفل من ثدييه.

وما روه من مكتبة الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بـ(ابن عقدة) في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري يوم أراد الانتقال من موضع في الكوفة إلى موضع آخر فبلغت كتبه ستمائة حمل، وهناك غير ما تقدم من مكنتات لا يسع المجال لذكرها^(١).

ويدعم ما تقدم ما رواه ابن النديم في الفهرست: قال: قال محمد بن إسحاق: كان بمدينة الحديثه رجل يقال له محمد بن الحسن، ويعرف بـ(ابن أبي بكرة)، جماعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها، تحتوي على قطعة من الكتب الغريبة في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقيت هذا الرجل دفعات، فأنس بي، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده، خائفاً من بني حمدان، فأخرج لي قمطراً كبيراً فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان، وصكاك، وقرطاس مصر، وورق صيني، وورق تهامي، وجلود آدمي، وورق خراساني، فيها تعليقات على لغة العرب، وقصائد مفردات من اشعارهم، وشيء من النحو، والحكايات، والأخبار، والأسماء، والأنساب، وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم.

(١) ينظر في ذلك: خزائن الكتب الإسلامية القديمة في الكوفة د. محمد سعيد الطريحي. حولية الكوفة:

وذكر أن رجلاً من أهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مستهتراً بجمع الخطوط القديمة، وأنه لما حضرته الوفاة خصّه بذلك لصداقة كانت بينهما. ومجانسة في المذهب فإنه كان شيعياً، فرأيتها وقلّبتها، فرأيت عجباً، إلا أن الزمان قد أخلقها، وعمل فيها عملاً أدرسها وأحرفها.

ويستطرد ابن النديم واصفاً ما رآه من خزانة الكوفي من نوادر موثقة فيقول: وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً إثر واحد، فذكر فيه خط من هو، وتحت كل توقيع وتوقيع آخر بخمس وست من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي عليه السلام. ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ورأيت أمانات بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وآله، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني، والأصمعي، وابن الأعرابي، وسيبويه، والفراء، والكسائي، ومن خطوط أصحاب الخطوط مثل سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وغيرهم، ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربع أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمه الله عليه، بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط فلان علان النحوي^(١).

وقد أخذ أبو الأسود علم النحو من أمير المؤمنين عليه السلام وهو ما اشتهر عند المؤرخين.

من ذلك ما حدث به المؤرخ القفطي^(١) بقوله: المشهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قال أبو الأسود: دخلت على أمير المؤمنين فرأيتَه مطرقاً مفكراً. قلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، ثم أتيتَه بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام اسم وفعل وحرف، فالاسم: ما أنبأ عن المسمّى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر.

وما حدّث به ياقوت الحموي من أنه: كان عليّاً أول من وضع النحو، وسنّ العربية، وذلك أنه مرّ برجل يقرأ إن الله بريء من المشركين ورسوله بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي^(٢). ومثلها ما ورد عن أبي حيان التوحيدي^(٣) وغيرهم كثير.

وفي الكوفة وعلى يد إمامها أمير المؤمنين عليّاً أرسيت قواعد التفكير والتأمل الدقيق وإعمال العقل فيما وراء الطبيعة فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية^(٤) أن نشأة الحياة العقلية عند المسلمين تعود إلى ما غرسه أمير المؤمنين من بذور صارت فيما بعد أصولاً للفكر الإسلامي ولسائر تجليات المنحى العقلي في

(١) إنباه الرواة: ٤/ ٤.

(٢) معجم الأدباء: ٤٢/ ١٤.

(٣) البصائر والذخائر: ١/ ١٧٥.

(٤) حسن الأمين: ٢٠/ ٤٤-٦٩.

الإسلام فإن ما اشتملت عليه طائفة من خطبه وتعاليمه مثلت رافداً أساسياً استقى منه المتكلمون مقولاتهم وآراءهم.

يقول السيد المرتضى: أعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه وخطبه فإنها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعها إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول، وروي عن الأئمة من أبنائه ما لا يحاط به كثرة^(١).

ويشير ابن أبي الحديد المعتزلي إلى اقتباس سائر الفرق الكلامية المعروفة صنعة الكلام من خطب أمير المؤمنين وكلامه حيث يقول: إن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتداء، فإن المعتزلة تلامذته وأصحابه؛ لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام، وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون في آخره المطاف إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويؤكد دور الكوفة الحقيقي وحجم ثرائها المعرفي المحققون المحدثون من الباحثين ذاهبين إلى أن الكوفة كانت من أعظم مراكز الحركة الفكرية في الدولة الإسلامية الأولى، فازدهرت فيها دراسة الفقه، والشعر، ثم النحو، وكانت لها

(١) الأملاني: ١/ ١٤٨.

سمات مميزة في هذا المجال عن الأمصار الأخرى، كما ازدهرت فيها علوم: اللغة العربية، والحديث، والأخبار، والتاريخ، وكان لعلمائها أثر كبير في تطوير هذه العلوم وتقدمها، وفي إنهاء الحركة الفكرية في بغداد بعد إنشائها^(١).

وأن إسهام الكوفة في بلورة الثقافة العربية الإسلامية الكونية يتضح بعد التحليل أنه أكثر أهمية بكثير، وأن جذوره تضرب عميقاً في هذا المصر الكبير، فقد برعت الكوفة في استعادة التراث الشعري العربي وفي تفسير القرآن^(٢)، وكذلك في الفقه ذلك أن الفقه وهو سابق على الحديث لم يولد أولاً إلا في الكوفة^(٣)، أما في علم الأنساب والحديث وعلم القراءات فقد أقر علماء الكوفة ثلاثاً من أصل قراءات القرآن السبع وهؤلاء العلماء هم: عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م) ومرجع هؤلاء جميعاً: أبو عبد الله السلمي (ت ٧٤ هـ / ٧٠١ م)، وقد أقرأ القرآن أربعين سنة في مسجد الكوفة، وإليه تنتهي رواية أكثر القراء الكوفيين، وزر بن حبيش (ت ٨٢ هـ / ٧٠٩ م)، وقد أخذ كلاهما القراءة عن بعض صحابة رسول الله ﷺ يأتي في مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤).

(١) الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم. د. صالح أحمد العلي: ٥.

(٢) نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة: ٣٦٢.

(٣) المصدر السابق. وينظر نقله عن جوزف شاخت في ص ٣٩٧ هامش رقم ٤ من أن الفقه ولد في مكان واحد هو الكوفة لا المدينة ونقده له ذاهباً إلى أن هذه الفرضية لم يتم إثباتها بما فيه الكفاية، لكنها تبرز الدور المركزي الذي اضطلعت به الكوفة: ٣٩٨.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة. سابق: ٢٢.

لقد استأثر القرآن من أمير المؤمنين عليه السلام باهتمام بالغ وتخرج عليه في علوم القرآن والقراءات والتفسير رهط من أهل القرآن الذين انتهت إليهم أشهر القراءات والآراء في تفسير القرآن فإذا رجعت إلى القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهما لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ. وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه. وأبو عبد الرحمن السلمي (ت ٧٤هـ / ٧٠١م) هو صاحب الرواية المتداولة للقراءة التي يرويها عنه عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي (ت ١٢٧هـ / ٧٤٥م) ويرويها عن عاصم تلميذه حفص بن سليمان الأسدي الغاضري الكوفي (ت ١٨٠هـ / ٧٩٩م)، وأصبحت لحفص مكانة مرموقة بين القراء جعلت القراء يلتزمون بقراءته في المصحف المتعارف بين المسلمين وعليها مدار القراءة العامة.

وكان حفص يؤكد وراثته هذه القراءة من أمير المؤمنين إذ يروي عن أستاذه عاصم ذلك فيقول: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأتها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام.

ومن أمير المؤمنين استقى أهل القرآن من الصحابة علم التفسير، فقد عرف عبد الله بن عباس كأشهر مفسر عهدئذ، والكل يعلم أن ابن عباس تلميذه وخريجه، إذ كان ملازماً له، ومنقطعاً إليه، وكان يشهد بتفوقه العلمي على سواه، فعندما قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ قال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط^(١).

(١) الشيخ عبد الجبار الرفاعي. نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية. السيد حسن الأمين: ٢٠ / ٤٤-٦٩.

إن اهتمام الكوفيين بالقرآن الكريم كبير، وليس أدل على ذلك من أن قراء القرآن الذين شاركوا مع جيش الإمام علي عليه السلام في معركة صفين كان لقطعاتهم العسكرية نتيجة لكثرتهم وأهميتهم مكان متميز عن بقية جيش الإمام علي عليه السلام فيذكر نصر بن مزاحم أن قراء أهل العراق اتخذوا معسكرهم في ناحية صفين وكان عددهم ثلاثين ألفاً^(١).

هذا إضافة إلى إضطلاع الكوفيين بمهمات جمع المعارف وإحصائها وتصنيفها وتبويبها، حتى إن الكتب التي بقيت من ذلك الوقت، والتي هي بين أيدينا اليوم، تعود إلى ذلك الجيل من المريدين النجباء النشطاء^(٢) ناهيك عن ريادتها في علوم اللغة العربية - خلافاً لهشام جعيط^(٣) - كونها أكثر علماً بالبيئة العربية وإحاطة بخصوصياتها المعرفية بل وتمثيلاً لها، إضافة إلى كون الكوفيين أحسن استخداماً للآليات المستخدمة في استخلاص النتائج وأرهف حساً بالشعر.

لقد امتاز منهج الكوفيين في اللغة والنحو من بين أمور أخرى بحرصهم على أن تكون الأصول خاضعة في شكلها النهائي للأمثلة المسموعة، وإمعانهم في تتبع اللغوي، واستبعادهم أساليب المنطق، ومجافاتهم للتأويلات التي يخالفها الظاهر. ومن أجل هذا كانوا يمتازون بفهم العربية فهماً يستند إلى فقه الطبيعة اللغوية، لا إلى تكهنات تمحلية تملى على العربية إملاء كما كان البصريون يفعلون،

(١) ينظر: الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم. د. صالح أحمد العلي: ٥١٤، ووقعة صفين: ٢١١.

(٢) نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة. سابق: ٣٩٨.

(٣) المصدر السابق نفسه. ويذهب جعيط إلى أن مدرسة الكوفة النحوية ليست سوى واحدة من التنوعات التي أنجبها مدرسة البصرة، أي الخليل بن أحمد، وهو المعلم في كل شيء (نشأة المدينة العربية الإسلامية: ٣٦٢).

وكان مذهبهم أقرب إلى تصوير العربية تصويراً واقعياً، ونحوهم أكثر تمثيلاً للغة العربية بلهجاتها المختلفة. وبهذا ونحوه كان النحو الكوفي أكثر تمثيلاً للغة العربية، وأدق تصويراً لطبيعتها^(١).

لقد وضعت في الكوفة عاصمة الخلافة الإسلامية - كما ينص المؤرخون والباحثون - أقوم الخطط والمناهج لدراسة الشعر، والأدب، واللغة، دراسة واسعة جامعة، نوّهت بها جميع الآثار الموضوعية في تاريخ آدابنا العربية، حتى قيل إن الأدب أو الشعر ميراث في الكوفة، فلا بدع أن تحتفظ النجف بشيء من ذلك التراث الأدبي العظيم أو الثروة العلمية الضخمة، ومن المعقول أن تنطبع في ذاكرة المثقفين من أبنائها ذكريات الكوفة، ومآثر علمائها، وشعرائها، ونحاتها، ولغويها في خدمة اللغة العربية^(٢) خاصة إذا عرفنا أن النجف الأشرف أصبحت منذ حكم البويهيين كعبة للزوار، ومنذ ذلك العهد أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة تنتقل إلى الغري وتقطنها^(٣).

إن تركيز الباحثين الجدد على التاريخ السياسي والثقافي للحضارة الإسلامية في عصورها المتقدمة وإعادة قراءة وقائعها قراءة متأنية فاحصة هو الذي أتاح المزيد من الاطلاع على الدور الذي لعبته الكوفة بوصفها مكاناً لاستقرار الهجرات العربية، وساحة للصراعات السياسية الكبرى، ومدينة عربية محضة، أرست جنباً إلى جنب مع البصرة وعلى نحو جذري

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة. سابق: ٣٩٦ و ٣٩٥.

(٢) النجف وطقات شعرائها. الشيخ محمد رضا الشبيبي. مجلة الاعتدال النجفية. العدد الرابع من السنة الأولى. (١٩٣٤ م / ١٣٥٣ هـ).

(٣) خطط الكوفة. ماسنيون: ١٣٤.

أسس المشروع الثقافي في الإسلام^(١).

لقد استلهمت الكوفة ثقافتها من مرجعين أو نظامين أساسيين هما الإسلام من جهة، والعروبة البدوية من جهة ثانية، كما كانت تلك الثقافة على تماس مع ثقافات البلدان المغلوبة فتأثرت بها من خلال سعيها إلى الإجابة عن أسئلة جديدة لم يسبق أن واجهتها قط، فقد طرحتها عليها الظروف التاريخية والاجتماعية المستجدة، فقراءة القرآن، وجمع الأحاديث النبوية، وصوغ قانون قضائي، وتثبيت قواعد اللغة والكتابة، والتوق التاريخي إلى أيام الجاهلية وقيم العروبة البدوية، أو إلى العكس من ذلك إلى العصر الذي دشنته نزول القرآن ذلك كله شكل تحديات راح يتصدى لها مؤسسو الثقافة العربية الإسلامية، وفي خضم هذه الأمور التي كانت في طور التخلق انحسرت اللغة الحميرية لفظاً وكتابة لما فيه مصلحة اللغة القرآنية وكتابة أهل الحيرة^(٢).

وباختصار فقد ورثت هذه المدينة بيئة حضارية خصبة، واستحضرت مناخاً حضارياً عقلياً وعلمياً ثراً، ضم شتات التراث الإنساني ولبابه، منذ خطت يد الإنسان الحروف الأولى للأبجدية والكتابة في تاريخ الإنسانية في الألف الثالث للميلاد، لتحفظ لنا صيرورة الحضارة بأبعادها المادية والروحية والنفسية والعمرانية.

وكان ابن هذا الإقليم العربي المسلم الوارث لأجوبة السابقين من المذكورين في الكتب المقدسة ومن الآخرين الذين نوهت بهم هذه الكتب

(١) نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفة: ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق: ٣٩٥.

تنوياً إلى جانب وراثته لمجد الرسالات الموحدة الحنفية التي نقلت الإنسان من التعدد والشرك إلى التوحيد الخالص وانطلاقاً من الإنجاز العلمي والحكمي والعقدي الذي تفاعل في هذا الإقليم (الكوفة) إسلامياً، وشع على المسلمين، شرعاً وعقلاً وكلاماً وسياسة وحكمة وأدباً ولغة وعلماً إنه الدور العمراني الكوفي المشهور^(١).

فإذا عرفنا ذلك كله، وعرفنا جذر ثقافة الكوفة الإسلامية المؤسسة على مدرسة الإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام وتلامذتهم وأتباعهم من جهة، وتركيز مدرسة الكوفة من جهة أخرى على العروبة البدوية إضافة إلى شهرتها بالفنون الأدبية، اتضح لنا قيمة مدرسة الكوفة التي انتقلت إلى النجف، وانتقل معها ما حملت الكوفة من الأفكار المتبلورة بالدراسات السريانية، والعربية، والروحية الإسلامية، وهي، وإن لم تكن مدارس على نمط هذا العصر من حيث البناء والمكان، فهي مدارس على نمط عصرها، من حيث الاجتماع في المساجد، أو الساحات، أو الأسواق، والاستماع، والمناقشة، والمباهلة الأدبية، والقراءة والكتابة^(٢).

لقد قدّمت مدرسة النجف الأشرف وريثة مدرستي الحيرة والكوفة العرييتين البدويتين الصافيتين لغة، بل لقد قدمت المدرسة العراقية من قبل ومن بعد أكبر خدمة للغة العربية وآداب اللغة، لا يجاريها بعد القرآن الكريم إلاّ الحجاز بأسواقه، وفي مقدمتها سوق عكاظ.

(١) الجذر الحضاري لإقليم الكوفة والسؤال الفلسفي / العربي الإسلامي. د. علي حسين الجابري. حولية

الكوفة: ٢٠٢ / ١.

(٢) مدارس النجف القديمة والحديثة. الشيخ محمد الخليلي: ٢.

إن العراق قبل الإسلام في الحيرة والمربد قد أشاع اللغة العربية والفكر العربي والأدب العربي، وشد البلاد العربية برباط أدبي ووحدة أسلوب حتى كان ما في الحيرة والمربد هو ما في الجزيرة، وفي بلاد غسان وأسواق الحجاز ونواحية، وكانت الرابطة متينة بين الشعراء والخطباء ورسل الثقافة يومذاك، وما هم إلا مدرسة سيارة.

إن نظرة عجل على الإرث التاريخي الذي ورثته مدينة النجف الأشرف، ترينا أن جذوره تمتد إلى عهود متأصلة في القدم، فكم من معاهد أدبية توارثت الحركة الفكرية، معهداً بعد معهد، مثل (عاقولا) الواقعة حول الكوفة، أو هي الكوفة في الزمن القديم.

لقد كانت (عاقولا) مدرسة سريانية، وبقيت إلى عهد الرومان في العراق، وقد انتقلت إليها دراسات يونانية، ولما درست (عاقولا) نهضت (الحيرة)، فكانت واجهة كبرى للأدب، ترى فيها الكثير من الأفكار المبثوثة بين العاصمة (الحيرة) وما حولها من الديارات، وانتقل ما في (الحيرة) إلى (الكوفة)، ثم انتقل ما في (الكوفة) إلى (النجف).

أما في العهد الإسلامي فقد احتضن الحجاز مدرسة القرآن والسنة، وبقيت المدرسة العلمية والأدبية والفنية بما فيها من ترجمة ونقل واصطلاح وتعريف وتلقيح فكري وزواج ذهني لمدرسة الكوفة والبصرة والنجف وبغداد، وقد نشرت المدرسة النجفية عدة مدارس أعانت على خدمة الذهن واللغة^(١).

لقد نقلت هذا النص بطوله - مع تقديم وتأخير اقتضته طبيعة الفترتين الزميتين

(١) المصدر السابق: ٣/ ١١٣.

اللتين تحدّث وأتحدّث عنهما وهو ما أحسب أن يعذرني عليهما كاتبه - لأين مدى قيمة الشراء اللغوي والأدبي لماضي مدرسة النجف الأشرف سواء قبل الإسلام أم بعده وهو ما استوعبته، واستنطقته مدرسة النجف الأشرف الفقهية واللغوية، وتمثله منتدياتها الفكرية والأدبية الكثيرة.



المبحث الثاني

الأرضية الثقافية المشكّلة للبيئة العربية الحاضرة (المكتبات والدوريات أنموذجاً)

وفيه مطالب عدة سأتناولها تباعاً:

المطلب الأول:

مكتبات النجف الأشرف العامة والخاصة قديماً وحديثاً

تمهيد

توفّر مكتبات النجف الأشرف سواء الخاصة منها أم العامة الأهلية المرجع الفكري الضخم لمادة الإبداع العلمي والثقافي لأساتذة وطلاب الحوزة العلمية، ولمفكري النجف الأشرف وأدبائها بعامة، وللمراجعين أيّاً كانوا بشكل أعم، فقد عرفت النجف الأشرف قديماً وحديثاً بكثرة اهتمامها بالكتب، ووفرته فيها، وإلى ذلك أشار الكتاب والمؤرخون^(١).

يقول جرجي زيدان: النجف ضاهت بغداد في جمع الكتب، وفاقت عليها بجودة الخط، والكثرة، والقدم، واختلاف مواضيعها^(٢)، وقد لفت ذلك نظر بعض المستشرقين فأشار إليه بقوله: إن مكتبة النجف في العراق -ولعلها المكتبة

(١) ينظر مثلاً: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١٤٧ وما بعدها. الشعر السياسي العراقي. ابراهيم الوائلي:

٩٣، والعوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية فامتازت بها بين جميع البلدان العربية. جعفر الخليلي. الغابة

العذراء. جمع حامد المؤمن: ٥٩ وما بعدها.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١٤٧ نقلاً عن: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان. الجزء الرابع.

دون ذكر رقم الصفحة.

الحيدرية- كانت تحتوي في القرن العاشر الميلادي على أربعين ألف مجلد، بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها^(١).

ومن ذلك أيضاً ما نقله صاحب جريدة (كل شيء) البغدادية أنه زار أثناء مروره بألمانيا الشرقية البروفسور المؤرخ المعروف (هارفر)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة لايبزك، وحين جاء حديث الكتب والمكتبات، قال هارفر عن مكتبات النجف الأشرف: ما زال النجف منطلق الإشعاع الفكري العربي، وما زالت كنوزه الفكرية والأدبية والثقافية تبث الأنوار في الأفكار والخير في النفوس، وما زالت مكتباته تعج بأنفس الأسفار مما جعلها دائماً في مقدمة المكتبات العالمية^(٢).

وكما عرفت هذه المدينة المقدسة بمكتباتها الأهلية العامة الكبيرة التي تعج بالكتب المتنوعة المواضيع قديمها وحديثها، فقد عرفت أيضاً بكثرة مكتباتها الخاصة العامرة بشتى فنون المعرفة، والتي لا يكاد يخلو منها بيت من بيوتات النجف الأشرف، وخاصة إذا كان صاحبه من أساتذة أو طلاب العلوم الدينية، أو كان من المهتمين بالنشاط الفكري والثقافي^(٣).

وعرفت بعد هذا وذاك بكثرة احتواء مكتباتها عامة وخاصة على المخطوطات النادرة وليس أدل على كثرتها من استطاعة مركز دراسات الكوفة التابع لجامعة الكوفة من إحصاء ما استطاع الوصول إليه منها فبلغت حدود خمسين ألف مخطوطة

(١) شمس العرب تسطع على الغرب. هونكه: ٣٨٦.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة. القسم الثاني: ٣١٥ وما بعدها، نقلاً عن: جريدة كل شيء. بغداد. عدد (٢٥/٤/١٩٦٦ م/ ١٣٨٦ هـ).

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١٥٢ وما بعدها.

نصفها مسجل ونصفها لا زال غير مسجل، ناهيك عن عزوف العديد من أصحاب المخطوطات النادرة الثمينة عن البوح بوجودها عندهم، قلقاً من حدوث ما لا يحمد عقباه لها مستقبلاً.

* * *

١. المكتبات الأهلية العامة في النجف الأشرف قبل عام (٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ)

هناك العديد من المكتبات العامة في هذه المدينة المقدسة، وهي تضم بين جنباتها خزائن كتب خطية ثمينة، ربما ضاهت بما حوته خزائن مكتبات العاصمة بغداد أو تخطتها - كما يرى الباحث الموسوعي جرجي زيدان - بجودة الخط، والكثرة، والقدم، واختلاف المواضيع.

ويلحظ المتابع لهذه المكتبات العامة، وهي كثيرة نسبة إلى حجم المدينة وعدد سكانها، أنها مكتبات عامة أهلية، وليست رسمية، ذلك أن الحكومة العراقية ومؤسساتها لم توفق إلا إلى فتح مكتبة عامة رسمية واحدة في هذه المدينة المدمنة على حب القراءة، والمعجون تراها بالحرف.

وتعدّ (مكتبة الروضة الحيدرية) اليوم أو (الخزانة الغروية) قبلاً^(١) أول مكتبة عامة أنشئت في النجف الأشرف، وذلك في القرن الرابع الهجري، وهناك من الباحثين من يرى أن مؤسسها الأول هو عضد الدولة البويهية (ت ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) والمدفون حسب وصيته في مكان يدخل ضمن عمارة الحضرة العلوية الحالية،

(١) سميت هذه المكتبة بعدة أسماء منها - إضافة لما تقدم - الخزانة العلوية، خزانة الصحن، خزانة أمير المؤمنين، مكتبة الصحن العلوي، المخزن العلوي، المكتبة العلوية، المكتبة الحيدرية.

كما أنه المجدد لعمارة الحرم العلوي الشريف.

وقد ضمت خزانة المكتبة العلوية الكثير الكثير من الكتب المخطوطة كثير منها بخطوط مؤلفيها أو عليها خطوطهم.

ولعل من أسباب غنى هذه المكتبة أن الجاليات والرواد الهابطين على المدرسة النجفية من بلاد إيران، والهند، وأذربيجان، وما وراء النهر، والقوقاز، وجبل عامل، والخليج، وبعض نواحي اليمن، وغيرها، كانوا يفدون على النجف بشروعاتهم المادية والأدبية، وأهمها أمهات الكتب المخطوطة من كتب: الفلسفة، والرياضيات، والأدب، والفلك، والتاريخ، والمسالك والممالك، وقد كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الغالب المدرسة العلوية الكبرى (الصحن)، ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة، وكان لهم نقيب ينظم شؤونهم، وكانت في المدرسة العلوية خزانة كتب نفيسة، تجمعت مما يحملها المهاجرون، وكانوا بعدما يتزودون ب زاد العلم، ويعتزمون العودة إلى أوطانهم، يتركون ما حملوه من نفائس الكتب، وما ألفوه من رسائل وأطروحات، في خزانة المدرسة العلوية، محبسة على طلابها^(١).

إضافة إلى ما اشتراه لها خزانها، من كتب في أوقات مختلفة من عمرها الغني الوافر، وخاصة زمن تولي أمر خزانتها خازنها المعروف بـ(الآوي).

وهي المكتبة التي زارها الرحالة ابن بطوطة ووصفها بقوله: ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة، يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر،

(١) الأحلام. سابق: ١٧٢-١٧٤.

ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبّة^(١).

كما زارها الشيخ عليّ الحزين الكيلاني المولود سنة (١١٠٣هـ / ١٦٩٢م) عند مجيئه للنجف، وقال عنها في كتابه (السوانح الذي ألفه عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م): إن فيها من كتب الأوائل والأواخر من كل فن ما لا يمكن عدّه وحصره وكذلك وصفها السيّد عبد اللطيف الشوشتري في كتابه (تحفة العالم) عندما زارها عام (١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م) بيد أن يد الإهمال ناشتها قبل حوالي مائتي سنة، وازداد الإهمال زمن النظام الصدامي السابق، فبقيت -على يمين الداخل من باب قبلة الصحن الحيدري الشريف- مقفلة مهملة في عدة صناديق، لم تفتح وتحفظ من عوادي الزمن على مدى ثمانين عاماً مضت، وحين فتحت بعد سقوط النظام الصدامي لم يوجد فيها سوى (٧٥٠) كتاباً، معظمها مصاحف نفيسة يعود تاريخ بعضها -حسب أمينها العام- إلى أكثر من ألف سنة، عدا المصاحف الموجودة والمنسوبة إلى خط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

وكذلك توجد مخطوطات يعود تاريخها إلى ٩٠٠ سنة، مضيفاً إن المصحف الذي خط بخط الإمام علي يعتبر أقدم المخطوطات الذي تملكها العتبة وأن هذه المخطوطات محفوظة في غرفة خاصة للحفاظ عليها من السرقة^(٢).

وقد فتحت الغرفة المغلقة على مخطوطاتها الثمينة في سنة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م) من قبل لجنة خاصة مكلفة بذلك وبدأ العمل على صيانة كتبها وإصلاح ما أفسدته

(١) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ١ / ٣٣٠.

(٢) قاسم الكعبي نقلاً عن السيد هاشم الميلاني. المكتبات في النجف وكربلاء تحوي نفائس وكنوز العلماء. صحيفة الشرق الأوسط. العدد ١٠٩٨٠ في (٢٠ ديسمبر ٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ).

أيدي الزمان وما عمله التقصير أو القصور أو كلاهما فإننا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله الذي أعان فھياً لها اليوم حماة وحفظة لتدارك ما يمكن تداركه مما بقي من كنوزها الثمينة النادرة الوجود.

هذا وقد أدرج جعفر الخليلي في (موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف) ما عده من أهم المكتبات العامة التي عرفت بها النجف وهي:

مكتبة الملاي وهي مكتبة منسوبة لآل الملاً، وهي أسرة جمع بعض رجالها بين النقابة والحكومة والزعامة الروحية وسدانة الروضة الحيدرية مدة ثلاثة قرون ولعلها أقدم مكتبة عامة في مدرسة حوزوية، وكان فيها من الكتب النفيسة الكثير. ومكتبة مدرسة الصدر، وقد أسسها الحاج محمد حسين خان الصدر الأعظم حوالي النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ليستعين بها طلبة مدرسة الصدر.

ومكتبة الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وكانت تعتبر الأولى في الشرق من حيث نواذر الكتب.

ومكتبة الحسينية الشوشترية وقد أسست أواخر القرن الثالث عشر الهجري؛ ومكتبة مدرسة القوام وقد أسست في أوائل القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة مدرسة الخليلي وقد أسست في الخمس الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة مدرستي المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ(الآخوند) وقد أسست في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة مدرسة اليزدي وقد أسست في نحو الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛

والمكتبة المرتضوية وقد تأسست في نحو الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة الرابطة الأدبية وقد أسست في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ وليس فيها مخطوطات إلا القليل. ومكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد تأسست في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة جمعية منتدى النشر الدينية الأهلية وقد أسست في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة جمعية التحرير الثقافي وقد أسست في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة آل حنوش وقد أسست في حوالي الثلث الثالث من القرن الرابع عشر الهجري؛ ومكتبة الشيخ أغا بزرك الطهراني وسيأتي الحديث عنها وعن مؤسسها لاحقاً؛ ومكتبة الإمام الحكيم وهي الأخرى سيأتي الحديث عنها وعن فروعها المنتشرة في أنحاء العراق لاحقاً؛ ومكتبة البروجردي وقد أسست في الربع الأخير من القرن الرابع عشر.

وهناك مكاتب غيرها في الأعم الأغلب من المدارس الدينية أقل شهرة مما تقدم^(١).

لقد ازداد عدد المكتبات في النجف الأشرف شيئاً فشيئاً، حتى بلغ تعداد تلك التي كان لها شأن يذكر فيها حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري أكثر من ثلاثين مكتبة، بينما تعد المكتبات العامة المعروفة خمس عشرة مكتبة، تحتوي على مئات الألوف من المطبوعات المتنوعة، وربما أكثر من ذلك، ومعها عشرات الألوف من المخطوطات التي تحفل بالثمين والنادر من الكتب، وربما أكثر من ذلك أيضاً.

(١) للتعريف بهذه المكتبات وبعض من كتبها الثمينة ينظر: موسوعة العتبات المقدسة. جعفر الخليلي: قسم

وقد أثبت الباحث محسن عبد الصاحب المظفر توزيعاً للمؤسسات الثقافية في النجف الأشرف لسنة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) فبلغ مجموعها (٩٢١) مؤسسة ثقافية، كانت حصة المكتبات العامة الأهلية منها (١٨) مكتبة أهلية، ومكتبة رسمية (واحدة) فقط، وزادت مكتبات النجف الأشرف مكتبة أهلية عامة أخرى في السنة اللاحقة لها سنة (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) فبلغت (٢٠) مكتبة^(١)، ما يكشف عن مدى ثقل الإقصاء والتهميش السياسي الرسمي لها، وبلغت المكتبات الخاصة، الكبيرة منها والصغيرة (٧٥٠) مكتبة، ضمت بين دفتيها الكثير الكثير من الكتب المخطوطة النفيسة وأضعاف أضعافها من الكتب المطبوعة^(٢).

* * *

٢. ازدياد وتوسع نشاط المكتبات الأهلية العامة في النجف الأشرف بعد عام (٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ)

ارتفع عدد المكتبات الأهلية العامة في النجف الأشرف بعد سقوط النظام الدكتاتوري وانفتاح باب حرية المعرفة على مصراعيه سنة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) إلى (٣٣) مكتبة، وهذه المكتبات هي:

مكتبة الروضة الحيدرية المتقدم ذكرها، وقد نشطت همة بعض المخلصين بتوجيه من مكتب المرجع الأعلى السيد السيستاني لإعادة إحياء المكتبة العلوية مجدداً، فأعيد افتتاحها في (٢٠ جمادى الثانية من عام ١٤٢٦هـ / تموز من عام ٢٠٠٥م)، كما تم فتح خزانة مكتبتها القديمة، قبل سنة، من قبل لجنة مشرفة

(١) النجف حقيقة النشوء والارتقاء. الباحث الشهيد عبد الرحيم محمد علي. مجلة آفاق نجفية. العدد ١٢ لسنة

٢٠٠٨م: ٢١.

(٢) مدينة النجف الكبرى. محسن عبد الصاحب المظفر. رسالة جامعية مصفوفة على الآلة الكاتبة: ١٧٧.

مؤلفة من أعضاء يمثلون رئاسة الوزراء، ومديرية الآثار العامة، ودائرة الوثائق والكتب، وعلماء دين، والمكتبة منذ افتتاحها حتى يوم الناس هذا من سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) تواصل نشاطها الفعال في المدينة المقدسة من حيث موقعها المؤقت جنب مسجد عمران في الجهة المعاكسة لباب القبلة، من جهة باب الطوسي، وتشتمل بنائتها الحالية على طابقين، تبلغ مساحتهما خمسمائة متر مربع.

وتبذل الأمانة العامة للعبة الحيدرية المقدسة وأمانة المكتبة الحالية مساعي حثيثة لتخصيص مكان مناسب لها بخمسة طوابق ذي مواصفات ومقاييس عالمية.

ومن المكتبات الكبيرة الأخرى: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، مكتبة الإمام الحكيم العامة، مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامة، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة، مكتبة كاشف الغطاء العامة (الذخائر)، مكتبة أبي سعيدة الوثائقية العامة، المكتبة الأدبية المختصة، مكتبة الجامعة الدينية، مكتبة الإمام المهدي عليه السلام النموذجية، مكتبة دائرة الشؤون القرآنية، مكتبة دار الحكمة، مكتبة أسرة آل حنوش العامة، مكتبة جامعة الكوفة المركزية، مكتبة مركز دراسات الكوفة، مكتبة كلية الآداب، مكتبة كلية التربية للبنات، مكتبة كلية الفقه، مكتبة كلية الطب، مكتبة كلية الإدارة والاقتصاد، مكتبة كلية الهندسة، مكتبة كلية الصيدلة، مكتبة كلية العلوم، مكتبة كلية الزراعة، مكتبة كلية القانون، مكتبة الكلية التقنية مكتبة المعهد التقني في النجف، مكتبة الكلية الإسلامية الجامعة، مكتبة كلية الشيخ الطوسي الجامعة، مكتبة كلية الدراسات الإنسانية، مكتبة جمعية منتدى النشر.

ومنها أيضاً: مكتبة النجف الأشرف العامة وهي المكتبة العامة الحكومية التي تكاد تنسى لخمول ذكرها بين المكتبات العامة الأهلية النشطة في النجف الأشرف.

ولعل من بين أهم هذه المكتبات في الوقت الحاضر بعد مكتبة الروضة الحيدرية ذات التاريخ العريق التي تقدم ذكرها، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة التي تحتوي على ما يناهز نصف مليون عنوان بين مخطوط ومطبوع ودوريات ووثائق فيما يبلغ عدد المخطوطات فقط أكثر من (مائة وعشرين ألف) عنوان بعضها من نفائس المخطوطات، ومكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامة التي تحتوي على خمسة وثلاثين ألف كتاب فضلاً عن المخطوطات والمطبوعات والدوريات والوثائق ومكتبة الإمام الحكيم العامة التي تمتاز من بين هذه المكتبات المتقدم ذكرها بسعيها الحثيث نحو نشر الثقافة والعلم والمعرفة وتعميمها في أنحاء العراق كافة فضلاً عن النجف الأشرف، ولذلك عمدت ثانية بعد سقوط النظام الصدامي البائد إلى إعادة فتح فروعها العديدة المنتشرة في أنحاء العراق، تلك التي اقتلعها من جذورها النظام البائد من خلال اقتحامها ونهب كتبها واعتقال وإعدام وتشريد العديد من العاملين فيها، بل زادت المكتبة على ذلك بأن كثرت فروعها من (٧٠)، بما فيها الفروع المفتوحة لها في خارج العراق سابقاً إلى (١٢٢) فرعاً في العراق خاصة حالياً، وفيما يأتي إحصائية بعدد فروعها المفتوحة في أنحاء العراق لغاية سنة (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، وما يقابلها من عدد الفروع في المحافظات لسنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) على حسب تسلسل الحروف الهجائية^(١).

(١) رسالة من الأمانة العامة لمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف مؤرخة في (٥/٦/٢٠٠٩م/

١٤٣٠هـ) جواباً عن رسالتي الموجهة إليها بهذا الصدد.

اسم المحافظة	عدد الفروع حالياً	عدد الفروع سابقاً
محافظة بابل	١٣	٧
محافظة بغداد	١٤	١٤
محافظة البصرة	١٥	١٢
محافظة ديالى	٥	٥
محافظة الديوانية	٩	١٠
محافظة ذي قار	١٤	٠
محافظة صلاح الدين	٥	٠
محافظة كربلاء	٥	٧
محافظة كركوك	٢	٠
محافظة المثنى	٨	٠
محافظة ميسان	٨	٤
محافظة النجف الأشرف	٩	٠
محافظة نينوى	٢	٢
محافظة واسط	١٣	٥
المجموع	١٢٢	٦٦

هذا ما كان من أمر قسم من المكتبات العامة الأهلية في النجف الأشرف. بقي لي أن أشير إلى عدم وجود مكتبات عامة رسمية في النجف الأشرف بسبب التهميش والإقصاء الطائفي الذي عانت هذه المدينة المقدسة منذ تشكيل الدولة العراقية عام (١٩٢١م / ١٣٣٩هـ)، اللهم إلا مكتبة عامة رسمية واحدة فقط، وعدا مكتبات الكليات التابعة لوزارة التعليم العالي ومكتبات المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية وهي لا تعد شيئاً يذكر، ولا يقصدها إلا المتسبون إليها من طلاب وتلاميذ.

* * *

٣. المكتبات الخاصة في النجف الأشرف قديماً وحديثاً

امتازت النجف الأشرف بكثرة مكتباتها الخاصة التي يملكها أصحابها ويدخرونها في بيوتهم ونواديمهم، وقد جرت عادة العلماء والباحثين أياً كان تخصصهم أن يكونوا لأنفسهم مكتبتهم الخاصة بهم يرجعون إليها كلما دعتهم حاجة بحوثهم إلى الكتب، فإذا عرفنا أن الآلاف من العلماء والباحثين والأدباء شعراء وكتاب عاشوا في النجف الأشرف عرفنا عدد المكتبات الخاصة فيها.

لذلك بات من الصعب أن أعدها أو أحصيها، بيد أن ذلك لا يمنعني من ذكر بعضها معتمداً على ما أورده الباحث جعفر الخليلي في القسم الخاص بالنجف الأشرف في موسوعته (موسوعة العتبات المقدسة)^(١) وهي:

مكتبة الرحيم، مكتبة آل الطريحي، مكتبة الجزائري، مكتبة السيد عبد العزيز

(١) ينظر: الجزء الثاني من قسم النجف من موسوعة العتبات المقدسة. جعفر الخليلي ففيه تعريف بالمكتبة وصاحبها وبعض من كنوزها الثمينة: ٢٦٨ - ٣١٠.

آل الصافي، مكتبة آل بحر العلوم، مكتبة آل القزويني، مكتبة الشيخ جعفر الكبير، مكتبة آل محي الدين، مكتبة الشيخ محمد باقر الأصفهاني، مكتبة السيد أحمد هلاله، مكتبة السيد ميرزا الأصفهاني، مكتبة الحاج ملا علي الخليلي، مكتبة السيد علي بحر العلوم، مكتبة آل نظام الدين، مكتبة الحاج ملا باقر الشوشتری، مكتبة الخونساري، مكتبة النوري، مكتبة السيد محمد بحر العلوم، مكتبة شيخ الشريعة الأصفهاني، مكتبة بيت العبودي، مكتبة بيت المشهد، مكتبة آل نجف، مكتبة السيد حسن الحكيم، مكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء، مكتبة السيد محمد باقر الأصفهاني الرشتي، مكتبة السماوي، مكتبة السيد جعفر بحر العلوم، مكتبة السيد هاشم بحر العلوم، مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله، مكتبة الشيخ محمد علي اليعقوبي، مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة السيد صادق كمونة، مكتبة الحاج محمد علي البلاغي، مكتبة يوسف عبد الله شهيب، مكتبة الحاج عبد الزهرة فخر الدين، مكتبة السيد محمد الهندي، مكتبة الحاج ميرزا حسين الخليلي، مكتبة الأخوند الخاصة، مكتبة الشيخ عبد الله المازندراني، مكتبة السيد محمد سعيد الحبوبي، مكتبة السيد محمد كاظم اليزدي الخاصة، مكتبة المامقاني، مكتبة آل حرز، مكتبة آل المظفر، مكتبة الجزائري، مكتبة الشيببي، مكتبة آل الجواهري، مكتبة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مكتبة الشيخ عبد الحسين الحلي، مكتبة الشيخ جواد البلاغي، مكتبة آل الصافي، مكتبة الشيخ قاسم محي الدين، مكتبة الشرقي، مكتبة السيد علي شبر، مكتبة السيد محمد البغدادي، مكتبة السيد علي السيد هادي بحر العلوم، مكتبة السيد عبد الرزاق المكرم، مكتبة الهمداني، مكتبة صالح الجعفري، مكتبة السيد محمد تقي الحكيم، مكتبة الشيخ شاکر القرشي، وغيرها، وغيرها.

إضافة إلى مكاتب العلماء والأدباء والشعراء والخطباء وقد تقدم ذكر أقلها بذكرهم، وهي كثيرة جداً بكثرة علماء وأدباء وخطباء وشعراء النجف الأشرف الكثر الذين سيأتي ذكر المئات منهم لاحقاً.

ولست في مجال ذكر ما تحتويه المكتبات الخاصة في النجف الأشرف وفي مقدمتها مكاتب أساتذة وطلاب الحوزة العلمية من كنوز خطية ثمينة فهذا بحث خارج عن خطة بحثي، بيد أن ذلك لا يمنعني من ذكر أنموذج واحد منها تلك هي مكتبة الفقيه الأصولي الأديب اللغوي السيد محمد باقر التستري النجفي المتوفى سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) تلميذ المرجع المحقق الشيخ مرتضى الأنصاري التي كتب عنها وعن صاحبها الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي قائلاً: كان الشيخ التستري مفتوناً بجمع الكتب فتنة قل أن تعهد في غيره وكان إذا قدم إلى معرض الكتب في النجف كتاب مخطوط بذل النفس والنفيس في سبيله على قلة ذات يده، ولما عرضت كتبه بعد وفاته للبيع سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) كان فيها أكثر من (١٠٠٠) مجلد مخطوط نوادي عليها عدة أسابيع وكنت ممن يحضر المناذرة فشاهدت فيما شاهدت ما يدهش المتأمل من آثار نادرة في بابها ونفائس مخطوطات قليلة الوقوع حتى في أمهات بيوت الكتب الكبيرة في العالم^(١).

* * *

٤. المكتبات التجارية في النجف الأشرف

أما المكتبات التجارية المعدة لبيع وشراء الكتب فقد أربى عددها بعد سقوط نظام صدام حسين على (الخمسين) مكتبة تجارية، تزدهم غالبيتها في (سوق الحويش)

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام. سابق: ١ / ٣٠٣ نقلاً عن مجلة لسان العرب.

مقابل باب القبلة لصحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وداخل فروعه الضيقة، وهناك العديد منها في شارع الرسول صلى الله عليه وآله وأزقته المتعرجة وحواليه، وهي من الأماكن المعروفة لدى النجفيين، أما رواد الكتب التجارية من غير النجفيين فيحتاجون أول أمرهم إلى دلالة للوصول إليها؛ ذلك أن أماكن وجود مكاتب لبيع وشراء الكتب غير واضحة المعالم للزائر الأجنبي نتيجة ضيق الأزقة والدروب المنتشرة في مدينة النجف الأشرف القديمة.

* * *

٥. صرعى الكتب والمكاتب في النجف الأشرف

ولا يفوتني هنا- وأنا أتحدث عن الكتب والمكاتب في النجف الأشرف - ذكر حالة نادرة هي ولع كثير من رجالات حوزة النجف الأشرف العلمية بالكتاب المخطوط ولعاً يصل حد عشقهم له، وهيامهم بجمعه واستنساخه ويسمّون في النجف الأشرف بـ(صرعى الكتب)، من أمثال الشيخ علي آل كاشف الغطاء (ت ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م)، الذي كان يقضي سحابة يومه لابساً ثوبه المخطط بألوان الحبر، والمطرز بنثار رذاذ حبر الكتابة الملون ماسكاً بين أصابع يده -الممسوكة أصلاً بالمسطرة- قلماً من خيزران رشيق، مفترشاً الأرض خلف طاولة خشبية صغيرة، تعلوها محبرة، ومجموعة من كتب، وقد شدّ على عضده -وهو المشرف على التسعين- أعواداً خشبية تمنعه من الارتجاف والارتعاش.

لقد دخل الشاعر الشيخ علي الشرقي^(١) على الشيخ علي آل كاشف الغطاء ذات مرة، وهو ينسخ مخطوطاً من مخطوطاته، فكتب عنه يقول: لعشاق الكتب

(١) الأحلام. سابق: ١٧١-١٧٢.

نوادير كثيرة في وادي غرامهم هذا، منها أني دخلت على أحد هؤلاء الغلاة في هذا المذهب، وهو الشيخ علي آل الشيخ كاشف الغطاء في مكتبته الصغرى، التي اقتصرت على ما ورّقه بيده، ونسخ بخطه، فوجدته جالساً على الأرض، وأمامه طاولة صغيرة، عليها كتاب مفتوح، ومحررة، وقد شدّ على عضده مساطر خفيفة من الخشب شداً محكماً، يمنع الرعشة التي في يده، لأنه شيخ وهنت قواه، وقد شارف على التسعين من عمره، وكان لابساً ثوباً سميكاً خصص للكتابة، تراه مخططاً بألوان وألوان، من مسح القلم ورذاذه، وكان في يده قلم من الخيزران القوي، وكان مشغولاً بالنسخ، فسألته عن عمر ذلك الثوب، فقال بأن عمره يناهز السبعين عاماً، وهو عندي أطيب من الغلالة التي يصفها الشاعر:

كأذيال خود أقبلت في غلالة مصبغة والبعض أقصر من بعض

لقد شغف الشيخ بجمع الكتب، والتوفر على الاطلاع واقتناء النفيس منها، الأمر الذي حمله على التطواف في البلاد الإسلامية، فجاب الحجاز، ومصر، وسوريا، وعاملة (لبنان) وبلاد فارس، والهند، والترك، وتردد في الأستانة على بيوت الكتب، وتزوّد منها، واستفاد. وكان ينسخ ما يعجبه من المخطوطات، فيرفعه إلى رف مكتبته الكبرى.

وما دمت في ذكر الشيخ علي آل كاشف الغطاء ورفاق دربه اللاحقين له من المستهامين بجمع واقتناء الكتب واستنساخها، فمن الجميل أن أنقل طريقة واحدة من طرف هؤلاء النجفيين الأفاض المتولّين بحب الكتاب والكتابة، ولتكن من طرائف الشيخ علي آل كاشف الغطاء، وأحيل من أحب الاستزادة منها إلى غير هذا المختصر.

٦. بعض من نوادر صرعى الكتب في النجف الأشرف

فمن نوادر صرعى الكتب في النجف الأشرف وهي كثيرة هيام الشيخ علي آل كاشف الغطاء بالمخطوطات، وكلفه بنسخها، ومن نوادره في ذلك ما حدّث به المؤرخ الشيخ جعفر آل محبوبة عن الشيخ علي قوله: كنت في الأستاذة وكان عندي عيال، فأصبحت يوماً من الأيام ولم أملك شيئاً من الدراهم غير ربع مجيدي (وهي عملة عثمانية) فخرجت من الدار صدر النهار لأشتري لعيالي غذاء بذلك المبلغ، فمررت في سوق من أسواقها، فرأيت كتاباً، وكنت محتاجاً إليه، فشريته بما كان عندي وأتيت إلى أهلي وبقينا ذلك اليوم جميعاً بلا غذاء^(١).

ومنها في الأستاذة أيضاً، إنما هذه المرة مع جلواز من جلاوزة السلطان (العثماني) المرهوب عبد الحميد - (١٨٢٢ - ١٩١٨ م / ١٢٣٧ - ١٣٣٦ هـ) - فقد عثر الشيخ في إحدى مكتباتها مرة على كتاب (شرح أبي تمام على مهاجاة جرير والفرزدق)، وقد كان بخط مغربي قديم، ومعمّى، فعكف على تفهمه، وتهجّته حتى أتقنها، وبدأ ينسخه، وعندما بلغ الصفحة الأخيرة، وإذا هو بجلواز السلطان، يبلغه بعنف لزوم حضوره حالاً في الباب العالي، أي باب السلطان، وكان ذلك التبليغ رهيباً، يشعر بالخوف من المغبة، لأن الناس يعرفون، أن مثل هذا ينبئ بأن أحد الجواسيس المبتوثين بكثرة، وشى بذلك المجلوب، وقد حان وقت الحساب.

هلع كل من كان حول الشيخ، وجفل من ذلك الطلب، إلّا الشيخ الذي رفع رأسه باعتزاز قائلاً للجلواز: هيهات، لا ألبى الطلب قبل أن أتمّ هذه الصفحة، ولو قامت القيامة.

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ١٧٤.

وغضب الجلواز، وثابر الشيخ على الاستنساخ، وما كان من الحاضرين غير الإشفاق على الشيخ، والتوسل إلى الجلواز، والتمهل عليه، حتى يتم كتابة الصفحة.

وهكذا يتم الشيخ، ويتأبط النسخة كاملة، ويقول للجلواز: هيا ولما شخص إلى الباب العالي أبلغ بلزوم مغادرة الأستانة إلى العراق^(١)، وهكذا كان.

ولم يكن هذا هو حال الشيخ علي آل كاشف الغطاء وحده، فهذا الدكتور إبراهيم سلامة المصري يزور الشيخ محمد السماوي، ويكتب عنه فيقول: زرنا الشيخ محمد السماوي في داره ذات السلم المنحوت في الجدار، ولما مثلنا أمامه وجدنا القرن الثالث برمته متمثلاً بهذا الرجل، رجل يكاد ينهدم من الفناء، أصابعه كأنها خيوط العنكبوت، ولكنها تستطيع أن تقبض على القلم، وتستطيع أن تكتب، رجل يستطيع أن يفكر رغم كبره، قد تظنه مقيداً، ولكني لما طلبت منه كتاباً قام بسرعة وناولني الكتاب كأمر لص في بغداد! هي نعمة العلم التي جعلت هذا الشيخ بهذه القوة، هؤلاء الناس الذين ينقطعون للعلم، ويموتون للعلم، يعيشون مع الأموات في كتبهم ولكنهم أحياء^(٢).

وقد استنسخ الشيخ محمد السماوي بيديه التي شبهها زائرته بخيوط العنكبوت العديد من المخطوطات النادرة التي وقعت بين يديه، ووقف عليها، وقد أربت على المائتين، وكان من بينها عدد من الدواوين الشعرية، كما عمد إلى

(١) الأحلام. سابق: ١٧٢-١٧٤.

(٢) في الأدب النجفي. سابق. نقلاً عن مقال: مشاهداتي في النجف. مجلة الغري العدد ٨٦ السنة الثالثة. شباط ١٩٤٢. وأنظر: في الشيخ السماوي وولعه بالكتب ونسخها، المصدر نفسه في مبحث: الشيخ محمد السماوي أضواء على سيرته وشخصيته ٢٢٥-٢٧٢ وهوامشه ومصادره.

جمع أشعار عدد من الشعراء المنسيين. قال السيد جواد شبر نقلاً عن الشيخ محمد السماوي: إنهم يربون على الخمسين^(١).

وكما هو حال الشيخ محمد السماوي وصرعى الكتب الآخرين من علماء حوزة النجف الأشرف، كان حال الشيخ أغا بزرك الطهراني صاحب الكتب العديدة، ومنها موسوعته الشهيرة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، وموسوعته الثانية (طبقات أعلام الشيعة)، ذاك الذي أذكرني عشقه للمخطوط ونسخه، بعشق الشيخ آل كاشف الغطاء والشيخ السماوي له، كما أذكرني جلسة الشيخ آل كاشف الغطاء العتيدة، جلسة شيخنا الطهراني المألوفة، في بيته العامر الذي حوّلته إلى مكتبة عامرة بالمخطوطات المتنوعة، وبغيرها من كتب التراث العربي والإسلامي.

ولا زلت أذكر ذلك اليوم الصيفي الذي قادني فيه قدماي - وأنا طالب في مقتبل العمر لم يبرح مقعدي الدراسي المرحلة الثانوية بعد - إلى ذلك المحقق الجليل الشيخ أغا بزرك الطهراني ابن التسعين عاماً أو يزيد، ذي الشهرة الواسعة العابرة للحدود والقارات، والخلق الدافئ الكريم، صاحب اليدين المرتعشتين الذين يستعين بحنكه ليشبتهما كي يؤلف وينسخ، المغموستين بحبر الكتابة وبياض الورق، النحيفتين نحافة قصبته التي يغمسها بمداد الدواة، متى ما جف مدادها جفاف جسمه المعرض عن متع الدنيا ولذائذها الفانية.

وأذكر كما لو كان ذلك بالأمس - وقد مرت عليه سنون وسنون - يوم سألني الشيخ الطهراني عن اسمي واسم أبي ولقبني ليدونه بقلمه الخيزران المنقوع

(١) في الأدب النجفي قضايا ورجال. محمد رضا القاموسي: ٢٤٦.

بمحبته التراثية، ربما ليتعرف على رواد مكتبته، أو لينظم إحصائيته، أو لغير هذا وذاك، مما يشغل باله أو يهتم به، ثم ليسألني عن بعيتي من زيارة مكتبته.

وحين عرف على استحياء وخجل مني غرض زيارتي لمكتبته وأني أسأل عن مصادر ومراجع تعينني على الكتابة عن نثر الشريف الرضي الشاعر العباسي المشهور، نهض مقوَّس الظهر محدودبه، ليتسلق بهمة ابن العشرين، سلمه الخشبي إلى أعلى رف في مكتبته، كي يأتيني سعيداً وسريعاً ببعيتي.

منذ ذلك اليوم أصبحت أليفاً لمكتبة الشيخ المحقق، محباً لها، أتردد بطلب منه -متى شئت- عليها، وأدعو زملائي متى أعوزتهم الحاجة للتزود منها، ولا زلت بعد كل تلك السنين أذكر بوضوح ثوب (الشيخ) المزيّن بخطوط الحبر الملونة، وسعال صدره الرطب، رطوبة قدح الفخار الذي يشرب به، ووجبة غدائه الفقيرة التي جيء له بها يوماً، فدعاني لمشاركتي إياه إناء (ماء اللحم الأصفر) مأكول الفقراء مع رغيف الخبز الوحيد، فشكرته للطفه، وطيب كرمه، ومحبته، ودفعته.

ثم حين هممت بالانصراف من المكتبة، لما اعتبرته إشارة مؤدبة منه، لانتهااء فترة صباحه العملي، ولكي أترك له منفرداً فرصة تناول وجبة غدائه براحة أكثر، أصر عليّ كي استمر بعملي العلمي حتى أروي غليلي من كتبه التي كانت لا تزال مفتوحة أمامي، متماً بحث ما بدأت به، فاستجبت لمناشدته وإصراره على البقاء حتى أنتهي مما بيدي، وإذ انتهى من تناول وجبته الفقيرة وحن وقت ذهابه إلى مطرحة لأخذ قسط من الراحة أوصاني بغلق باب مكتبته العامرة خلفي جيداً، متى ما عزمت على مغادرة المكان، وهكذا كان.

ومن طرائف تولّه المحققين وتعلّقهم الشديد بالكتب المخطوطة خاصة، ما رواه المحقق الحاج أحمد الحلبي عن عشق المحقق المدقق المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي (ت ١٤٠٦ هجرية) بالمخطوطات بقوله:

«سمعت من المحقق الكبير آية الله السيّد محمد مهدي الخرساني رحمته الله وهو يحدث السيد محمد الطباطبائي ولد المحقق المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي في أوائل زيارته للعراق بعد سقوط النظام، قال السيد الخرساني:

عندما قرّر النظام تسفير والدك والعائلة سنة ١٩٧١ هـ، جاءت إليّ الوالدة وإخوانك وهم في ذعر وخوف وبكاء يشكون من السيّد الوالد أنّه رغم قرار التسفير فإنّ السيّد لم يهتم بذلك أبداً، فهو جالسٌ دون أيّ مبالاة يستنسخ مخطوطة لكتاب نفيس، فقلت لها: اتركوه وشأنه؛ لأنّه إذا فكر بالأمر ربّما يصاب بالسكتة القلبيةّ.

أقول: ثمّ وجدت أنا في كتابه (أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربية) عند ذكر كتاب (الذرية الطاهرة) للدولابي، بمناسبة ذكر النسخة التي استنسخها هو من الكتاب، ذكر رحمته الله في الهامش أنّه استنسخه حين تسفيره من العراق، وشكا هجرته تلك وفراق بلد أجداده إلى الله تعالى وأهل بيته صلوات الله عليهم.

وهذا نص ما ذكره رحمته الله في هامش الصفحة (١٨٦):

"وما أن توسّطت الكتاب إلّا وارتفعت النعرة الطائفية -طائفية في القرن العشرين.. وفوجئ الشيعة بنداء شيطانيّ انبعث من طاغوت مجنون يأمر بإخراج الشيعة من أوطانهم وأملاكهم ومساكنهم ومتاجرهم.. من الأرض التي سقاها أئمة الشيعة عليهم السلام بدمائهم، وضحووا في سبيل تحريرها وسعادتها بالغالي والرخيص..

وهل هناك أغلى من دم الحسين وأولاد الحسين وأنصار الحسين عليهم السلام.. هذا يوم كان سلف هذا المجرم -أحمد حسن البكر التكريتي ونائبه صدام حسين التكريتي يصالحون ملك الروم ويدفعون له الجزية ليتفرغوا لحرب الإسلام متمثلاً في آل محمد عليهم السلام.

وقد أمهل هذا الصارخُ الجهنميّ الشيعة لمدة ستة أيام -ستة أيام فقط!- لا تكفي للاستعداد لسفرة نزهة.. فكيف بها، وهي سفرة من دولة إلى دولة، يبدأ بها مسافرها مجرداً من بيته وماله، وينتهي غريباً ملقى في العراق. والذين أخرجوا من ديارهم بلغوا عشرات الألوف ممن يحمل الجنسية العراقية، وشهادة الجنسية.. بل ممن خدم الخدمة العسكرية!..

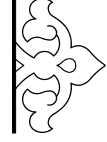
واستورد هذا الطاغوت الطائفي ملايين من المصريين.. وليتهم كانوا من الأخيار! ولكنهم ممن نبذتهم أرض مصر من مجرميها وذوي الأعمال المنحطة فيها... ولم يبح لهم احتلال أرض الرافدين -أرض الأئمة الأطهار عليهم السلام- إلا كونهم سنّين! وكون المخرجين من أرض آبائهم وأجدادهم شيعة لمحمد عليه السلام!

وبهذا القانون الوحشي الذي صدر يوم (١١ ذي القعدة سنة ١٣٩١هـ = نهاية كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١م، اقتلع الشيعة من ديارهم ومعابدهم ومعابدهم.. ولكن للباطل جولة، وسيعلم الذين ظلموا لمن عقبى الدار".



المطلب الثاني:

الدوريات



توطئة: انفتاح النجف الأشرف على الثقافة الحديثة مبكراً

انفتحت النجف الأشرف على الثقافة الحديثة في فترة مبكرة من حياتها المعاصرة، وبدأ بعض مثقفيها يتداولون على حذر منهم الصحف فيما بينهم كجريدة (الزوراء) البغدادية وجريدة (الإقبال) البيروتية قبل إعلان الدستور سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)^(١).

وليس أدل على ذلك من أن بعض مكاتب النجف الأشرف كانت تبيع الصحف والمجلات منذ حوالي عام (١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، وأن أبناء النجف الأشرف كانوا بحلول نهاية العقد الأول من القرن العشرين، يتابعون المجلات المستوردة من تركيا، وإيران، ومصر، والهند، وربما غيرها.

ومما يشهد لذلك أن دار الكتب والمكتبة الرضوية كانت قبل عام (١٣٣١هـ / ١٩١٢م) تضم بين رفوفها صحفاً، ومجلات، حديثة غير عراقية، وقد اعتاد النجفيون زيارة هذه المكتبة للمطالعة.

ومما يشهد له أيضاً أن مكتبة في أحد أوابين الصحن الحيدري الشريف يملكها عبد الحميد الزاهدي كانت تبيع، وتنشر الصحف السورية، والمصرية قبل عام (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)، وكان يرتادها الأدباء، والمثقفون، والسياسيون النجفيون، وفي هذه المكتبة كان (مكتب حزب الثورة العراقية) الذي أشعل الثورة

(١) ينظر: النجف في ربع قرن منذ سنة (١٩٠٨ م / ١٣٢٦ هـ). محمد علي كمال الدين: ٧٨.

العراقية الكبرى في اليوم الذي أطلقت فيه الرميثة الرصاصية الأولى ضد الإنكليز في (٢ تموز من عام ١٩٢٠م / ١٣٣٨هـ)^(١).

ويشهد لاستيراد المثقفين النجفيين للمجلات والكتب الحديثة الصادرة في البلدان الأخرى أيضاً، ما أورده عرضاً المؤرخ النجفي، والقاص جعفر الخليلي، من أن أخاه عباس الخليلي ترك في مكتبته حين فرّ من حبل المشنقة التي شق بها الإنكليز رفاق دربه الثوار الذين اشتركوا في ثورة النجف الأشرف سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م)، مجموعة من الكتب، والمجلات، والصحف الواردة من خارج العراق، والتي حوت قصائد لعدد من الشعراء المجددين ذلك الوقت.

يقول السيد محمد علي كمال الدين أحد معاصري تلك الفترة: لقد بدأت الصحف بعد إعلان الدستور تتعاقب إلى النجف ورأينا البريد يحمل في حقيقته بعض الصحف السورية الجديدة، وفي مقدمتها مجلة (العرفان)، تلتها بعد حين جريدة (البلاغ) البيروتية، ف(المقتبس) ثم (الحارس) و(البرق) اللبنانية، وبعد أشهر طلعت علينا الصحف المصرية ك(المؤيد)، و(المقطم) و(المقتطف) ف(الهلal) و(الأهرام) و(النيل)، وتلتها صحف الأستاذة -عاصمة دولتنا حينذاك- مثل جريدة (الاتحاد) لصاحبها عبد العزيز شاويس المصري، وجريدة (طنين) التركية لسان حال حزب (الاتحاد)، وثم مجلة (المنتدى الأدبي) العربية لصاحبها أحمد عزة بك الأعظمي، وأيضاً جريدة (الحبل المتين) التي تصدر في الهند باللغة الفارسية، كما كانت ترد بعض الجرائد الإيرانية^(٢).

ويؤكد الباحث المؤرخ جعفر الخليلي عن مدينته (النجف الأشرف)

(١) ينظر: شيعة العراق. سابق. ومذكرات السيد محمد علي كمال الدين: ١١ و ٢٥ و ٢٧.

(٢) النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ م. سابق: ٧٨.

موثقاً ذلك بقوله: إنها أكثر مدن العراق على الإطلاق اتصالاً بالعالم الخارجي البعيد والقريب، وهذا ما جعل النجف أسرع المدن في تجاوب الأفكار، لذلك لم يكن غريباً أن يكون الشيخ محمد رضا الشيبسي، والشيخ علي الشرقي، من أوائل من أبّن الباخرة (تيتانك)، ووصف غرقها، وأحاسيس ركاها أثناء الغرق^(١). علماً بأن غرق الباخرة تيتانك كان في سنة (١٣٣١هـ / ١٩١٢م).

كما لم يكن غريباً أن نقرأ في افتتاحية العدد الثاني من (جريدة الفرات) للشيخ محمد باقر الشيبسي، اللسان الناطق لثورة العشرين، الصادر يومها في (٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨هـ / ١٤ آب ١٩٢٠م) ذكر الثورة الفرنسية، والإيرلندية، والمصرية، وحق الشعوب في تقرير المصير، وما إلى ذلك^(٢).

بل بات من الطبيعي أن ترى السيد محمد تقي الحكيم يوم كان بعد طالباً من طلاب حوزة النجف الأشرف قبل أكثر من ثلاثة أرباع القرن من الآن، يتحدث عن الأدب الفرنسي خلال قرنين، وما أصطرع فيه من مذاهب أدبية، تفاوتت - كما يقول - من كلاسيكية، إلى رومانطيكية، إلى واقعية، إلى برناسية، إلى رمزية، ثم إلى وجودية التزامية، تزعم حركتها أثناء الحرب وبعدها الفيلسوف والأديب الوجودي سارتر.

كما شارك شعراء النجف مواطني الشرق: كالفرس، والهنود أنينها تحت ثقل المستعمر الغربي، وباركوا نهضات من نهض منهم لتحرير شعبه، ومجدّوا حركاتهم الانتفاضية على اختلافها، وقد وجدنا فيهم من نظم في (ستالين غراد) و(سواستبول) وغيرها.

(١) هكذا عرفتهم: جعفر الخليلي: ٢/ ٢٤٦ و ١/ ٣٧١ على التوالي.

(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين: ١٦٥-١٦٦.

أما قضية العرب الكبرى، (قضية فلسطين)، فقد كانت، وما تزال، مثاراً خصباً لأكثر شعرائها. وقد أخرجت جمعية (الرابطة الأدبية) فيها ديواناً خاصاً، تبارى فيه شعراؤها، لتسجيل صور من نضال ومآسي هذا البلد العربي، وما أخال أن في النجف شاعراً لم تأخذ حوادثها منه مأخذاً كبيراً.

كما أولى شعراء النجف الأشرف لقضيتهم مع الاستعمار، سواء أكان العثماني أم الإنكليزي أم غيرهما، كمصر مع الإنكليز، وتونس ومراكش وسوريا ولبنان مع الفرنسيين، وطرابلس وليبيا مع الطليان. هذه كلها عناوين لقصائد خالدة تجدونها في أكثر الدواوين النجفية معروضة عرضاً رائعاً^(١).

إن هذا الاحتكاك بالخارج العراقي كان ملحوظاً منذ وقت بعيد في النجف الأشرف، وآية ذلك ما قدره باحثون معنيون بالنشاط الفكري في النجف الأشرف أن ما بين (٥٠ - ١٠٠) صحيفة ومجلة في العقود الأول من القرن الميلادي الماضي كانت تصل النجف الأشرف كل اسبوع ابتداء من شهر تشرين الثاني من سنة (١٩١٢م / ١٣٣٠هـ)، وتوزع على المكتبات المختلفة في المدينة.

ومن بين المجلات المتداولة كانت مجلات: (المقطم) و(المقتطف) و(الهلل) و(الرسالة) و(المقتبس) و(الحبل المتين) و(المنار) و(العروة الوثقى).

وقد حملت المجلتان الأخيرتان: (المنار) و(العروة الوثقى) أفكار المصلحين جمال الدين الأفغاني الذي تلقى بعض علومه في مدرسة النجف الأشرف لسنوات، ومحمد عبده، وغيرهما.

(١) ينظر: مشكلة الأدب النجفي. السيد محمد تقي الحكيم. مجلة النجف. السنة الأولى. الاعداد: ٣-١٠.

كل ذلك وأمثاله يكشف مدى النشاط الأدبي والفكري والثقافي ودوام التواصل الشرّ لمدينة النجف الأشرف مع العالم الخارجي من جهة، وحرص النجفيين على التواصل مع العالم الخارجي ومتابعة ما يجري خارج النجف الأشرف والعراق في العالمين العربي والإسلامي من جهة وفي العالم أجمع من جهة ثانية.

ولعل خير مثال على اهتمام النجفيين بالانفتاح على العالم الخارجي تأسيس جمعية في النجف الأشرف في شهر تشرين الثاني من سنة (١٩١٢م / ١٣٣٠هـ) باسم (جماعة إخوان الصفا) يوم تطوع جماعة أوجب كل فرد على نفسه أن يدفع مقداراً معلوماً من الدراهم في الشهر، والغاية منه توزيع الصحف السيارة مجاناً على أهل قضاء النجف الأشرف ليقفوا على ما يجري في البلاد العثمانية والأجنبية من الأخبار والحوادث^(١).

فإذا أضفنا إلى ذلك ما صدر في النجف الأشرف ووزع في خارجها وخارج العراق من المجلات الفكرية والأدبية والصحف، اكتملت الصورة عن النجف الأشرف وانفتاحها على العالم الحديث بآدابه وعلومه وحضارته وسياسته وفكره أكثر فأكثر.

واليوم بعد سقوط النظام الصدامي البائد المحاصر والمحاصر للثقافة والمعرفة، وانفتاح سوق الكتب العراقية على دول العالم لنقل أحدث نتاجاتها ومطبوعاتها إلى العراق، تزدحم مكتبات النجف الأشرف بمختلف أنواع الكتب وتنوعاتها ومشاربها، بما فيها الكتب الممنوعة في بلدان مجاورة، والمحكوم على

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ١٣٣.

كتابها بالمروق من الدين، ولم لا؟ وقد عودتنا النجف الأشرف، وعودتنا حوزتها العلمية أن تفتح على الرأي الآخر، قارئة ومناقشة، تفرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل. وليس لك إلا أن تستعرض سوق الكتب في النجف الأشرف -كما استعرضته واستعرضه باستمرار- لتجد الشاهد تلو الشاهد على ما أقول.

* * *

١. الصحف والمجلات الفكرية الصادرة في النجف الأشرف قبل (٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ)

صدرت في النجف الأشرف العديد من الدوريات الثقافية في وقت مبكر من القرن الماضي أيام العثمانيين ثم توالى صدورها بعد ذلك.

لقد بلغ تعداد الدوريات التي صدرت في النجف الأشرف خلال القرن الرابع عشر الهجري وحده (تسعا وعشرين) دورية مختلفة بينها (إحدى وعشرون) دورية عنيت بالأدب^(١) وفي ذلك من الدلالة على ما توليه النجف الأشرف للأدب العربي من دور كبير ما فيه.

* * *

٢. الدوريات الصادرة في النجف الأشرف للفترة من (٢٠٠٣ - ٢٠١٠م/ ١٤٢٤ - ١٤٣١هـ)

ما إن سقط النظام الدكتاتوري المتحكم حد خنق الصحافة ومصادرة الحريات العامة حتى تفجرت عيون الأدب والشعر ونشطت حركة الصحافة

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ٢١٠-٢١٢.

النجفية بعد زوال قيود التحجير عليها، فكان أن صدرت للفترة من (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) إلى تاريخ كتابة هذا البحث (١٣٦) صحيفة نجفية^(١).

إن كثرة عدد الدوريات الصادرة في النجف الأشرف وخاصة إذ رفعت الحكومات الظالمة المنع والتقييد والحجر على حرية الصحافة، فخلت مدينة صاحب نهج البلاغة عليه السلام وطبعها ومزاجها العلمي والأدبي في النشر والتأليف كما حصل بعد سقوط النظام البائد في (٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ) تقدم لنا دليلاً مقنعاً عن الأرضية الثقافية للبيئة الحاضنة، فإذا أضفنا إليها ما تقدم من كثرة المكتبات العامة الأهلية في مدينة ليست بذلك الحجم السكاني الكبير، بات ما أنا بصدد إثباته واضحاً جلياً.

إن إجراء أية عملية حسابية لعدد المكتبات العامة والخاصة في مدينة النجف الأشرف مضافاً إليها عدد الدوريات الصادرة فيها نسبة إلى عدد سكانها وقاطنيها، ناهيك عن المجالس الأدبية والمنتديات الثقافية الكثيرة فيها، تعطينا صورة واضحة عن الأرضية الثقافية للبيئة الحاضنة بما لا نحتاج معه إلى زيادة إيضاح أو تفصيل.



(١) د. هادي عبد النبي التميمي (مخطوط). ويلاحظ خلو بعضها من جهة الإصدار لعدم الإشارة إلى ذلك في واجهة الصحيفة أو المجلة المعنية.



الفصل الثاني

الذائقة الشعرية للبيئة الحاضرة

يتضمن هذا الفصل مباحث ثلاثة هي:

المبحث الأول

ولع النجفيين بأدب اللغة العربية عامة والشعر منها خاصة

المبحث الثاني

كثرة أعداد شعراء النجف الأشرف ماضياً وحاضراً

المبحث الثالث

من عوامل وأسباب نشاط الحركة الأدبية في النجف الأشرف



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منها

المبحث الأول

ولع النجفيين بأدب اللغة العربية عامة والشعر منها خاصة

عرف عن أهل النجف الأشرف ولعهم بالشعر العربي، وولهم به، ينظمونه وينشدونه، ويستحسنون سماعه ويتناقلونه، ويؤثرونه على غيره من فنون القول الأخرى. يتساوى في ذلك عامتهم وخاصتهم، صغيرهم وكبيرهم، مما حدا بأحد شعراء النجف الأشرف لأن يقول عن نجف ما نصه: مدينتي هذه تنطق بالشعر حتى أحجارها، ومنذ الجاهلية ولأن لم يتوقف عن العطاء ينبوع الشعر الذي تفجر في صحرائها عذباً سائغاً رائقاً، ولعل ما تمور به أحجار النجف الأصيل التي يتناقل كبار شيوخها مولعين حكاية تقول: إن المدينة شيدت بأحجار معتقة وممهورة بالشعر والأدب والحكمة والمعرفة جلبت من كوفة إمام البلغاء علي بن أبي طالب عليه السلام والمتنبي، ومن منازدة حيرة النعمان، ونابعة بني ذبيان، هو ما أكسبها هذا الوله بالشعر وفنون الأدب، حتى كتب بعض النقاد بحثاً وهو يرصد هذه الظاهرة، فعنونه بعنوان (النجف بيئة شعرية).

ولا أدل على ذلك من أنك لا تكاد تجد من النجفيين من لم يحفظ قصيدة أو أبياتاً متفرقة من قصائد لشعراء متفرقين، ولا سيما من الشعر الحسيني الرائع، الذي يكرر الخطباء قراءته في المجالس المخصصة له، أو لإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام كلهم إذ تجد في يوم واحد العشرات من هذه المجالس، تعقد في العشرات من البيوت، بمناسبة وفاة عالم أو إمام، أو بمناسبة مجلس فاتحة

تقام لميت، أو بسبب ما يسمى بـ(عادة إقامة المجلس)، وهو أن بعض الناس يعقد في بيته مجلساً حسينياً في يوم معين، يختاره من أيام الأسبوع، كالسبت أو الأحد أو غيرهما، وعشاق المجالس الحسينية، الساعون لسماع قصة مقتل الحسين بن علي، والتاريخ الإسلامي، ولقضاء سهرة في بيت (صاحب العادة)، يسمر فيها بعضهم بالحكايات والملح والنكت، حتى ساعة متأخرة من الليل، ولهذا نجد أن حفظة الشعر في النجف، ولا سيما الشعر الحسيني، لا يحصى عددهم، حتى أنك تجد جميع الحاضرين في المجلس يشاركون الخطيب بترديده للشعر، وبنفس النغمة والطريقة، وإذا انقطع عن القراءة استمروا هم في إكمال البيت أو القصيدة، سواء أكان الشعر بالفصحى أو بالعامية^(١).

وليس هذا الوله بفنون الأدب، وبخاصة الشعر منها، مقصوراً على فئة نجفية دون أخرى، أو على شريحة منهم دون أخرى، بل هم يقتسمون بينهم هذا الوله الطاعي، كما يقتسمون الهواء والكلاء والماء.

ويشبهه أحد الباحثين مدينة النجف الأشرف في العديد من جوانبها بفلورنسا الإيطالية، رائدة النهضة الأوروبية، ولكن في إطار إسلامي، ففي فلورنسا والمدن القريبة منها ما كاد شاعر يرتقي منصة ليلقي منها شيئاً مما تفتقت به قريحته، حتى يهيم أصحاب الحوانيت إلى غلق محالهم ليتمتعوا بما يلقيه الشاعر من نتاجه، فإنها - (النجف) - بحق مدينة الشعر والأدب والفكر والعلم^(٢).

ولئن كنت اتفق مع الباحث في تشبيهه المدينتين الأدبيتين ببعضهما،

(١) العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية فامتازت بها بين جميع البلدان. سابق: ٧٢.

(٢) محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام ١٩٦٥. د. علي عبد شناوة: ٢٣-٢٤.

إلا أنني اختلف معه في تحديد أيها المشبه وأيها المشبه به منهما، ذلك أن النجف الأشرف سبقت فلورنسا في ولعها بالشعر ظاهراً.

لقد كان من المؤلف أن يغفو النجفي على نغمات الشعر التي تأتيه من كل صوب، مما يطوّح به الخطباء، تطويحاً رتيباً موسيقياً، كما يغفو الأطفال على الترنيمة، وهددة الأم. وليس من المستغرب أن يستيقظ النجفي في الصباح، وفي الصباح المبكر على هذا الغناء من الشعر الذي يأتيه من المجالس التي اعتادت أن تبكر بمآتم الحسين في صباح كل يوم، فلم لا تستيقظ في النفوس إذاً ملكة الشعر، إذا كانت الطبيعة قد خصتها بهذه الملكات بعد أن أصبحت المدينة كلها تعجّ بالشعر والغناء به. ولم لا تكون النجف بعد هذا البيئة المنفردة برعاية الشعر، وتحبيبه حتى لمن لا يفهم الشعر، ما دامت دنيا النجف كلها شعراً^(١).

وإذا أشعلت المرجعية الدينية شرارة ثورة العشرين ضد المحتلين، انبرى شعراء النجف الأشرف لأخذ دورهم في شحذ الهمم، وبعث العزائم، وتأجيج لهيب المعركة، وقد بلغوا من الكثرة العددية حدّاً يستحقون معه تأليف موسوعة أدبية خاصة بهم.

وليس الشعر وحده ودواوينه، ومجالسه ورواده، وجمهوره وعشاقه، محط اهتمام أبناء النجف الأشرف ومفكريها، وإن كانت للشعر منزلته الخاصة المميزة عندهم، ذلك أن العديد من كتب الصرف، والنحو، والبلاغة، والنقد الأدبي، وتاريخ الأدب، وفلسفة اللغة، وفقهها، والقصص، والروايات والمسرحيات شعرية ونثرية، كتبت وصدرت في النجف الأشرف، وتلقفها النجفيون وأحبوها.

(١) العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية فامتازت بها بين جميع البلدان. سابق: ٧٢.

وليس أدل على ذلك من أنك تجد من بين أوائل من كتبوا الرواية العربية في النجف الأشرف أحد مراجع التقليد فيها كما سيأتي.

ولعل من غريب ما يدل على شدة ولع النجفيين وعلماء الحوزة العلمية ومراجعها العظام باللغة العربية وآدابها وعلومها، من نحو، وصرف، وبلاغة، ولغة، وفقه لغة، وغيرها من علومها الأخرى، إضافة إلى ما نظم، وكتب، وألف، ونوقش، وحقق، ودقق، في علوم لغة القرآن الكريم، ما نقلته كتب المؤرخين من قصص وحوادث ووقائع علمية ودلائل بحثية تشير إلى ذلك، سأكتفي منها بذكر أربعة أمثلة، عسى أن تفني بالغرض.

أولها: أن الشيخ حسن قفطان (ت ١٢٧٥هـ، وقيل ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م) الفقيه الذي لولاه لصعبت الاستفادة من موسوعة (الجواهر) الفقهية للشيخ محمد حسن النجفي (الجواهري) أضخم موسوعة كاملة في أبواب الفقه، والشاعر واللغوي، برع في الإحاطة بمعجم (القاموس المحيط) للفيروز آبادي، فاستخرج منه كتبه التي اقتبسها منه، وهي: (طب القاموس)، و: (أمثال القاموس)، و: (رسالة المثلثات)، و: (رسالة الأفعال اللازمة المتعدية في المعنى الواحد)، و: (رسالة الأضداد)، وهذه الرسائل الخمس كلها منتزعة من معجم (القاموس المحيط)، كما كتب نبذاً في اللغة ألحقها (بالمصباح المنير) للفيومي كما سيأتي.

ثانيها: إن المؤرخين المعاصرين لمجدد علم الأصول المهاجر إلى النجف الأشرف من إيران للدراسة والتدريس سماحة الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) المرجع الأعلى في عصره قد حدثوا عنه بأنه كان ملماً بعلوم اللغة العربية المتنوعة، ومتقناً للنحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان،

وسمع أنه استطرق كتاب (المطوّل) للتفتازاني - في البلاغة العربية - أربعين مرة، ما بين بحث، ودرس، وتدرّيس^(١).

ثالثها: إن الحوزوي والشاعر اللغوي الشيخ محمد علي السوداني (ت ١٣٢٠هـ / ١٩١١م) كان محققاً في ضبط المواد اللغوية، يحفظ أكثر معجمي اللغة: (القاموس المحيط)، و(الصحاح)، ويحفظ الكثير من وقائع العرب وأشعارها وأنسابها^(٢)، بل كان مستحضراً لما يضبطه صاحب (القاموس)، وصاحب (الصحاح) من النقاط التي اختلفا فيها^(٣).

والمعروف أن كتابي: (الصحاح) لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م)، و(القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب المعروف بالفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) من أمهات الكتب اللغوية العربية المشهورة والمتداولة حتى يوم الناس هذا.

رابعها: إن الشاعر اللغوي الشيخ جواد الشيبلي (ت ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) كان يستحضر كل كلمة من كتاب (القاموس المحيط) المتقدم ذكره، وقد حاول أعلام عصره مجاراته فأخفقوا، وعزموا على مسابقته فقصر^(٤).

وقد بهر الرحالة المصري أمين الريحاني خلال زيارته للنجف الأشرف بما شاهده من سعة اطلاع أدبائها وعلمائها وعامتتها على علوم اللغة العربية وآدابها، وشد انتباهه وأثار إعجابه تعلق النجفيين باللغة العربية وآدابها وعلومها، شعرها

(١) معارف الرجال. الشيخ محمد حرز الدين: ٣/ ٤٠٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ٣٦١.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٢/ ٣١٤.

(٤) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٧٣.

ونثرها ومثل أمين الريحاني عدد غير قليل ممن زار النجف الأشرف فخرج منها بما خرج به السائح المصري من انطباع جميل عن حب النجف والنجفيين للغة العربية وآدابها، وهو ما سمعته من بعضهم مباشرة، أو عرفته عنهم، أو قرأته لهم، مما لا مجال لاستعراضه في هذا المختصر.

بيد أن ذلك لا يعفيني من ذكر طريفتين موحيتين:

أولاهما: ما أورده القاص جعفر الخليلي من أن أحد النجفيين أحيل مرة إلى امتحان يؤديه في دار المعلمين، فإذا اجتازه بنجاح عيّن معلماً، فسأله يومها العلامة الممتحن (طه الراوي) عن المستثنى بآلاً فلم يجب النجفي عن سؤاله، فقال له الراوي: والله لو وجهت هذا لبقال من بقالي النجف لأجاب عليه ولم لا، فكثير من الحرفيين في النجف الأشرف وكسبته وتجاره وعامة أهله كما وصف.

وثانيتها: ما نقله شاهد عيان قال: أعرف مجنوناً كان يأوي إلى حجرة من حجر الصحن الحيدري الشريف، وكان صبيان المدينة يجتمعون عليه، ويعبثون به، وإذا ما بلغت أذيتهم له مبلغاً يزعجه، يلتفت إلى نفسه ويقول: لقد حمي الوطيس، وطاب اللقاء، فلافتحمنهم، وأنا على بصيرة من أمري، ثم يثب، ويشدّ مئزره، ويقول:

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

فيهرع الصبيان أمامه، ولكنه لا يرجع حتى يطرح منهم جماعة، ويترك صراخهم عالياً، وعندئذ يعود إلى قواعده، وهو يقول:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يضع عصاه إلى جانبه، وينشد بينه وبين نفسه:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر^(١)

ومن أجل إلقاء ضوء أوسع على ولع النجفيين بالأدب العربي والشعر منه خاصة سأتناول جملة من الدلائل في نقاط عدة هي:

أولاً: كثرة أعداد المجالس العلمية الأدبية وكثرة ما ينشد فيها من شعر

ألفت بيوت أهل النجف الأشرف العلمية والأدبية المنتديات الثقافية الاجتماعية وأحببتها، ثم أدمنت عليها وورثتها، حتى لا تكاد تجد بيتاً علمياً ليس له نادٍ للبحث والنظر والحديث والسمر يلتقي فيه الأفاضل يتذكرون في مسائل العلم والأدب ويتناولون الأحداث المحيطة بهم، وأكثر ما تكون هذه اللقاءات في يومي الخميس والجمعة حيث العطلة الدراسية، فهي تقليد لا بد منه لطبقة تعمل في حقول الثقافة وتستدعيها مهمتها جديلاً وحواراً وتبادل وجهات النظر^(٢).

وتدور في مجالس النجف الأشرف ومنتدياتها، عادة، متى اجتمع شمل القوم، وحضر الحضر، وكان فيهم علماء وأدباء، المواضيع والأسئلة العصرية، والإشكالات المعقدة في الفقه وأصوله، أو في علوم القرآن وتفسيره، أو في نحو اللغة وصرفها، أو في فقه اللغة وقواعدها، أو في بلاغة النص ونسجه، أو في النظم ووزنه، أو رويّه وقافيته، أو ما شاكل ذلك، من مواضيع العلم والأدب، مما يعطي للطابع النجفي في العلم والأدب، ثره وشعره، نكهته المميزة.

(١) الأديب النجفي. محمد حسين المحتصر. مجلة آفاق نجفية. العدد الثاني عشر لسنة (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ).

ص: ٥٥.

(٢) الأحلام. الشيخ علي الشرقي: ١٠٣.

يقول المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين متحدثاً عن أحد هذه المجالس ذاك هو مجلس المجتهد الشيخ إبراهيم الغراوي (ت ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م) واصفاً إياه بأنه: "مخبط كل فقير ومأوى رحل كل مسكين، لا يغلق باب داره عن الشفيع والوضيع في كل وقت وفصل حتى منقطع المارة في الليل، ولم يزل مجلسه العلمي حافلاً بالعلماء وأهل الفضل، ولا يهدأ مجلسه عن المذكرات العلمية والفروع الفقهية، فكل من لديه مسألة عويصة، أو فرع مغلق يأتي إلى مجلسه".

ويضيف الشيخ المؤرخ قائلاً: "وكانت بيوت أهل العلم في النجف على هذا ونحوه، بل حتى المجالس العامة للسواد إذا حضرها أهل العلم لا تسمع إلا المذكرات العلمية بينهم، وناهيك بالمساجد والصحن الغروي المقدس حتى كان يسمع أصوات أهل العلم في المذكرات عصراً من خارج سور النجف"^(١).

لقد كانت هذه المجالس عنوان النجف منذ كان تأريخ النجف، وهي تمثل النجف تمثيلاً فيه الكثير من واقع النجف وحقيقته وأهدافه، وفي هذه المجالس كانوا يتبادلون الآراء والأفكار السياسية، وفي هذه المجالس كانت توضع الخطط، وتعد المناهج العامة، ثم هي بعد ذلك أشبه بقاعة المحاضرات، والدرس، والمباراة الشعرية، بل كثيراً ما قامت هذه المجالس بمهمة المحكمة، ففصلت بين المتشاكين، وتوسطت في حل المشاكل على قدر ما لصاحب المجلس من لياقة وقابلية وإلى مثل هذه المجالس يعود الفضل الأول في بذرة الاستقلال، ووضع أول خطة لكيفية المطالبة باستقلال العراق، ومن هذه المجالس انبعثت فكرة ثورة النجف الأولى في وجه الإنكليز، وإلى هذه المجالس يعود الفضل في تضيق دائرة الحروب

(١) ينظر: معارف الرجال (بتصرف): ١ / ٢٩-٣٠.

القبلية^(١)، وإليها يعود أيضاً أمر الحفاظ على اللغة العربية، وعمود الشعر العربي، من محاولات الطمس والإلغاء، كما تعدّ هذه المجالس والندوات مدرسة لنشر الثقافة والأدب، وصقل المواهب الشعرية الواعدة.

لقد فتحت في النجف الأشرف أبواب العديد من هذه المجالس حيث دأب فحول الشعراء، من سلف منهم، ومن غير، أن يلتقوا في منتدياتها بأشعارهم وأرواحهم، عابرين الأزمنة والأمكنة، من أمثال: أمريء القيس، وطرفة بن العبد، والخطيئة، وزهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، والفرزدق، وجريز، والسيد الحميري، والكميت، وأبي تمام، والبحري، وأبي نؤاس، والحسين بن الحجاج، والشريفين الرضي والمرتضى، ودعبل الخزاعي، والخيّام، والشيرازي، والسيد حيدر الحليّ، والسيد محمد سعيد الحبوي، والشيخ جواد الشيبلي والشيخ الشيبلي محمد رضا الشيبلي، والسيد باقر الهندي، والسيد رضا الهندي، والشيخ عبد المهدي مطر، والدكتور عبد الرزاق محي الدين، والشيخ محمد علي اليعقوبي، ومحمد مهدي الجواهري، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ أحمد الوائلي، وأضرابهم.

ومن هذه الأنندية العلمية الأدبية في القرنين الماضيين وشطر من هذا القرن -وهي كثيرة يصعب حصرها- ندوة السيد أبي الحسن ابن السيد صالح المعروف بـ(شرف الدين العاملي) (ت ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م)، وندوة الحاج باقر بن عبد الكريم الدشتي الكتبي (كان حياً في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م)، وندوة الشيخ طالب بن عباس البلاغي (ت ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م)، وندوة الشيخ سالم الطريحي

(١) الأحلام. الشيخ علي الشرقي: ١٠٣.

(ت ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م)، وندوة الشيخ محمد النقاش (ت ١٢٩هـ / ١٨٧٨م)،
ومجلس الشيخ إبراهيم الغراوي (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، وندوة الشيخ حسين
الدجيلي (ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م)، وندوة السيد حسين بحر العلوم (ت ١٣٠٦هـ /
١٨٨٩م)، وندوة الشيخ أحمد المشهدي (ت ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م)، وندوة
الشيخ عباس الأعسم (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م)، وندوة السيد حسين القزويني
(ت ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) وندوة السيد مهدي البغدادي (ت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)،
وندوة الشيخ محمد جواد الزابي المعروف بـ(حجّي) (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)،
وندوة الشيخ أحمد حرز الدين (ت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م)، وندوة الشيخ عبد الله
الغنامي (ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م)، وندوة الشيخ مهدي الحجار (ت ١٣٥٨هـ /
١٩٣٩م) وندوة السيد محمد رضا الصافي (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، وندوة الشيخ
محمد رضا الشيخ محمود المعروف بـ(ذهب) (ت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م)، وندوة
الشيخ قاسم محي الدين (ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م)^(١).

وما لحقها من ندوات ومجالس بيوت: آل محي الدين، وآل الصغير، وآل
الحكيم، وآل الخرسان، وآل البلاغي، وآل الصافي وآل الشرقي وآل كمال الدين
وآل كاشف الغطاء وآل بحر العلوم، وآل الجواهري وآل الشيخ راضي وآل
المظفر وآل الجزائري، وسواهم من الأسر العلمية، وما يزال هذا التقليد متبعاً
- وإن يكون بصورة أضعف - من بقايا تلك الأسر، أو من أسرقام لها حديثاً كيان
علمي واجتماعي وهو تقليد لا بد منه لطبقة تعمل في حقول الثقافة، وتستدعيها
مهمتها جديلاً وحواراً، وتبادل وجهات نظر، كما تقتضيها مكانتها الاجتماعية

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٩٣ - ٢٠٥.

أن تكون بيوتها مثابة للناس وأمناً^(١).

وبعبارة مختصرة: كان الشعر لغة حضار المجالس الأدبية متى ما تحولت الندوة إلى ندوة أدبية، بل كان الوسيلة التي يتعاطونها قصداً، إدامة للمناخ الأدبي الذي ينشأ في داخله الجيل القادم^(٢) من الحوزويين الشباب، إدراكاً منهم لأهمية الذائقة الأدبية ودورها في عملية استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

ثانياً: بعض من تأثير المجالس النجفية على روادها

يصف المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي المفكر والسياسي النجفي الشهير، ورئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق، مجلس والده المرحوم الشاعر الكبير الشيخ جواد الشبيبي وتأثيره في تنشئته العلمية والأدبية المبكرة، وتأثره الكبير به، وبرواده الأدباء، بقوله عنه: لم يزل ناديه (الشيخ جواد الشبيبي) من أبهج نوادي الأدب في النجف، تلقى فيه المحاضرات النافعة، وتجري فيه المناظرات المفيدة، والمذاكرات العلمية، فهو مجتمع الطبقة العليا من المهرة، الذين يفعل أحاديثهم في الأبواب ما لا تفعل السحرة^(٣).

ويصف المرحوم الدكتور عبد الرزاق محي الدين الشاعر والرئيس اللاحق للمجمع العلمي العراقي مجلس ابن عمته المغفور له الشيخ قاسم محي الدين بقوله:

(١) الحالي والعاقل. د. عبد الرزاق محي الدين: ١١ وما بعدها.

(٢) ينظر: نماذج منها في مجلة آفاق نجفية. العدد ٩ لسنة ٢٠٠٨ م. ص: ١٦٢ - ١٤٢ و ٢٦٢ - ٢٨٥، وهناك غيرها دون بعضها نجله الشيخ ضياء الدين زين الدين ولا زالت مخطوطة عنه.

(٣) نبذة من سيرة المرحوم الوالد الشيخ جواد الشبيبي. محمد رضا الشبيبي: ٣ منقولاً عن محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام (١٩٦٥ م / ١٣٨٥ هـ). د. علي عبد شناوة: ١٤.

شهدت قيام هذا المجلس فتى حتى جاوزت الأربعين، كان مراداً لطلاب العلم من إخوانه وتلامذته، يعقد فيه مساء كل يوم حتى أواسط الليل مجلس أدبي، لقد بدأ هذا المجلس ببداية نبوغ صاحبه، وكان يحضره في أول الأمر طلابه وإخوانه في الدراسة، وكان الطابع الغالب على ما يثار فيه النحو والعروض والبلاغة وأصول الفقه، ثم نما بنمو شخصية صاحبه ورواده، فعاد يضم أعلام الفقه وأساتذة الأدب، وبعض المراجع العليا في الدين^(١).

ويقف الدكتور محي الدين على تأثير هذه المجالس الأدبية العلمية على روادها وعليه بقوله: لقد كان هذا المجلس مدرسة أدب وعلم، تربى على فراشه كثير ممن برز في عالم الشعر والأدب-ولقد أكون مديناً له في جانب من تكويني الأدبي والاجتماعي-لقد كان في عون مجلسه مكتبة تحفل بأهميات الكتب^(٢).

ولا زلت أذكر من هذه المجالس العلمية الأدبية مجلس المغفور له المرحوم السيد علي بحر العلوم (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) واستمراره من بعد وفاته على يد أنجاله الكرام، حيث ينعقد المجلس مساء كل ليلة، بحضور العديد من وجوه القوم وسادتهم، وفي مقدمتهم العديد من المجتهدين من أمثال: أصحاب الساحة آية الله العظمى الشيخ حسين الحلّي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) وكبار تلامذته، وسيدي العم المرحوم المغفور له السيد محمد حسين الحكيم (ت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)، وسيدي الوالد (ت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، والمرجع الحالي السيد محمد سعيد الحكيم، والعديد من شيوخ الأدب وأمرأ الشعر والبيان من غيرهم، وفي مقدمتهم الشاعر المغفور له العلامة الدكتور السيد مصطفى جمال الدين،

(١) الحالي والعاقل. سابق: ١١ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

ورفيق دربه الأدبي والعلمي المضيّف المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، وكبار رجالات أسرته الكريمة وفي مقدمتهم العالمان الشهيدان السيد علاء الدين والسيد عز الدين، وكبار ساسة البلد، وسادة التجار، ومن في طبقتهم، ومن عامة الناس الكثير.

وكانا -عمي وأبي- من المعتادين يومياً على حضور هذا المجلس العامر، يقصده بعد انتهاء صلاتي المغرب والعشاء، وأنا معهم أحياناً أتبعهم اتباع الفصيل أثر أمه كما قال الإمام علي عليه السلام، وقبلنا، ومعنا، وبعدها، الزائر والدارس والباحث والمتابع والمؤرخ والمستطلع وغيرهم، حيث يطلون من خلال هذا المجلس العامر على حياة النجف العامة والخاصة، بكل اتجاهاتها الاجتماعية والروحية، وإذا بهذا الرهط من خيار الصحاب الذين يصاحبون السيد عليّاً ويأسونه، ينشطون في اتجاهاتهم العلمية والأدبية، فيختارون لأنفسهم اسم (الصفوة)، والحق إنهم كانوا صفوة القوم، في بحوثهم وآدابهم وأخلاقهم، في جدهم وهزلهم.

وكانت هذه (الصفوة) تتخذ من بيت السيد علي ندوة عامة وخاصة، فهي لا تفارق ديوانه صباحاً ولا مساءً، فإذا ما انصرف الناس، وقضيت بعض حاجيات المراجعين، من طلب وساطة السيد علي في أمورهم، لدى العلماء، أو لدى الحكومة، أو حل مشاكلهم الخاصة، وفض النزاع فيما بينهم، وانتهى المجلس، فيما هو فيه من مناقشات، وانفرط عقد الاجتماع، بقي أعضاء (الصفوة) في أماكنهم، وتحول المجلس العام إلى مجلس خاص، وعمر هنالك بألوان شتى من جدّ وسمر بريء، كانت تسوده النكت والظرف والدعابة^(١) والأدب، والشعر، والتاريخ.

(١) هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي ١/٣١٩ - ٣١٠.

ولا زلت أذكر بشوق أكيد كذلك، بل وأقص، الكثير الكثير مما كان يدور في مجلس جدي المغفور له المرحوم السيد محمد سعيد الحكيم (ت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ذاك المجلس الذي وصفه (ت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) أحد رواده الدائمين المرحوم الشاعر السيد جواد كاظم الحكيم (ت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) بأنه الملتقى الذي كان يجمع المراجع والعلماء، والفضلاء والأدباء، والشعراء والخطباء، والظرفاء من شتى الأصناف والطبقات، والذي وصفته بـ(عكاظ) في أول قصيدة قلتها، ولم أكن من قبلها قد قلت بيتاً واحداً من الشعر، ولا دار في خلدي، بل أكثر من ذلك كنت أراه عزيزاً عليّ ومستحيلاً. عندها علمت، وأيقنت أن من كان يرتاد هذه الرياض، وهذه الجنائن، وهذه المرباع، وهي تقدم أشهى الموائد، وأنيع الثمار، وأزهى الأزهار، في كل يوم، وفي كل ساعة، وعلى مدار السنة لا بد أن يرتوي بمناهلها، ويشبع من موائدها، ويتحلّى بمعارفها، وهو يدري أو لا يدري فأتى لعكاظ، وغير عكاظ، الذي كان يعقد في العام مرة، والذي أتخفك بعصارة عمره، وأزهى نتاجه، بسبع معلقات، شرفن بالبيت العتيق، من دار (السعيد) الذي يقدم لنا في كل يوم موسماً ومعلقة^(١).

وإذا كان لي أن أدلل على ما كان يدور في مجالس علماء النجف الأشرف الأدبية من نشاط ثقافي، أدبي شعري ونثري غزير، فإني سأنقل إنموذجاً يلقي الضوء عليها، وهو ما كان دار في مجلس المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) من مباراة شعرية تصح أن تعد ممثلاً لمجالس النجف الأشرف الأدبية ومجلس المرجع الديني الشيخ زين الدين الأدبي بشكل خاص.

(١) مقدمة قصيدة من ديوانه الخطي قالها بحق أستاذه السيد محمد تقي الحكيم وأهداها إليّ أولاده: ٣-٢.

لقد عقد المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين جلسة أدبية بمناسبة حلول ذكرى عيد الغدير الأغر (ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م).

حيث من المقرر أن يلقي أحد كبار حضار المجلس قصيدة إحياء للمناسبة، وحين اطلع بعضهم على القصيدة قبل يوم إلقتها تأمروا على شاعرها، دون علمه، فاتفقوا على أن يغير كل منهم تلك الأبيات بحيث يبقى مضمونها نفسه، ووزنها العروضي نفسه، بل تبقى كل كلماتها ومفرداتها ما أمكن، باستثناء القافية التي اتفق المتآمرون على وجوب تغييرها، فيكون لكل واحد منهم قافية مختلفة، وهكذا كان.

وحين حل يوم الغدير قال كل واحد من المتآمرين إن القصيدة لم تكن إلا قصيدته، وأنها سرقت منه، فكان لا بد من أن يحكموا من يقضي بينهم في هذه الدعوى، فوقع الاختيار على الشيخ الخطيب الطبيب الشاعر محمد الخليلي، فأظهر العجب هو الآخر من هذا التآمر، ومن هذه الخدعة الذكية بتحكيمة لذر الرماد في العيون، والحقيقة أن القصيدة لم تكن - كما ادعى - إلا قصيدته. فاضطروا إلى تحكيم حكم آخر هو الأستاذ الشاعر الشيخ صالح الجعفري.

لقد اشترك في هذه الجلسة اثنا عشر شاعراً هم: المرجع الشيخ محمد أمين زين الدين، الشيخ سلمان الخاقاني، الشيخ علي زين الدين، الشيخ علي الصغير الدكتور مصطفى جمال الدين، الدكتور صالح الظالمي، الشيخ محمد الإزيرجاوي، الأستاذ عبد النبي الشريفي، الشيخ محمد حسين الخزاعي، الشيخ محمد الخليلي الذي كان قاضياً فانقلب مدعياً، الشيخ ضياء الدين الخاقاني، الأستاذ صالح الجعفري القاضي الثاني.

ولقد بدأ الدعوى العلامة الحجة الشيخ سلمان الخاقاني، بعرض شكواه إلى القاضي في قصيدة طويلة منها قوله:

من ذا يردُّ صباباتي وأفكاري من معشر سلبوا بالجور أشعاري
من معشر خلتهم إن نكبة أو نالني حادث من خير أنصاري

ثم يسترسل في عرض شكواه التي لخصها بقوله:

قد كنت سجلت أبياتا أروم بها يوم القيامة إحباطاً لأوزاري
أبيات شعر بمدح المرتضى عرضت للنفس من وحي آدائي وأفكاري
وقبل إكمالها قد جئتُ أعرضها عليهم بين أسمع وأبصار
ما خلت أنهم سراق مألكة سراق قافية سراق أشعار

ثم يسأل القاضي تحري الدقة في الحكم فيقول:

فانظر إلى الكل في عين مجربة ترنو إلى الحق في حزم وإبصارٍ
وابدِ الحقيقة واقطع كل جازية تسطو على الشعر أو تلهو بآثارٍ

بعد ذلك بدأ بقراءة قصيدته المدعى سرقتها، ومنها بعد حذف مقدمتها الغزلية قوله:

تركت حبي وما لفقت من كَلِم في وصف كل جميل الشكل
أعني علياً أمير المؤمنين ومن في محكم الذكر فضلاً خصه الباري
وعدت والقلب مملوء هوى ثمل في حب من فيه إعلاني وإسراري

ثم قرأ المرجع الشيخ محمد أمين زين الدين قصيدته التي زعم أنها سرقت بعد أن قدم للقاضي كما هو المتفق عليه عريضته شعراً، وهكذا حال كل شاعر منهم، فهو يبدأ أولاً بعريضة الشكوى شعراً، ثم يقرأ قصيدته التي يزعم أنها الأصل وأنها سرقت منه، غير أنني تحاشياً للتطويل - رغم جمال المباراة الشعرية هذه - سأضطر إلى حذف عريضة الشكوى الشعرية لكل شاعر، والمقدمة الغزلية لكل قصيدة، وأكتفي بذكر ثلاثة أبيات من كل قصيدة مبتدئاً بقصيدة المرجع الشيخ زين الدين، وكانت الأولى بعد قصيدة الشيخ الخاقاني كما أسلفت، ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم وعدت أقرع مني سنّ ذي ندم
وكيف أحذر من ذنب أتيت به وقد جعلت بحبل الله معتصمي
أخلصت حبي للمولى الذي أخذت له الولاية ميثاقاً على الأمم

ثم قرأ الشيخ علي زين الدين قصيدته ومنها بعد حذف مقدمتها الغزلية قوله:

تركت حبي وما لفقت من كلم وعدت في جلد بالحزن ممتهن
وكيف أحذر من ذنب أتيت به وقد ضمنت نجاتي في أبي حسن
أخلصت حبي للمولى الذي نطقت بفضله محكمات الصحف والسنن

ثم قرأ العلامة الشيخ علي الصغير قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في وصف كل جميل الثغر بسّام
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل في حب من فيه أشواقي وتهيامي

أعني علياً أمير المؤمنين ومن في محكم الذكر فضلاً ذكره السامي

وجاء دور الدكتور السيد مصطفى جمال الدين فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في وصف كل جميل الشكل فتان

وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل في حب من فيه إسراي وإعلاني

أعني علياً أمير المؤمنين ومن قد خصه الله في آي وقرآن

ثم جاء دور الدكتور صالح الظالمی فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم وعدت أقرع سنّ النادم الحصر

وكيف أحذر من ذنبي وقد علقت نفسي بحبّ علي خيرة الخير

أخلصت حبي للمولى الذي أخذت له الولاية ميثاقاً على البشر

وجاء بعده دور الشيخ محمد الإزير جاوي فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم وعدت أقرع سنّ النادم الوجلي

وكيف أحذر من ذنبي وقد علقت نفسي بحب أمير المؤمنين علي

أخلصت حبي للمولى الذي أخذت له الولاية ميثاقاً من الأزل

ثم جاء دور الأستاذ عبد النبي الشريفی فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في مدح كل جميل الشكل عبّاق

وعدت والقلب مني قد تملكه هوى جديد فما يدنو لإخلاق

قد استقر بقلبي حب (حيدرة) قلبي بغير علي غير خفّاق

وجاء دور الشيخ محمد حسين الخزاعي فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في وصف كل جميل القدّ ميا
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل في حبّ من فيه أرجو نيل آمالي
أعني علياً أمير المؤمنين ومن بحبه أبتغي خطاً لأثقالي

ثم جاء دور الشيخ ضياء الخاقاني فقرأ قصيدته ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم في وصف كل جميل الثغر ذي شنب
وعدت والقلب مملوء الهوى ثمل من حب من فيه تجلى أعظم
أعني علياً أمير المؤمنين ومن في مدحه الله أوحى مُنزل الكتب

وجاء دور الشيخ محمد الخليلي -الذي اختير قاضياً أول الأمر فرفض-
فقرأ قصيدته التي زعم أنها الأصل ومنها:

تركت حبي وما لفقت من كلم وقد تغير منطوقي ومعتقدي
وعاد قلبي مملوءاً بحب فتى ولّاه في يوم حشر- الخلق معتمدي
أعني علياً أمير المؤمنين ومن أقام دين الهدى في مقولٍ ويد

وهكذا استمرت المعركة الشعرية بين شدّ شعري وجذب، كل شاعر يدعي شعراً أن القصيدة الأصل له وأنها سرقت منه، ويرد عليه الشاعر الآخر شعراً، فيفند دعواه، وهكذا حتى حكم القاضي الأستاذ الشيخ الجعفري بأن الأصل هي للشاعر محمد الإزير جاوي. لكن الحكم لم يصب الحقيقة، ذلك أن

القصيدة الأصل هي للشاعر الشيخ سلمان الخاقاني^(١). ومن أمثال هذه المباراة الشعرية في المجالس الأدبية النجفية الكثير^(٢).

ثالثاً: بعض مصادر توثيق مجالس النجف الأشرف

وثّق الشاعر الشيخ محمد الخليلي بعض ما كان يدور في مجالس النجف الأشرف هذه، بأن أَلَف كتاباً جمع فيه شيئاً من أدبها وظرفها ومرحها سمّاه: (في أندية النجف) نشر فصولاً منه في مجلة الدليل الصادرة في النجف الأشرف سابقاً، كما أَلَف الشاعر الشيخ عبد الزهراء الصغير كتابه الموسوم: (من أدب المجالس في النجف) نشر بعض فصوله في مجلة الكتاب الصادرة في بغداد في عدديها التاسع والعاشر من (ت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)، ونقلت بعضها مجلة آفاق نجفية في عددها التاسع من (ت ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م)، وللشاعر محمد حسين المحتصر أيضاً كتابه أدب المساجلات والمجالس.

وتجد في كتابي: (هكذا عرفتهم) و(شعراء الغري) للقااص جعفر الخليلي، وفيما نشره الباحث الدكتور محمد حسين الأعرجي عن روح الفكاهة عند النجفيين، وفي بعض مجاميع الأدب النجفي المخطوطة، نواذر ونتاجاً، وحكايا وقصصاً، وتواريخ شعرية وفناً، قل أن تسمع نظيرها في عالم اليوم المتخم حتى أذنيه بهموم متسارعة، تسارع مشاغله ومشاكله^(٣).

(١) ينظر: آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين. تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله. أحد طلاب

مدرسته الفكرية والأدبية: ٥٦-٤١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٦٥-٥٧.

(٣) انظر: في الأدب النجفي. سابق: ١٦٣. و ٢٠٥-٢٠٧.

رابعاً: الجمعيات الأدبية والفكرية في النجف

لقد أنشئت في النجف الأشرف إضافة إلى مجالس العلم والأدب، ومن بعض ثمارها أيضاً، العديد من الجمعيات الأدبية: مثل (جمعية الرابطة الأدبية) التي أسست عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، وكان لي شرف الانتماء لعضويتها لاحقاً، و(جمعية منتدى النشر) التي أسست عام (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، وكان لي شرف الانتماء لعضويتها لاحقاً أيضاً؛ و(جمعية ندوة الأدب) التي أسست عام (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م)؛ و(جمعية القرآن الكريم) التي أسست عام (١٣٦٥هـ / ١٩٨٥م) وقيل (١٣٦٧هـ / ١٩٨٧م)؛ و(جمعية ندوة الأدب) التي أسست سنة (١٣٦٥هـ / ١٩٨٥م)؛ و(جمعية التوجيه الديني) التي أسست عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)؛ و(جمعية رعاية الأدب والفكر) التي أسست عام (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)؛ وجمعية (مدارس النجف الأهلية الثقافية) التي أسست عام (١٣٩١هـ / ١٩٧١م)؛ وغيرها.

ولقد كان لتأسيس جمعية منتدى النشر لكليتها (كلية الفقه) سنة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م)، حيث كان لعمادتها وأساتذتها وخريجياتها دور بارز في تحريك الوعي السياسي في العراق والمنطقة وتنظيمه، وبث قيم الإسلام وتعاليمه، ونشر تعاليم أهل البيت، وأخلاقهم، وتاريخهم، وتراثهم، وقيادة الحركة الثقافية والأدبية في النجف الأشرف، ثم في مناطق مهمة من أنحاء العراق الأخرى.

أما اليوم فهناك العديد من المنتديات الأدبية وبيوتات الأدب ومحافله تمتلئ مجالسها دورياً برواد الأدب والفضيلة ويعمر ساحاتها الشعراء والنقاد ومحبو اللغة العربية وآدابها وعلومها.

خامساً: المجاميع الشعرية

لعل من الطبيعي أن تجد لكل شاعر من شعراء النجف الأشرف دفترًا صغيراً يحمله في جيبه ليدون في صفحاته مختاراته الشعرية، التي ينتقيها من دواوين الشعراء القدامى والمحدثين، أو من أفواه الشعراء أنفسهم، ومن الصحف والمجلات العراقية والعربية، وكان يطلق على ذلك الدفتر الصغير (مجموعة شعرية)، وكان صاحبها يضمن بها كثيراً، ولا يعيرها لأحد حرصاً منه عليها من الضياع، إذ أنها حصيلة عمره وسهره، تبدأ معه هذه الهواية منذ صباه، وحتى شيخوخته، وقد يتباهى بها بين أقرانه، بما تضم بين صفحاتها من نواذر الشعر وروائعه.

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية العديد من هذه المجاميع الشعرية الخطية لعل أهمها: مجموعة الشيخ مهدي كاشف الغطاء، مجموعة السيد علي بحر العلوم، مجموعة الحاج محمد رضا الشالجي، مجموعة الشيخ مهدي الحجي، مجموعة الشيخ كاظم السوداني، مجموعة الشيخ محمد جواد الحجامي، مجموعة السيد حسن القبانجي مجموعة السيد عبد الأمير الأعرجي، مجموعة الشيخ كاظم كاشف الغطاء، مجموعة الشيخ علي كاشف الغطاء مجموعة الشيخ جواد الشيبلي مجموعة الشيخ إبراهيم صادق العاملي، مجموعة الشيخ محمد حسن الجواهري، مجموعة الشيخ محمد رضا مانع، مجموعة الشيخ قاسم محي الدين، مجموعة السيد محمد علي الأوردبادي، مجموعة الشيخ عز الدين الجزائري، مجموعة السيد محمد صادق بحر العلوم، مجموعة الشيخ محمد جواد الحجي، مجموعة الشيخ حسن الدجيلي، ومجموعات السيد جعفر الخرسان الست التي عدت من المراجع المهمة

لمن أراد دراسة أو بحث تاريخ الشعر العربي في النجف الأشرف^(١).

ويأتي في مقدمة الشعراء الذين أدركتهم اهتماماً بمجموعاته الشعرية كيناً وكمّاً الشاعر السيد محمد جمال الهاشمي ولعله ينفرد بين إخوانه الشعراء بمجموعاته الشعرية التي يزيد عددها على العشر، وربما أكثر، وقد جمعها خلال أربعين عاماً^(٢).

ولطالما شهدت العديد من الشعراء النجفيين يخرج من جيبه مجموعته الشعرية، متى انشاحت نفسه، ورقت طباعه، وطاب به المجلس، وراق له المحفل، ليلقي على مسامع سماره وجلسائه، ما أضافه إليها من جميل الشعر بما يسحر، ومن عذبه وسائغه ما تطرب لإنشاده الأذان، وتهفو وتصفو وتحلق النفوس، وتندق وتضطرب القلوب.

أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أستاذي المرحوم الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، الذي اعتاد أن يحمل في جيب جيبته العلوي الأيمن -إن لم تخني الذاكرة- مجموعته الشعرية المكتوبة بخطه المنمنم، على صفحات دفتر صغير الحجم، سميك الجلد، كثير الأوراق، حتى إذا بدأ مجلس المرحوم المغفور له جدي السيد سعيد الحكيم ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع، يخلو شيئاً فشيئاً من جلسائه الكثر، وتنزع أجواؤه عن نفسها حمى نقاشات الفقهاء والأصوليين والمحدثين والمؤرخين وغيرهم، ما خلا متذوقي الشعر ورواده، صفاً

(١) ينظر: المجموعات الخطية ودورها في حفظ الأدب النجفي مجموعة السيد جعفر الخرسان أنموذجاً. بحث.

د. علي خضير حجي. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكنز المعارف والعلوم. مركز دراسات

الكوفة ١ / ١٣٧ وما بعدها.

(٢) من ذكريات عبد الغني الخليلي. مجلة الموسم: ٢٣-٢٤ / ١٦٩ وما بعدها.

الجو ساعتهما للشعر ومحبيه ومتذوقي فنه، الذين حان وقت توافدهم ذلك الوقت، زرافات ووحداً، وجاء السيد الشاعر جمال الدين بقامته المهيبة، ليجلس في صدر المجلس، حاملاً معه فوق حنايا صدره مجموعته الشعرية النفيسة، ضائلاً بها، -وهو الكريم- ضائلاً لا يعرفه إلا من يكابده من أهل الشعر والعشق والجمال، منتظراً أن يبادر متلهف ليطلب منه إسماعه جديدها ليتلذذ بإنشاده على من حضر من المتعطشين لإنشاده.

حتى إذا حُمن المغفور له سيدي الوالد عادة، أو المغفور له عمي السيد محمد حسين، أو المرحوم السيد حسن -وكان ثلاثتهم من مجتهدي حوزة النجف الأشرف المبرزين- استعداداً للإنشاد استجاب بابتسامة موحية، تبدو كما لو كانت مخبأة تنتظر الانبلاج.

وما أن يبدأ المغفور له السيد مصطفى جمال الدين بالإنشاد، حتى يبدأ الجمع بالتمايل، طرباً أو شبه طرب، رافعين أصواتهم بالاستحسان، وأنا منهم، طالين منه الإعادة عقيب كل بيت شعري أو مقطع ينشده، كان أخذ باللباب جمال تصويره، ودقة صنعه، ومتانة سبكه.

وهكذا من استعادة إلى استعادة، ومن دور إلى دور حتى يؤذن مؤذن الظهر لصلاتها، فينفض المجلس، مليئاً نداء ربه للقاءه، ولولا أن يحين وقت الصلاة لما انفَضَّ المجلس من الشعر، ولما خلا من المعجبين المسحورين به.

سادساً: هيام النجفيين بتقنية الشعر

عرف عن النجفيين صغاراً وكباراً ولعهم (بالتقنية)، ذلك أنهم كانوا يقطعون المسافات الطويلة، ويتحملون مشاق السهر، رغم ظروف العمل الصباحي،

التي تحتم على البعض أن لا تذوق عينه الرقاد لأجلها.

تقفية الشعر عادة قديمة في النجف الأشرف، ذكرها القاص المؤرخ جعفر الخليلي بقوله: كنا نحضر مجالس الأعراس والفوائح، بقصد الاستماع إلى ما يتلى فيها من الشعر، ولكي نرى كبار الأدباء عن كُتب، ونسمع تعليقاتهم على ما كان يتلى هناك، فقد جرت العادة أن تكون هذه المجالس عامة في مثل هذه المناسبات، وكنا نعالج تقفية القصيدة المنشودة، بأن نعين القافية قبل وصول المنشد إليها بكلمة، وأحياناً نعين القافية ومنشد الشعر لم يزل في صدر البيت من إنشاده، متوصلين إليها من سياق المعنى، ومقتضيات الشعر.

بل كثيراً ما كنا نتخذ منها وسيلة تسلية وأنس، أجل لقد كنا نرى ونسمع، كيف كان يقفّي الذين سبقونا في نضجهم الأدبي، وكيف كانوا يعترضون طريق الإنشاد، إذا ما ورد البيت معلوطاً من حيث لغته، وإعرابه، ووزنه، وكيف كانوا يصححون البيت آنياً، وبدون تأخير، فيستلفتون بذلك الأنظار إلى قابليتهم ومواهبهم، وقد تحدث بسبب هذه الاعتراضات مناقشات طويلة، فتستمر أياماً تقلب فيها المعاجم، والكتب التاريخية، والدواوين الشعرية، رأساً على عقب، بغية التحقيق والبحث عن أصل هذا الاعتراض وصحته، وقد عجمت هذه المجالس أعواد مرتاديها في الأدب، وجعلت لهم أذهاناً حادة لفهم أية إشارة أدبية واردة مهما خفيت، خصوصاً في الجنس، والتورية، والتواريخ الشعرية^(١) وفي التشطير، والتخميس، والمعارضة، والمساجلة، والمطاردة في الشعر.

(١) هكذا عرفتهم: ٣٨٥ / ١.

ولكل من هذه المسميات قواعدها وأصولها المعروفة عند هواة الأدب ومتذوقي الشعر في النجف الأشرف، فضلاً عن الأدباء والشعراء.

ولا زلت أذكر بشوق جلسة التقفية التي كانت تعمّر بيت جدي الواسع، ومجلسه اليومي الغني ب زاد المعرفة طوال أيام السنة، وخاصة ليالي شهر رمضان الكريم، من بعد منتصف الليل، وحتى ساعة السحر، حيث يقرأ سيدي الوالد أكثر من قصيدة عادة، من ديوان شعري لشاعر عربي شهير، يختاره هو، من دون أن يعلم أحد من المتسابقين في جلسة التقفية أي ديوان أو جزء من ديوان سيختار السيد هذا اليوم للمسابقة.

وأستطيع أن أقول الآن: إنه غالباً ما كان يختار أحد أجزاء ديوان (الشريف الرضي)، أو أحد أجزاء ديوان (مهيار الديلمي)، وربما (المتنبي) أو (الحمداني) أو (الخبوبي) أو (الجواهري) أو غيرهم، فإذا اقترب وقت السحر، وأنهى سيدي الوالد إنشاده، فانتبهنا بانتهائه من تقفيتنا، وتفرق السامعون، خرجتُ ساعتها برفقته، ومن معنا من أهلنا -وأنا بعد في مقتبل العمر- آمين معاً حضرة سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لنزور أمير المؤمنين، بنص زيارة زين العابدين لجدّه عليه السلام، وهي الزيارة البليغة حد الإعجاز، المعروفة بزيارة (أمين الله)، ثم ندعو عقيبها بدعاء السحر المعروف بـ(دعاء أبي حمزة الثمالي)، وهو الدعاء المعجز أيضاً ببلاغته ومضامينه العالية، وقد كنت ووالدي من المستهامين به، والمتلذذين بتلاوته، والمتنعمين بترديده.

ثم بعد أن نقضي من السحر في الحضرة الشريفة وطراً، نقفل عائدين مشياً على الأقدام، إلى بيتنا خارج المدينة القديمة، لتسحر، بما قسم الله لنا أن نتسحر به

من الأدام، ثم نقرأ من آيات الله البينات ما وسعنا الوقت، حتى إذا أذن المؤذن لصلاة الفجر، صلينا وعقبنا، بما نحفظ من أدعية نتلوها بعد صلوات الفريضة عادة، لنخلد بعدها إلى الراحة.

سابعاً: منزلة الشاعر عند النجفيين

يولي النجفي كل شاعر في مدينته الشاعرة مكانة متميزة من نفسه وقلبه، قلماً ينالها شاعر من أبناء مدينة أخرى في العراق وخارجه، فالنجفي ينظر إلى الشاعر بإعجاب شديد، ويتعطش لسماع إنشاده بلهفة واضحة، ويتمنى أن لو تهيأت له فرصة مجالسته ومسامرته والدنو منه والاجتماع به، ولقد كنت أتلهم، وأنا شاب في مقتبل العمر، لمجيء أستاذي المرحوم الدكتور السيد مصطفى جمال الدين إلى مجلس جدي المرحوم السيد سعيد الحكيم لعلّي أحظى بسماع قصيدة جديدة منه، من نظمه كانت أو من مختاراته، حتى إذا انتهى من قراءته للقصيدة المنتظرة مني بلهفة المتيم المترقب، هرعت إليه طالباً منه أن يمن عليّ بها، حتى إذا باتت بين يدي انصرفت عنه مبهوراً من شدة الوله الممزوج بالفرحة، لأدونها في مجموعتي الشعرية الخاصة بي، ثم لأحفظها بعدئذ عسى أن أنشدها على مسامع أصحابي ولداتي ومعارفي ومحبي الشعر وعشاقه.

ولم يكن هذا هو حالي وحال أمثالي من عمّار نادي سيدي الجدلّ وحدهم، ولا هي لهفتي وحدي للقاء الشاعر المبدع وسماع جديده منه، بل هو حال النجفيين غالباً، وخاصة أبناء الأسر العلمية الأدبية منهم، فهذا الأديب عبد الغني الخليلي يروي لنا في مذكراته، لهفة لقائه أول مرة بالشاعر المبدع السيد رضا الهندي صاحب القصيدة (الكوثرية) الرائعة وزناً، ومعنى، ومبنى، تلك اليتيمة التي

يحفظها النجفيون ويتغنون بها في ذكرى عيد الغدير الأغر، وما رافق ذلك اللقاء الحميم بين الشاعر السيد والشاب الخليلي النجفي، من إلحاح سائق نجفي على الشاعر السيد الهندي، علّه يوافق على أن يستصعبه معه إلى النجف الأشرف، مبدلاً قوت يومه، وقوت عياله، بصحبة شاعر في موسم شديد الزحام، يحرص على استثماره السواق عادة، لكثرة مدخولاتهم من زواره، وحسن إيراده لعوائلهم، يقول الشاب النجفي واصفاً يوم لقائه بالشاعر السيد رضا الهندي صاحب القصيدة الكثرية قائلاً:

كنت في الرابعة عشرة من العمر، يوم التقيت العالم والشاعر الكبير رضا الهندي الموسوي في كربلاء، يسأل عن سيارة توصله إلى النجف، فتقدم إليه سائق سيارة من أهل النجف، وقبّل يده، متوسلاً إليه أن يركب سيارته، ويشغلها وحده، دون أجر، ودون أن يشاركه فيها أحد، إلّا من يحب رفقته.

وبعد تمتّع شديد من قبل السيد رضا، قبل أخيراً دعوة السائق، وكنت أنا رفيقه، ولا تسل عن فرحي وزهوي بتلك الرفقة^(١).

ومثلما فرح الخليلي الطفل وزها برفقة الشاعر الكبير الهندي، كان الجواهري الطفل يعجب كيف يستطيع إنسان أن يجلس إلى جانب شاعر أو ينظر إليه.

لقد طار الطفل يومئذ وشاعر العرب الأكبر لاحقاً محمد مهدي الجواهري فرحاً وزهواً يوم زار والده صاحبه العالم وأكبر شعراء العراق يومئذ السيد محمد سعيد الحبوبي.

يقول الجواهري: كانت مهمة الصبي أن يوصل الشاي إلى الضيف الكبير،

(١) من ذكريات عبد الغني الخليلي. مجلة الموسم: ٢٣-٢٤/١٦٩ وما بعدها.

مهمة معقدة لابن اثني عشر عاماً أن يواجه أمير شعراء العصر، يستعيد الشاعر وقت الحادث قائلاً:

أعطتني والدتي -رحمها الله- الصينية، وفيها فنجانان، وصعدت الدرج الطويل المؤدي إلى الغرفة التي يجلسان بها، ولم تكد عيناى تلمحان السيد الحبوبى حتى شعرت بالصينية ترتجف فى يدي، ثم تقع فىنسكب الشاي على الأرض فتتكسر الفناجين.

ينجح الصبى فى المرة اللاحقة بتقديم الشاي للحبوبى وينسحب سريعاً^(١).



(١) الجواهري شاعر من القرن العشرين. د. جليل العطية: ٣٨-٣٩.

المبحث الثاني

كثرة أعداد شعراء النجف الأشرف ماضياً وحاضراً

عرفت النجف الأشرف من بين ما عرفت به كثرة شعرائها فلا نعرف في بلدان العرب بلدة تجاري النجف بكثرة تخرجها للشعراء خصوصاً في هذه القرون الأربعة الأخيرة، هذا مع مراعاة صغر رقعتها وأنها لا تعد في الحواضر الكبيرة، وقد يجهل الأديب أو المفكر العراقي هذه الحقيقة، ولكنني -يضيف الشيخ محمد رضا الشبيبي- لما كنت أنتقل في بعض الأقطار العربية وذلك خلال سنة (١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م) دهشت من الأسئلة الموجهة إليّ في هذا الشأن، ولا أنسى إلى الآن اهتمام فريق من أعلام الشام بالموضوع إذ ذاك، فقد سئلت لماذا يكثر حالة الشعر في النجف والحلّة؟ وما سر شاعريتهم؟ إلى هذا وغيره، والحق إننا إذا رجعنا إلى بعض كتب الطبقات أو التاريخ التي تم وضعها من بعد الألف للهجرة إلى عهد قريب، ألفيناها تسمي لنا أعلاماً كثيرين من شعراء وأدباء نجفيين، ولا أنسى كذلك أن فريقاً من فحول شعراء بغداد كانوا يحتكمون في مناقضاتهم إلى محافل النجف الأدبية، وذلك منذ عشرين سنة أو نحو هذا التاريخ، وقد كنا شباناً نطلب العلم في النجف إذ ذاك^(١).

ولئن تحدّث الشبيبي عما اعتاد سماعه في وقته عن كثرة شعراء النجف فإن ما سمعته لاحقاً من الشاعر الكوفي - النجفي عدنان الصائغ في لندن عمّا سمعه

(١) النجف وطبقات شعرائها. سابق: ١٤٦.

مباشرة من تساؤل ذي مغزى للشاعر المعروف (نزار قباني)، أمام جمع من الشعراء العرب والعراقيين في مهرجان الأمة الشعري المنعقد عام (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، حين قال الشاعر نزار قباني: لماذا تمطر سماء النجف (٥٠٠) شاعر في الدقيقة، ولا تمطر سماء جنيف سوى ساعات (أوميغا)، و(حليب نيدو) سريع الذوبان؟!

وتبين لنا دقة ملاحظة الأشقاء العرب عن كثرة شعراء النجف الأشرف من نتيجة الإحصائيات التي أجريت فوثقت هذه الحقيقة من ذلك مثلاً: الإحصائية التي أجراها المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) حيث أحصى في عصر المرجع السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م) وحده، وفي مدينة صغيرة كالنجف الأشرف، ما لا يقل عن (٢٠٠) من شعراء القريض عدا شعراء الشعر الشعبي.

ومثلها: ما أثبتته الموسوعة الشعرية ذات النسخة المتجددة سنوياً الصادرة عن المجمع الثقافي في (أبو ظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة من إحصائية انتهت إلى أن أعداد شعراء مدينة النجف الأشرف وحدها ما بين عام (١٨٠٠م / ١٢١٥هـ) وعام (١٩٥٠م / ١٣٦٩هـ) كانوا يفوقون عددا شعراء جمهوريتي مصر العربية وسوريا مجتمعين^(١).

وما لنا نذهب بعيداً، وهذا المرحوم الشيخ علي الخاقاني يكتب عن شعراء النجف الأشرف كتاباً يسميه (شعراء الغري) بلغت عدة أجزائه المطبوعة اثني عشر جزءاً أضاف لها مجلدين آخرين لاحقاً، ولكن المنية لم تمهله

(١) من كلمة للشاعر فارس حرام في ملتقى عالم الشعر الثاني المنعقد في النجف الأشرف. صحيفة عالم الشعر.

لإصدارهما للوجود. وقد كنت دلتته على بعض الشعراء المنسيين، ولو كان الآن حياً لأضفت لما قدمت سابقاً^(١).

وقد ترجم الشيخ علي الخاقاني في القسم المطبوع من (شعراء الغري) لخمسة شاعر، وشاعر واحد، وقد فاته منهم من قد فاته، فألحقهم بكتاب شعراء الغري الباحث كاظم عبود الفتلاوي في كتابه المسمى (مستدرك شعراء الغري) في أربعة أجزاء - لا زال رابعها مخطوطاً على ما قال لي مؤلفه - وقد نافت عدة (المستدرك) على مائتي شاعر من شعراء القريض، عدا شعراء الشعر الشعبي الذين ناف عددهم على (مائة) شاعر.

كما أحصى الباحث الدكتور عبد الصاحب الموسوي شعراء القريض في القرن الرابع عشر الهجري في النجف الأشرف، عدا من ولد منهم في القرن الثالث عشر الهجري، وتوفي في العقد الأول أو الثاني من القرن الرابع عشر، فكانوا (مائتين وثمانية وسبعين) شاعراً^(٢).

ثم أحصى بعده الشاعر المؤرخ الشيخ عبد الله الخاقاني من وقف عليهم من شعراء النجف الأشرف حتى نهاية العقدين الأولين من القرن الخامس عشر الهجري، فكانوا (سبعائة وواحداً وأربعين) أديباً شاعراً، وهو رقم يقارب مجموع من ترجم لهم الباحث علي الخاقاني في (شعراء الغري)، والفتلاوي في (مستدرك شعراء الغري) باستثناء الشعراء الشعبيين، وهم كثر.

(١) الأدب النجفي في القرن الثاني عشر الهجري. الشيخ سلمان الخاقاني. مجلة آفاق نجفية. العدد: ٨. السنة

الثانية. ١٤٢٨ هجرية/ ٢٠٠٧ م. النجف الأشرف. العراق. ص: ١٨٤.

(٢) الديوان. السيد جمال الدين: ١٦، وأنظر: حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع

عشر الهجري. د. الموسوي: ٦٦٧-٦٧٨.

هذا وهناك غير هؤلاء الباحثين من قدم ما ينفع في هذا الجانب مما لا تسعه هذه العجالة^(١).

ولقد سعيت لأن أحصي عدد شعراء النجف الأشرف بعامة إحصاء أولياً لا أدعي كماله، فكانت المحصلة أن عدد شعراء القريض في النجف الأشرف حتى تاريخ كتابتي لكتابي هذا قد بلغ حوالي (ثمانمائة وعشرين) شاعر قريض، أما شعراء الشعر الشعبي فهم ألاف بحسب تقديري المستند إلى شواهد مقبولة لا مجال لاستعراضها لأنها خارج مجال بحثي الحالي.



(١) انظر: موسوعة النجف الأشرف. شعراء النجف. القرن الخامس عشر. القسم الثاني: ٤٣١ وما بعدها
و: من أعلام ثورة العشرين السيد حسين آل كمال الدين. مجلة الموسم: ٢٩/٢٦٣.

المبحث الثالث

من عوامل وأسباب نشاط الحركة الأدبية في النجف الأشرف

يمكن للمتابع أن يشير إلى بعض من العوامل التي أسهمت في بعث النشاط الأدبي الملحوظ لدى النجفيين، وساعدت على إنتاج وضع خاص بهم وبمدينتهم، يكاد يكون مختلفاً عن أوضاع في مناطق ومدن أخرى، في أماكن أخرى داخل العراق وخارجه، فشكّلت هذه العوامل بمجموعها وبتفاعلها مع بعضها، خميرة مناسبة، هيأت النجف الأشرف لأن تكون منذ قرون عدة حتى اليوم (بيئة شعرية) كما وصفت، عسى أن تلقي هذه العوامل والأسباب بعض الأضواء التي قد تفسر لنا أسباب هذه الظاهرة الأدبية الملحوظة في مدينة النجف الأشرف، ومن هذه الأسباب:

أولاً: الخلفية التاريخية الفكرية لمدينة النجف الأشرف

تعد الخلفية التاريخية التي ورثتها مدينة النجف الأشرف من الحيرة أولاً، ثم من الكوفة بعد الإسلام، أرضية خصبة لنهوض فكري وأدبي واعد وقد تقدم الحديث عن ذلك سابقاً.

ثانياً: مصادر الفكر الشيعي الثرية

لعل مما هيأ الأرضية المناسبة للنجف الأشرف، وأعان على نشاط الحركة الفكرية في صفوف النجفيين، ما كان للشيعنة من مصادر ثرية للمعرفة، تزودهم بزيادة الفضيلة، من أدب النفس، وأدب اللسان، وصقل الذهن، ولطف الذوق،

والغور في التفكير، والتحليق في التصوير.

فكم من ألواح تاريخية، ولافتات للبطولة، وكم من قصص تهز جوانب القصاص، وكم من مُثُل نبيلة، وقدوة حسنة، ومواقف للرجولة، وحثٌّ على الطيبات، وبعث للمعروف، وتشويق لمكارم الأخلاق، كل ذلك بأسلوب راقٍ، وبيان فصيح بليغ جامع، مما تسمعه من المنبر الحسيني الموقر، إذا اعتلاه الأديب الواعي، ومما تقرأه في كتب مثل: كتاب (نهج البلاغة)^(١) و(شرحه لابن أبي الحديد)، وكتب المناجاة الروحية والتجرد، وما فيها من عروج وسمو، وكتب الأدعية والزيارات، مثل: (الصحيفة السجادية)^(٢) و(دعاء أبي حمزة الثمالي) و(دعاء كميل بن زياد) و(دعاء الصباح)^(٣).

هذا النور، وهذا الشذا، وهذا الشراب السائغ، تجده مشرقاً في نفوس النجفيين، وفي أنديتهم، وبيوتهم^(٤).

ثالثاً: الجذور العلمية والأدبية للأسر النجفية عامة

من الملاحظ للدارس والمتتبع، أن أكثر البيوت النجفية - وهي في مصطلح النجفيين تعني (الأسر الكبيرة) - ذات جذور علمية وفكرية وأدبية، فمنذ القرن الرابع الهجري والنجف الأشرف جامعة علمية، تشد إليها الرحال، للتزود بالعلم والمعرفة والثقافة والأدب حتى غدت مفعمة بالعلماء، وراج بها سوق العلم، حتى أنك لا تمرّ بدار من دورها، ولا محفل من محافلها، إلّا وتسمع أصوات المذاكرة

(١) للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) ثلاثتها من الأدعية الشريفة المروية عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) الأحلام. سابق. ١١٢-١١٣.

بالمسائل العلمية على أنواعها، وترى حلقات الحديث، وثيقة العرى، متماسكة الأطراف^(١) عامرة بالشعر والأدب والعلم.

يقول أحد المؤرخين المدققين: تتبعت أكثر البيوت والطوائف النجفية الموجودة اليوم، والمنقرضة، فرأيت لها في القديم، ومن مبدأ هجرتها، نصيباً في العلم، وحظاً في الأدب، وإن كانت هي في غير ذلك الوقت تشتغل ببعض المهن والصنایع الدارجة، كالنساجة، والصياغة، والصيرفة، والحدادة، وغيرها من سائر التکسبات، حتى أن بعض المشتغلين بالمكاراة الآن، كانت لبعض أسلافهم يد في العلم، وسهم في الأدب^(٢).

رابعاً: طباع النجفيين العربية الأصيلة وفي مقدمتها الكرم البانخ

لقد أعان على نشوء الحركة الأدبية في النجف الأشرف أيضاً، أن طباع أهل النجف الأشرف وشمائ أهلها، والطابع العام لسكانها، هو الطابع العربي القريب من البداوة، فالعشائرية، والنخوة، ورعاية الجار، والكرم، والضيافة، وتعشق الحرية، والبساطة سمات بارزة، يلمسها أبناؤها، بل كل وافد إليها.

وليس أدل على ذلك مما أثبتته باحث نجفي هو محمد علي كمال الدين^(٣) (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م) الذي أرخ لطبيعة مجتمعه النجفي كما رآها في ربع قرن ابتداء من سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) ولربع قرن حيث قال: إن الطابع العربي في النجف ماثلاً على أشد ما يكون من قوة، نرى الخلال والأخلاق العربية مفخرة

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣٧٦/١.

(٢) المصدر السابق: ٣٧٦/١.

(٣) النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ م. محمد علي كمال الدين. تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري: ٤٩.

النجفي وثوبه الفضفاض، نجد العربية وآدابها هي السائدة بين عموم الطبقات، إلا بعض أسماء الأدوات الأجنبية اندست في لغة العامة، والقليل من الوطنيين من يعرف إحدى اللغات الأجنبية، بل انعكست القضية فتأثر الأجانب بالطابع العربي، واستحالت القوافل الأولى منهم إلى عرب وطينين حازوا على كل الميزات القومية العربية تقريباً حتى ساد في النجف على معظم المهاجرة نفسها أدب اللغة والشعور العربي وكذا العادات والأخلاق.

ويخلص الباحث إلى وصف الفرق بين النجف الأشرف وغيرها من مدن العراق الكبيرة التي اختلط سكانها بغيرهم من المهاجرين الأجانب بقوله: وعليه فلا يصح للباحث أن يقارن بين النجف وبين بعض المدن، فإن الأخيرة استعجم بعض عربها الأقحاح واصطبغت العجمة حتى ملامحها وسحنهم وظهرت في لهجة لغتهم بصورة جلية.

وهذا المؤرخ والباحث والشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي^(١) يلاحظ بشاعريته هذه الخوصصة في مدينته ومسقط رأسه فيقول عن نجفه بعد حديثه عن إرثها الأدبي والشعري الذي ورثته من حيرتها الجاهلية وكوفتها الإسلامية: ثم إننا نرى النجف من جهة أخرى حاضرة عربية في موقعها ونزعتها وسجايها سكانها على الأكثر، فهم يتعشقون حريتهم ويميلون إلى البساطة في معيشتهم، والبلد واقعة على مرتفع يشرف على (البحيرة) الجافة المعروفة، ثم على أفق واسع الرقعة مترامي الأطراف من الصحراء، ولمغرب الشمس مساء كل يوم وانحدارها في قلب تلك البحيرة أو في جوف الصحراء منظر رائع طالما شاهدنا الطارئين على النجف، ولاسيما من الغربيين يتذوقونه ويقصدون تلك الأنشاز للتمتع به،

(١) النجف وطبقات شعرائها. سابق: ١٤٩.

ثم لا تكاد تغيب الشمس في كثير من الأماسي والعشايا حتى تسطع الكواكب، أو يبرز (ملك الليل) من ناحية المشرق يتهادى في سماء صافية الأديم، صحيحة الهواء إلى أن يغمر الصحراء أو الكون بأشعته الفضية فيتكون من ذلك منظر آخر لا يقل في روعته عن المنظر السابق، ولا ينفك يذكي خيال النجفي الحساس ويغذيه غذاء لا ينفد معينه ولا تنقطع مادته.

أضف إلى ذلك أن النجف تقع بين الريف العراقي المنتشر على ضفاف الفرات، وبين البادية الممتدة من العراق إلى الحجاز، وهي السوق المشتركة بين عشائر الريف وعشائر البادية. وهذه الصلة الاقتصادية بين طرفي الريف والبادية، وبين النجفيين هي التي طبعت النجف بهذه السمات والشئال البدوية، حتى أصبحت، وهي المدينة المتعلقة بكل أسباب التطور المدني، عشائرية الروح، بدوية المجتمع^(١) واللهجة.

يقول الشيخ محمد رضا الشيباني مشيراً إلى هذه الخصيصة: وقد فطن بعض السواح من المستعربين، إلى أن لهجة النجفيين من أفصح اللهجات العربية في هذا العصر، وقد سمعت منهم ذلك^(٢).

فهذا المستشرق الباحث ماسنيون خلال كلتا زيارتيه للنجف الأشرف، مطلع القرن الماضي، وفي الثلث الأول منه يثبت في كتابه (خطط الكوفة) قوله: "إن النجف الأشرف تختلف عن غيرها من المدن؛ كونها عربية اللغة والطباع، بل وبدوية في عروبته"^(٣). وسيأتي مدى انصهار المهاجرين بلغتها وطباعها، بل بأدبها وشعرها لاحقاً.

(١) الديوان. السيد مصطفى جمال الدين: ١٤.

(٢) النجف وطبقات شعرائها. سابق: ١٤٩.

(٣) خطط الكوفة. ماسنيون: ٣٦، وينظر: تاريخ النجف الأشرف: ٣ / ١٠٨.

وهذا الباحث الأمريكي إسحاق نقاش يثبت في كتابه (شيعة العراق) الصادر -بعد ستة عقود من كتاب ماسنيون المتقدم- عروبة النجفيين، بل وعشائرية مجتمعهم، بل زاد فذهب إلى أن النجف الأشرف قامت بوظيفة مدينة سوق صحراوية ومخازن حبوب في العراق ما جعل النجف قناة اتصال هامة بين العشائر، وأنها باتت منذ القرن التاسع عشر السوق التجارية لبدو الصحراء من أجل بيع الحبوب والرز والتمور والأقمشة والمركز الكبير لتجميع الصوف وجلود الأغنام والإبل، وكانت النجف تجتذب القبائل من الجزيرة العربية وكذلك من الصحراء السورية مثل الفروع الرحل من قبيلة عنزة وغيرها من القبائل العربية البدوية التي دأبت على أن تضرب خيامها في منطقة قريبة من مدينة النجف تسمى (المناحة) حيث تتم عمليات التبادل التجاري بين البدو وسكان المدينة المقدسة التي كانت تعد من أكبر مخازن الحبوب في العراق، وأهم سوق تجارية لبدو الصحراء^(١).

وكمثل على حجم التجارة الكبير بين النجف الأشرف وقبائل البدو إرسال أحد شيوخ قبيلة عنزة من الصحراء السورية (١٢٠٠) جملاً لشراء الحبوب من النجف.

وإذ حددت الحكومة العراقية بعد عام (١٩٥٠م / ١٣٦٩هـ) حجم مشتريات القبائل السعودية من محصول الرز بادررت كل من غرفة التجارة في النجف ومتصرفية لواء كربلاء التي كانت النجف تتبعها إدارياً بإرسال رسائل إلى وزارة الداخلية يحثانها على العدول عن قرارها.

(١) ينظر: شيعة العراق. إسحاق نقاش: ٣١ و ٣٢ و ٤٢ و ٤٣ و ١٣٠ و ١٣٥، وغيرها، وينظر أيضاً: الدستور العشائري لحي البراق في النجف في المصدر نفسه: ٣٩٥.

بل وجادل المتصرف في رسالته قائلاً: إن تجارة النجف الرئيسة اعتمدت منذ زمن طويل على التعامل مع القبائل السعودية، وإن منع بيع فائض الرز لهذه القبائل من شأنه أن يصيب النشاط التجاري المحلي بالشلل.

ولا زال شيوخ النجف الأشرف وكهولها يتذكرون بوضوح قوافل البدو الرحل برجالها وإبلها آتية وذهابة تتبضع من النجف الأشرف ما تحتاجه مما تقدم من مواد.

إن ما تخلفه تلك العلاقات التجارية من آثار اجتماعية على اللغة والعادات والقيم والتقاليد والأعراف والأنماط الحضارية والثقافية لا تحتاج إلى بيان.

وقد استمر حضور هذه الخصيصة في المجتمع النجفي حتى يوم الناس هذا، وفي شهادة أستاذنا العلامة الدكتور المرحوم السيد مصطفى جمال الدين (ت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) وهو الوافد إلى النجف الأشرف من منبته الأول في قرية (المؤمنين) من ريف مدينة (سوق الشيوخ) أحد أقضية محافظة الناصرية أو ذي قار سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) ما يغني عن الإطالة، فقد أثبت في مقدمة ديوانه الشعري (الديوان) وهو يتحدث عن خصائص مدينة النجف الأشرف كما شاهدها وعاشها ما يأتي: "وهناك ميزة أخرى تبرز في هذه المدينة هي أن شمائل أهلها، والطابع العام لسكانها هو الطابع العربي القريب من البداوة، فالعشائرية، والنخوة، ورعاية الجار، والكرم، والضيافة، سمات بارزة يلمسها كل وافد إليها، ولعل السر في ذلك أن النجف تقع بين الريف العراقي المنتشر على ضفاف الفرات، وبين البادية الممتدة من العراق إلى الحجاز، وهي السوق المشتركة بين عشائر الريف وعشائر البادية، فمنتوجات (المشخاب) و(والشامية) و(العباسية)

و(الكوفة) وغيرها من التمر، والحنطة، والشعير، والرز، تتجمع في (خانات) النجف لتصدر بعد ذلك إلى بغداد، والبصرة، والموصل، ومنتوجات البادية من (القادسية) و(الحيرة) و(الرحبة) حتى (الشبكة) من الغنم والصوف والوبر والسمن والجلود ترد إلى (مناخة) النجف لتصدر إلى مناطق العراق الأخرى.

وبعض مصدري الأرياف والبادية لهم في النجف بيوت يأوون إليها في أيام المواسم، كما أن لمستوردي النجف أيضاً بيوتاً في الأرياف والبادية، وهذه الصلة الاقتصادية بين طرفي الريف والبادية والنجفيين هي التي طبعت النجف بهذه السمات والشمائل البدوية، رغم أنها مدينة متعلقة بكل أسباب التطور المدني، إلا أنها عشائرية الروح، بدوية المجتمع^(١).

فإذا أضفنا إلى ذلك زحف القبائل العربية على النجف الأشرف وتوطنها فيها وهو ما سأتناوله في الفقرة الخامسة اللاحقة تجلت لنا صورة المجتمع النجفي بعاداته العربية الأصلية وفي مقدمتها الكرم والبذل للضيافة واضحة جلية.

فحسن استقبال الضيف والترحيب به وتقديم ما يستطيع النجفي تقديمه له وإن أجهده مالياً سمة من سمات طبيعة الاجتماع النجفي وإذا كان لي أن أضرب مثلاً على ذلك يلقي الضوء على هذه الطبيعة المتجذرة في الوجدان النجفي فسأضرب مثلاً بحسن استقبال النجفيين لزوار الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين، حيث يؤم النجف الأشرف ملايين الزوار من شرق الأرض وغربها مؤدين مراسم زيارة إمامهم الإمام علي عليه السلام، فمتجهين بعد ذلك إلى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام والشهداء الأبرار.

(١) الديوان. مصطفى جمال الدين: ١ - ١٣.

لقد اعتاد النجفيون كل عام التفرغ الكامل لتنفيذ متطلبات الزوار الكرام، تاركين وراءهم أعمالهم وبيوتهم ووظائفهم ونساءهم وأولادهم وأشغالهم، باذلين ما يستطيعون بذله من مال كانوا ادخروه طيلة السنة لخدمة الزائرين، مفرغين وقتهم وجهدهم وطاقاتهم، رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً، لإيواء الزائرين وإطعامهم وخدمتهم أفضل خدمة ممكنة، ملين ما يزيد عن احتياجات زوارهم الكرام ببذل وأريحية منقطة النظر، بما في ذلك تلبية الحاجات الكمالية.

ولعل مشاهد أماكن إيواء الزائرين وإطعامهم وتلبية مستلزماتهم كلها، تلك التي يقيمها النجفيون على مسافة تمتد لعشرات الكيلومترات على طريق الزائرين الممتد من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة خير شاهد على ذلك.

لقد تراصفت مواكب خدمة الزوار النجفية، بأماكن إيوائها المخدمة بكافة مستلزمات الخدمة الأساسية والكمالية، جنباً إلى جنب، وكتفاً إلى كتف، على جانبي الطريق الرابط بين محافظتي النجف وكربلاء المقدستين عن طريق المزارع، أو عن الطريق المسمى (طريق يا حسين)، حتى أنك لا تجد منفذاً بين مواكب هذا الطريق تنفذ من خلاله إلى ما وراءه، فالمواكب مشرعة الأبواب، مفروشة، مضاعة، مدفأة أو مبردة بحسب المواسم ليل نهار، تهلل بالزائر الكريم، مرحبة بمقدمه أحسن ترحيب، بل قد يصل الأمر بأصحاب المواكب وخدمتها إلى قطع الطريق على الزائر الراحل، ملتجئين منه بإلحاح المحتاج الملتهف الاستجابة لطلبهم بضيافته ولو لليلة أو بعض ليلة وتقديم الخدمة المرجوة له مهما كانت.

وإذا كان لي أن استشهد بأنموذج واحد على كرم النجفيين وسعة بذلهم لزوارهم واستعدادهم العالي لخدمتهم فسأستشهد بإحصائية واحد من أكبر

مراكز الاستقبال والضيافة والإيواء والخدمة للزائرين في النجف الأشرف، ألا وهو (مجمع شهيد المحراب الثقافي) حيث وفر مكاناً لاستقبال الزوار تجاوز هذه السنة الهجرية (١٧, ٠٠٠) متراً مربعاً للمبيت والضيافة والخدمة.

لقد تطوّر للخدمة في هذا المجمع ما يربو على (٢٥٠) خادماً للزوار، مجهزين بأكثر من (٢٢, ٠٠٠) بطانية، كما هيأ المجمع الماء الساخن لاستحمام الزوار، وجهاز ثلاث وجبات لهم يومياً مع محاضرات دينية، ومراسم عزاء حسيني، إضافة إلى الإجابة عن المسائل الشرعية، مع خدمات طبية وصيدلانية مناسبة إضافة إلى توفير أماكن للنمّام والراحة لما يزيد عن (١٧٠, ٠٠٠) مائة وسبعين ألف زائر لمدة (١٢) يوماً متصلة.

لقد تم إحصاء ما تم صرفه من المواد الغذائية للزوار في الزيارة الأربعينية لسنة (١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م) فكانت كالتالي:

كوب ماء	٥٣٤٠٠٠
كيلو دجاج	٢٠٠٠٠
رغيف خبز	١٣٠٠٠٠
كيلو رز	٢٢٢٥
بيضّة	٢٥٢٠٠
قطعة جبن	٦٦١٤٤
علبة مربى	٣٨٤٠٠
كيلو طماطم	١٢٩٠

قنينة زيت	٥٠٠
كيلو بطاطة	٢٤١٥
كيلو بصل	١٢٠٠
قطعة صابون	١٤٤٠
كيس خدمة	١١٢٥٠٠
كيس نفائات كبير	٥٢٠٠
كيلو سكر	٨٥٠
كيلو شاي	٥٠
كيلو فواكه مختلفة	٣٢٥٠

خامساً: زحف القبائل العربية على النجف الأشرف وتوطنها فيه

يشير المؤرخون إلى أن العديد من العشائر العربية هاجرت من المناطق العراقية المختلفة لأسباب مختلفة، وحطت رحالها في النجف الأشرف، متخذة منها وطناً ومستقراً وملاذاً.

وطبيعي أن يكون لهذه الهجرة العربية الكثيفة، آثار اجتماعية، طبعت الكثير من النشاطات الاجتماعية في النجف الأشرف بطابعها العشائري العربي الواضح، نتيجة الاحتكاك المباشر بين أبناء النجف الأشرف وهم عرب أقحاح أصلاً - كما تقدم - ومعهم طلاب الحوزة من العرب، وغيرهم أولئك الذين وفدوا إليها للدراسة والمجاورة من جهة، وأبناء العشائر العربية المهاجرة إليها والمستوطنة فيها من جهة أخرى.

وتأتي في مقدمة تأثيرات هذا الاحتكاك الاجتماعي، تبادل الأنماط الثقافية، وفي مقدمتها اللغة، والعادات، والتقاليد، والخبرات، والتراث الأدبي والفكري.

ويظهر استعراض سير وتواريخ من ترجم لهم الشيخ جعفر محبوبة في الجزأين الثاني والثالث من كتابه المهم (ماضي النجف وحاضرها) كثرة العلماء والأدباء والشعراء والمفكرين العرب من أبناء هذه القبائل العربية المهاجرة وغيرهم.

لقد ترجم الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) في جزأيه الثاني والثالث من كتابه المطبوع لسبعمائة وستة وخمسين علماً بارزاً من أبناء النجف الأشرف من غير العلويين، شاركوا في الحياة العلمية والثقافية، فكانت الغالبية العظمى لهؤلاء الأعلام من العرب الأصلاء، أما أعلام النجف الأشرف من العلويين الذين هم عرب أقحاح أيضاً؛ كونهم علويين قرشيين، فقد ترجم لهم في أجزاء كتابه الثلاثة الأخيرة التي لازالت مخطوطة - والتي وعدني المعني بها من أبنائه بطبعها قريباً - متخذاً مؤلف الكتاب من نظام (الأسر) طريقة للمنهجية والتأليف، بأن أرجع كل علم بارز من هؤلاء المترجمين إلى أسرته التي تحدر منها.

وهكذا فإن ذلك العدد الضخم من الأعلام، انتظم في سلك عدد من الأسر، لم يتجاوز ستاً وثمانين أسرة، عدّها أسراً نجفية خالصة، بمعنى أن هذه الأسر أقامت في المدينة آماداً، تكفي لأن تتمثل بياتها، وتتفاعل مع أجوائها العامة، وتتصاهر مع أهلها، وتشارك في حياتها الثقافية والسياسية والاجتماعية المختلفة.

وباستثناء أربع أسر علمية قديمة منقرضة، فإن جميع الأسر التي ترجم لرجالها، والتي لما تزال لها بقية في عهده، كانت وفدت إلى النجف إبان القرون الخمسة الأخيرة، وذلك على النحو الآتي:

القرن	عدد الأسر
التاسع	٢
العاشر	٨
الحادي عشر	١٧
الثاني عشر	٢١
الثالث عشر	٣٢

ويظهر الجدول أن نحو سبعين أسرة مهمة، من أسر النجف، قد وفدت إليها إبان القرون الثلاث الأخيرة فقط، وهي المدة المبتدئة باستيلاء العثمانيين على العراق، والمنتية بقبيل عهد المؤلف نفسه.

والملاحظ أن الغالبية الساحقة من هذه الأسر تمت إلى أصول عربية صريحة، وأكثرها قد تفرّع من قبائل عربية، استوطنت حوالى النجف أو منطقة الفرات الأوسط في أكثر تقدير، ثم هبطت إلى النجف، لأسباب مختلفة، لتكوّن محلاتها المعروفة، ولتطبعها، من ثمّ، بطابعها العربي الأصيل.

لقد بلغ عدد الأسر التي صرّح بعروبته (٥٩) أسرة، (وبالطبع فإن هذا الرقم لا يشمل الأسر العلوية الكثيرة في المدينة).

وهكذا قدّم محبوبة تأكيداً آخر مدعماً بدلالة صائبة لا تقبل الشك، على عروبة التكوين الاجتماعي^(١) والثقافي لمدينة النجف الأشرف المقدسة.

(١) منهج الشيخ جعفر باقر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها. د. عماد عبد السلام رؤوف. مجلة آفاق نجفية. العدد ١٢/٢٤١.

وقد بيّن ذلك الطابع الاجتماعي العربي للشخصية النجفية سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) متصرف لواء كربلاء جلال الدين بابان في تقريره السري عن طبيعة المجتمع النجفي - يوم كانت النجف الأشرف قضاء تابعاً لمحافظة كربلاء إدارياً - بقوله: إن النجفيين حافظوا على روحهم العربية وعاداتهم العشائرية، فعاداتهم عربية بحتة من حيث الأخلاق وكرم النفس^(١).

وأكدّه أيضاً سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) قائم مقام قضاء النجف الأشرف جعفر حمّدي في تقريره السري حين أشار إلى انتشار وسيادة الروح العربية في النجف الأشرف بل زاد عليه حيث قال: إن العرب فيها شديداً التمسك بالقومية العربية غيورون عليها إلى حدّ التعصب لها، وأن لهم روحاً وطنية فعلى الرغم من وجود الآلاف من الإيرانيين في النجف، ومع ما لهم من اتصالات وتجارة ونفوذ، فإن اللغة العربية هي اللغة السائدة في كل مكان، والعادات والأخلاق العربية منتشرة في كل أوساط المدينة، وبحكم ذلك يضطر الفارسي والهندي وغيرهم إلى تقليد العرب بعاداتهم وأخلاقهم وتعلم لغتهم وارتداء ملابسهم العربية بحيث ينعدم التمييز بين الفرد العربي والفارسي في اللغة والمظهر^(٢).

وهو ما لاحظته وأشار إليه أيضاً تقرير استخباري بريطاني لسنة (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) حينما ذكر بأن النسبة الكبيرة من الأجانب في النجف الأشرف - (يقصد

(١) ينظر: تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢ - ١٩٦٨. د. عبد الستار شنين الجنابي: ٢٤٦، نقلاً عن التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء جلال الدين بابان المرقم س/ ٨٠ في (١٩ نيسان ١٩٣١م/ ١٣٥٠هـ) ص: ٧-٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢٤٩، نقلاً عن التقرير السري للدور الإداري لقائم مقام قضاء النجف جعفر حمّدي المرقم س/ ١٣٢ في (٦/ آب/ ١٩٣٣م/ ١٣٥٢هـ) ص: ٢.

بالأجنبي كل من هاجر إليها بقصد التوطن فيها وإن كان من محافظة عراقية أخرى) - هم من أصول عربية أو استعربوا خلال إقامتهم في المدينة. كما أشار التقرير إلى أن النجفيين عموماً العرب منهم والأجانب لديهم اعتزاز بأصالتهم العربية وجذورهم التاريخية^(١).

سادساً: تنشئة المجتمع النجفي لأبنائه وتدريبهم على تذوق الأدب

اعتاد النجفيون قبل افتتاح المدارس النظامية، حالهم حال غيرهم من أشقائهم العرب والمسلمين، على إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب، لتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وربما ختمه، على أيدي معلميه. ولكنهم زادوا على غالبية أشقائهم العرب باهتمامهم بتنشئة أبنائهم، إضافة إلى تعلم القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وحفظه، على تذوق الأدب وفنونه، والشعر منها خاصة، وهو ما أكسب أبناء هذه المدينة خاصية ملحوظة، تميزت بكثرة الأدباء والشعراء فيها، حتى وصف بعض النقاد والمؤرخين بيئة النجف بأنها بيئة شعرية.

ذلك أن الطفل النجفي قبل افتتاح المدارس النظامية، وبعد أن يفطم، ويحين وقت إرساله للكتاب ليتعلم القراءة، وحسن الخط، تتلاقفه المجالس والأندية، لتحفظه أبياتاً من الشعر، ولربما تحفظه الشعر، وهو عند معلمه، فلا تدعه يكتب إلا أبياتاً من أجمل الشعر وأجوده، يحفظها درجاً، دون أن يفهم معناها، ولا يفهم معناها إلا إذا انضم إلى ناد من أندية، فيملي عليه أستاذ النادي رسالة أدبية، ويشرحها له، أو يلقنه خطبة من خطب الإمام علي، ويشرحها له، أو يكلفه بحفظ

(١) المصدر السابق: نقلاً عن تقرير بريطاني شديد السرية لآدمونس: ٢٣١. هامش رقم ١.

مجموعة من الشعر الذي يختارها رب النادي إلى أبنائه الصغار، فإذا أحس فيهم الإقبال، وشاهد النمو الأدبي، تحوّل إلى معنى آخر، يكلفهم أن يكتبوا رسالة على منوال ما حفظوا، أو ينثر لهم قطعة، ويطلب منهم إعادة أبياتها إلى أصلها، وهكذا يتكون تدريبهم الثقافي، فإذا اشتد عودهم، يطلب منهم نظم البيت والبيتين أو القطعة.

وبهذا التدريب نشطت الثقافة في مدينة النجف الأشرف، وخاصة قرض الشعر^(١).

إن هذا التدريب وتلك التنشئة على حب الأدب ونظم الشعر منذ نعومة الأظفار، لا بدّ وأن تنتج أدباء وشعراء ومتذوقين كثراً، يطبعون مدينتهم بطابع أدبي، يلحظه الدارس والزائر على السواء، بسهولة ويسر.

سابعاً: حب النجفيين للاجتماع والمجالسة والأدب

إذا أضفنا إلى ما تقدم من خصائص، خصيصة أخرى، امتاز بها أبناء هذه المدينة المقدسة، وهي حب المؤانسة والاجتماع والمجالسة، ولا سيما في المناسبات دينية وديوية، أدركنا سرّ شيوع ظاهرة كثرة المجالس والمنتديات في النجف الأشرف التي تقدم ذكرها في المبحث السابق فالنجفيون بحكم عروبتهم، وظروف بلدتهم الدينية والعلمية، اجتماعيون ذوو مجالس ومنتديات، وبيوت مفتوحة للضيوف والزوار، ومجالسها عامرة دائماً، ولا سيما في المحرم، وصفر، ورمضان، فإذا هلّ المحرم، استحالت النجف إلى مأتم كبير، تنشده فيه

(١) من أدب المجالس في النجف. الشيخ عبد الزهراء الصغير. مجلة آفاق نجفية. العدد ٩. لسنة (٢٠٠٨م/

المراثي الحسينية التي تشجي الناس، وتثير أحاسيسهم وعواطفهم، ولقد أذكت المجالس الحسينية مشاعر الشعراء، فشاركوا فيها بأروع نتاج لهم، وكانت لمجالس الأحران مناسبات أخرى، هي مجالس التعازي التي تقام في وفيات الفقهاء الكبار، حيث يتبارى الشعراء في رثائهم.

وأما مجالس الأفراح، فكانت مناسبات متعددة، يأتي الزواج في مقدمتها، وفيها ينطلق الشعراء بقصائد التهاني والمدائح، يصوغونها صياغة مناسبة، من حيث الوزن، والبناء، ويلوّنونها بكل ما يدخل البهجة في النفوس، من ألوان الغزل، والوصف، والمديح، وفي هذه المجالس خاصة، تنطلق النفوس الشاعرة من عقال القيود العرفية، فتعبّر بيسر وسهولة عن نزغات الشباب الدفينة، ومرحه المكبوت.





الفصل الثالث

الحوزة والشعر العربي

يتناول هذا الفصل تمهيداً ومباحث خمسة هي:

المبحث الأول

جملة من أسباب إيلاء حوزة النجف الأشرف الأهمية الكبرى للغة العربية وآدابها وفنونها

المبحث الثاني

اهتمام حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي عامة والشعر خاصة في (القرن ١٣ هـ) وما بعده

المبحث الثالث

اهتمام الحوزيين بالأدب العربي عامة والشعر منه خاصة في القرن الرابع عشر الهجري

المبحث الرابع

اهتمام العلماء بالأدب العربي وخاصة الشعر منه في القرن الخامس عشر الهجري

المبحث الخامس

أنشطة أخرى تدل على اهتمام علماء الحوزة بتنشيط الروح الأدبية لطلابها



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بتمهيد لها

التمهيد

قد يتوهم بعض الذين لم يعرفوا مدينة النجف الأشرف حق معرفتها بأن حوزة النجف الأشرف العلمية العريقة لا تولي غير علمي الفقه والأصول وما دار مدارهما من علوم التفسير وآيات الأحكام والمنطق والفلسفة والكلام وغيرها من العلوم الإسلامية جلّ اهتمامها، وهو توهم لا أساس له من الصحة؛ ذلك أن آداب اللغة العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وفقه لغة وغيرها إضافة إلى فنون القول من شعر ونثر وما متّ أو يمتّ إليهما بصلة لها في النجف الأشرف سوق رائجة حيث أولتها حوزة النجف الأشرف جلّ اهتمامها، ووظّفتها في تفجير منابع لغة القرآن الكريم والكثير من علوم الشريعة الإسلامية توظيفاً مثمراً عاد ويعود على اللغة العربية وفقهها وآدابها بخدمات جليّ.

يقول صاحب بحث (الشعر السياسي عند علماء الشيعة في العراق)^(١) لقد: اشتهر علماء الشيعة إلى جانب نشاطهم العلمي في حقول المعرفة الإسلامية، باهتمامهم الكبير بالشعر والأدب، فقد كانت النجف الأشرف مركز الحوزة العلمية منطلق الشعراء ومستقرهم، ففيها حدثت أضخم وأكثف ولادات شعرية، بحيث نستطيع القول بثقة تامة، إن أي مدينة أخرى لم تقترب منها ولو نسبياً في هذه الظاهرة التي ميزت النجف عن غيرها، فكانت إحدى معالم حياتها البارزة، وهذا ما يمكن رصده بسهولة من خلال الحشد الكبير من الأسماء اللامعة في عالم الشعر العربي.

(١) خضير عبد العباس الركابي. ملخص رسالة ماجستير: مجلة الموسم العدد ٣٧ - ٣٨ لسنة ١٩٨٨م/

وأضاف في استنتاجات بحثه قوله: كانت أجواء الحوزة العلمية في النجف الأشرف هي المصدر الأول لشعراء العراق، وقد احتل الشعر فيها مكانة متميزة، حيث شغل اهتمام العلماء، وملاً مساحة واسعة من الجو العلمي، وكان الشعر بمثابة الرصيد الإضافي لعلماء الدين، لذلك نجد أن الكثير من العلماء الذين فرضوا وجودهم من خلال المنزلة العلمية والموقع الديني، اهتموا بنظم الشعر، وسجلوا حضورهم في الميدان الأدبي، وظلوا يواكبون حركته باستمرار.

إن حركة الشعر في النجف الأشرف كانت من القوة والكثافة بحيث أنها أثرت على الاتجاه الشعري في العراق كله ثم امتدت بعد ذلك لتؤثر في العديد من البلدان الإسلامية، وذلك نتيجة انتشار قصائد الشعراء في تلك البلدان.

ومن أجل أن ألمّ ببعض خصائص فصلي هذا، وأقف على مدى علاقته الحميمة بموضوع حوزة النجف ولغتها لغة القرآن الكريم وآدابها، فقد توزعت هذا الفصل مباحث خمسة هي:



المبحث الأول

جملة من أسباب إيلاء حوزة النجف الأشرف الأهمية الكبرى للغة العربية وآدابها وفنونها

لعل مردّ إيلاء حوزة النجف الأشرف الأهمية الكبرى لعلوم اللغة العربية وآدابها - من بين أسباب أخرى - إلى أن القرآن الكريم والحديث الشريف نصوص لغوية، لذا وجدنا علماءنا من القدامى يلجؤون إلى النصوص اللغوية شعرية ونثرية حينما يلتبس عليهم معنى من المعاني القرآنية الواردة في النصوص الكريمة، فيجدون فيها ما يفسر ذلك ويوضحه ويقيمه على الصحيح ومن هذا المبدأ قامت الدراسات اللغوية مع قيام الدراسات القرآنية والفقهية، وذلك للوقوف على المعاني السامية للقرآن واستنباط الأحكام الشرعية منه في ضوء معاني لغة العرب، فكان هذا سبباً أكيداً لتطور الدراسات اللغوية واستمرار الأمر إلى عصرنا هذا؛ لذا وجدنا الحوزة العلمية في النجف الأشرف تعطي اللغة مقاماً كبيراً في مناهجها الدراسية، إذ يرون أنه لا يمكن أن يرتقي رجل الدين إلى المكان الذي يؤهله إلى معرفة القرآن والحديث والفقه من دون التفقه باللغة في فروعها كافة.

ولهذا وجدنا العلماء من رجال حوزة النجف الدينية يسهمون في كل الدراسات اللغوية^(١).

وبعبارة أخرى أوسع مما تقدم أقول: إن الدراسة الدينية واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها تعتمد بصورة أساسية على مصادر هي نصوص عربية أصيلة

(١) الحوزة العلمية في النجف الأشرف وتيسير علوم اللغة العربية. بحث. د. هادي عبد علي هويدي. مجلة كلية الفقه العدد العاشر. السنة الخامسة. (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م). ص: ٣١.

بلغت الغاية القصوى في فصاحتها وبلاغتها، وأهمها القرآن الكريم، والسنة النبوية، ونهج البلاغة، وآثار أئمة أهل البيت وصحابة الرسول الكريم، وفقهاء التابعين.

ولا يستطيع طالب العلوم الدينية أن يحصل على مستوى من الوعي الفقهي، ما لم يكن متضلّعاً بأدب العربية، وفلسفتها اللغوية، ما دامت مصادر هذا الوعي على هذه الأهمية من الفصاحة والبلاغة، وفيها من المجازات، والكنيات، والصور البيانية، ما لا يدركه غير الخبير بهذه اللغة، من أجل ذلك لم يكن غريباً أن يتشدد الأصوليون في شروط الاجتهاد فيذكروا فيها أن يكون المجتهد على علم باللغة، وفهم أساليب العرب، ولذلك كانت الدراسة الدينية تبدأ عادة بما يسمى بـ(المقدمات) أو علوم الجادة وأهمها النحو، والصرف، والبلاغة، وفيها من البحوث النحوية، والصرفية، والبلاغية ما لا يوجد في كتب النحاة والبلاغيين.

وهذا هو السر في أنك تجد أكثر من نبغوا في أوائل هذا القرن من أدباء العربية وشعرائها وأصحاب الخبرة في فلسفتها اللغوية هم من خريجي مراكز الدراسات الدينية^(١).

وأن جلّ هؤلاء الشعراء بل والأدباء عامة كان من طلبة وعلماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف كما سيثبت أنموذج إحصائي لاحق، فإن لم يكن الشاعر أو الأديب حوزوياً كان من بيوتات الأسر العلمية الحوزوية إلا ما ندر.

من ذاك الذي تقدم وغيره نعرف مغزى أن يكتب أواخر القرن السابع الهجري

(١) الديوان. السيد مصطفى جمال الدين: ١٥-١٦.

في النجف الأشرف نجم الأئمة الشيخ الرضي كتابه المهم في النحو العربي المسمى (شرح كافية ابن الحاجب) منهياً إياه كما نص على ذلك في كتابه القيم بجوار الحضرة العلوية المطهرة عام (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م).

ومنه أيضاً نعرف مغزى إجازة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين صرف حق الإمام لشراء كتب الأدب واقتنائها عند رجل الدين^(١).

ومنه نعرف كذلك سر وجود العديد من رجالات الحوزة العلمية في النجف الأشرف ممن جمعوا بين الأدب بفنونه ودراساتهم التخصصية، حباً وتذوقاً للشعر والأدب بعامة من جهة، وإدراكاً لضرورة استكناه آيات الله اليبينات وروايات السنة الشريفة على أحسن وجه وأفضله كون نصوصها عربية بليغة، فخصوا لدراسة الأدب وفنونه - والشعر منها خاصة - حظاً من أيام الأسبوع من ناحية أخرى.

ولما كان على المدعي أن يثبت دعواه، فإنني سأدلل على مدى الاهتمام البالغ لفقهاء وعلماء حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي عموماً وبالشعر العربي خصوصاً، باستعراض سير بعض من العلماء الأعلام في القرنين الثالث عشر، والرابع عشر، ومن توفي منهم فيما تصرم من القرن الخامس عشر الهجري، الذين جمعوا بين الفقه والأدب معاً، وفيهم مراجع عظام، ومجتهدون فطاحل، وأساتذة كبار، شهدت لهم سوح البحث والمناظرة بسعة العلم والدقة والتمحيص والتثبت في تحليل واستنباط الأحكام الشرعية، فحازوا السبق في مضماري الفقه والأدب كليهما.

(١) ينظر: المرجعية والمواقف الصريحة السيد السيستاني نموذجاً. د. صالح الظالمي. مجلة آفاق نجفية. العدد الثاني

أقول سير بعض المجتهدين وكبار العلماء الأعلام الذين أولوا الأدب والشعر منه خاصة اهتمامهم، لا كلهم، لأن استيعاب ذكر كل من جمع بين الفقه والأدب العربي بمعناه العام، -وهم كثر في حوزة النجف الأشرف- أوسع مما تقتضيه طبيعة هذا البحث.

وسأستعرض من سير العلماء - الأدباء - ما فيه الكفاية للتدليل على ما ذهبت إليه، بل وزيادة، مبتدئاً ذلك بالقرن الثالث عشر الهجري، ومثنياً بالقرن الرابع عشر الهجري، ثم ما تصرّم من هذا القرن، مختتماً حديثي بإحصاء تقريبي لعدد الحوزويين الشعراء في حوزة النجف الأشرف والمتحدرين من أسر وبيوت حوزوية حتى يوم الناس هذا كما سيأتي:



المبحث الثاني

اهتمام حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي عامة وبالشعر خاصة في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده

يعد اهتمام المراجع وكبار المجتهدين بالأدب العربي والشعر أقوى الأدلة على ما أريد إثباته، وفي هذا العصر كان اهتمام فقهاء بالشعر خاصة جلياً واضحاً، ومن أوضح مظاهر هذا الدعم والاهتمام نمو وازدهار حركة الشعر في هذا العصر حتى بلغ عدد الشعراء مائتي شاعر، جلهم من رجالات الحوزة وعلماؤها.

لقد كان المرجع الأعلى في عصره سماحة المجتهد العارف السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م) يحب الشعر وإنشاده، فيستنشد الشعراء ويرتاح إلى محاضراتهم ومطاراتهم، ويحكمونه بينهم ويمدحونه فيجيزهم الجوائز الجليلة، وهو نفسه شاعر مطبوع، ينظم الشعر كثيراً، ويجاري الشعراء في محاضراتهم ومطاراتهم. وقلده في الميل إلى ذلك غير واحد من معاصريه، فكان أكثر شعراء ذلك العصر علماء، وأكثر علمائه شعراء^(١).

وللسيد بحر العلوم ديوان شعر يناهز الألف بيت جلّه في مدائح ومراثي أهل البيت عليه السلام وقد نقل الشيخ محمد لايد (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) عن بعض مشايخه الذين أدرك صحبتهم: إن السيد بحر العلوم لما سمع المراثي بدوازه بند للشاعر المخلص لأهل البيت عليه السلام المتخلص بمحتشم الكاشاني فأحب مضامينها فأخذ هذه المضامين ونظمها بالعربية في مراثيته المعروفة التي يقول في أولها:

(١) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٣٢ / ١٥.

الله أكبر ماذا الحادث الجلل فقد تزلزل سهل الأرض والجلل

أقول: وهي إحدى عشرة قصيدة، وكل قصيدة تشتمل على اثني عشر بيتاً، وكلها في رثاء جده الحسين عليه السلام عندي نسخة من ديوانه^(١).

ويبدو من خلال ديوانه ذي الألف بيت المطبوع حديثاً أن ديوان شعره الذي بحوزة الشيخ محبوبة وتبلغ مجموع أبياته (١٣١) بيتاً هو ديوان مرثيه في جده عليه السلام فقط، وليس مجموع شعره كله.

وليس غريباً على السيد (بحر العلوم) أن يولي الشعر هذا الاهتمام الكبير، بل وينظم فيه، ويحضر جلساته الشعرية، متأثراً بأساتذته الذين كانوا يولون الشعر اهتمامهم وعنايتهم وحبهم، فهذا أستاذه الفقيه الشيخ محمد مهدي العاملي الملقب بالصالح الفتوني (ت ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م) وقيل (ت ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م) صاحب المكانة العلمية الكبيرة التي يصفها تلميذه المرجع الأعلى (السيد بحر العلوم) نفسه في إحدى إجازاته بقوله (شيخنا العالم المحدث الفقيه، إمام الفقه والحديث والتفسير) كان قد: "هاجر الشيخ إلى النجف وسكن بها، فكان فيها شيخ الشيوخ، كان هذا المجتهد وأستاذ المراجع مع جلالة قدره من العلماء الذين لهم القدح المعلّى في العلم والنصيب الوافر من الأدب، وقد حاز الفضيلتين وعرف بالمرتبتين (العلم والشعر)، فكان عالماً شاعراً وكاتباً مجيداً، له شعر كثير"^(٢) جمع في ديوانه المخطوط.

ويقول المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين: "أقام في النجف وجعلها دار سكناه الدائمي، وأكمل دراسته بها وأصبح يعد من العلماء العاملين والفقهاء

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٥٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ٥٢ - ٥٤.

المحققين، ثم صار أستاذ العلماء الأساطين والفقهاء المحققين، روى أساتذتنا عن مشايخهم -عطر الله مراقدهم- أن المترجم له حاز الرئاسة العلمية والأدبية، وأنه الورع الثقة الأمين، وكان كاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، يروى له شعر كثير، فهو شاعر العلماء وعالم الشعراء".

ويقول أيضاً في معرض تعليقه على القصيدة (الكرارية) للشيخ محمد شريف الكاظمي النجفي (ت ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م): "إن (الكرارية)^(١) قرصها ثمانية عشر بين عالم وفاضل وأديب، منهم أستاذ العلماء الشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي الذي ختم قصيدته مؤرخاً ديوان الشيخ محمد شريف شعراً سنة (١١٧٤هـ / ١٧٥٩م)، تروى له مراسلات مع علماء عصره وأدبائه"^(٢).

وهذا أستاذه الثاني المرجع الشيخ محمد تقي الدورقي (ت ١١٨٧هـ / ١٧٧٤م) الذي كان من العلماء الأعلام والفقهاء المجتهدين العظام مدرساً أوحدياً في النجف، حدثنا بذلك أساتذتنا عن شيوخهم، ويعد من طبقة الشيخ محمد مهدي الفتوني النجفي، والأغا باقر البهبهاني^(٣) حتى عدّ من مشاهير علماء العراق في الغري، يكاثره علماء الأطراف والأمصا، ويستفيدون من علمه^(٤).

إن هذا الأستاذ الثاني للمرجع السيد محمد مهدي بحر العلوم كان كأستاذه الأول "أديباً شاعراً ناقداً، بل ممن له الحكم في الحلقات الأدبية والمناظرات الشعرية،

(١) مطلع القصيدة الكرارية:

نظرت فأزرت بالغزال الأحور وسطت فأردت كل ليث قسور

(٢) معارف الرجال. سابق: ٢ / هامش ص: ٢٩٥ و: ٣ / ٨٠. وتنظر للشيخ أستاذ الفقهاء قصيدة جميلة تنظر في معارف الرجال: ٣ / ٨١.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢٠٢-٢٠٣. وانظر: هامش ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢ / ٣٢٥.

(٤) ينظر: أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٩ / ١٩٥.

وحدث البعض أنه كان الرئيس لدى الأدباء والشعراء البارعين في المعركة العلمية والأدبية^(١).

وهناك غيرهما من أساتذة السيد بحر العلوم ممن كانت لهم اهتمامات بالأدب العربي وفنونه لا يسع المجال لذكرهم هنا^(٢).

ولو أردت أن أثبت صدق مقولة العالم الباحث السيد محسن الأمين^(٣) من أن أكثر شعراء ذلك العصر - (القرن الثالث عشر الهجري) - علماء، وأكثر علمائه شعراء، لأنتهى من ذلك إلى إثبات دعواي بالاهتمام الكبير لرجال حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي، شعره ونثره، فإنه ليحسن بي أن أنقل رأيا وجيها ذهب إليه أستاذ من أساتذة الأدب العربي في العراق ورئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق الدكتور عبد الرزاق محي الدين خلال حديثه عن (معركة الخميس أو بداية النهضة الأدبية الشعرية في العراق أوائل القرن الثالث عشر) جاء فيه: "إن الأعمال العقلية ومنها الأدبية خلال الفترة المظلمة كانت من صنيع الدراسات الدينية، وأنها في الأعم الأغلب لم تكن من عمل رجال الدواوين وكتاب الدولة، كما هو الحال في العهدين الأموي والعباسي، لذلك عادت عواصم الأدب هي عواصم الدراسات الدينية، وليست عواصم الدولة والسلطان.

ولئن كان مركز هذه النهضة [الأدبية] مدينة النجف، فإن آثارها امتدت إلى عواصم الثقافة الدينية والأدبية، الحلة وبغداد والموصل والبصرة.

إن النهضة الشعرية في العراق ستظل مدينة إلى الأوساط الدينية، وخاصة

(١) معارف الرجال. سابق: ٢/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: ترجمة أستاذه الشيخ محمد باقر الهزار جريبي الغروي ت سنة ١٢٠٥ هجرية وبقية تراجم أساتذته.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة: ١٥/ ٣٢.

النجف حتى قيام الدولة ونشوء الدواوين والمعاهد والجامعات، والمتفوقون أدبياً هم: إما رجال الدراسات الدينية أو أبناءهم في غالب الأحوال^(١).

كما يحسن بي من أجل تعزيز دعواي بدليل مادي أن استعرض عدداً من هؤلاء العلماء الأدباء في هذا القرن الثالث عشر الهجري كأنموذج لما أدعي. فمن هؤلاء:

١. السيد صادق الفحام (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) وهو فقيه كبير، صار أستاذاً في علم العربية، محققاً فقيهاً شاعراً أدبياً، له شعر رائع ونثر رقيق ومحاسن جيدة وتواريخ متينة، وقد اشتهر في زمانه بـ (شيخ الأدب) تارة وقاموس لغة العرب أخرى، لأدبه الغزير وإحاطته في العلوم العربية واللغة^(٢) أحد رجال معركة الخميس الأدبية الشهيرة، له من الكتب: شرح الشرائع، والدرر النجفية في علم العربية، وشرح شواهد قطر الندى، وتاريخ النجف وآثاره، إضافة إلى ديوان شعر بديع.

٢. السيد أحمد العطار (ت ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م) الفقيه الأصولي والمحقق الثبت والشاعر المحلق والمحدث العارف بالأخبار، من حضار الندوة الأدبية المعروفة بـ (معركة الخميس)، وأحد العلماء الذين قرّضوا القصيدة (الكرارية)، له كتاب (التحقيق إلى ما به حقيق) وكتاب (الرائق) جمع فيه كل ما قيل في حق النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ من الشعر من قبل عهده إلى زمان وفاته، وبعض كتب المزارات والأدعية^(٣).

(١) الحالي والعاقل د. عبد الرزاق محي الدين: معركة الخميس أو بداية النهضة الأدبية الشعرية في العراق في حدود ١٢٠٠ هجرية: ١١٩-١٢٨.

(٢) معارف الرجال. سابق: ١ / ٣٦٦. وينظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ١ / ١٦٠.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٣٨٢-٣٨٣.

٣. الشيخ يوسف الأزري البغدادي النجفي (ت ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م) ولد في بغداد وهاجر إلى بلد العلم والهجرة للعلماء النجف الأشرف وأقام بها مدة قرأ مقدمات العلوم حتى أكملها، وتناول قسماً وافراً من العلم والفضل وأصبح يعد في عداد أهل الفضيلة الموجهين، حدث بعض مشايخ الغري أن المترجم له كان على جانب عظيم من الجلالة والعبادة والقداسة، وبالوقت كان أديباً شاعراً^(١).

٤. السيد محمد الزيني (ت ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م) أحد كبار أعلام الفقه والأصول، والأدب والشعر، والحديث والرجال، كان فقيهاً عالماً، محدثاً، له ملكة في استحضار المسائل، والفروع الفقهية، وبعض متون الأخبار، جمع بين الفقه والحديث والتفسير، والشعر والأدب، وكانت داره في النجف الأشرف ندوة علمية وأدبية يجتمع فيها أقطاب أهل العلم والشعراء والأدباء، وأهل الكمال في أيام التعطيل من كل أسبوع^(٢)، وكان أحد رجال معركة الخميس الأدبية الشهيرة المتقدم ذكرها. ألّف في التفسير، والمعاني والبيان والبدیع، وله ديوان شعر كبير.

٥. السيد صالح العاملي الملقب بالمكي والمعروف بالسيد صالح الكبير (ت ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م)، وكان فقيهاً أصولياً، حاوياً للمعقول والمنقول كثير الاطلاع، شاعراً وكاتباً منشئاً.

٦. الشيخ محمد محي الدين (ت ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م) أشهر رجال هذه الأسرة العلمية وأجل رجالها البارزين، اجتهد في طلب العلم حتى كان له في النجف

(١) معارف الرجال: ٣ / ٢٩٥ وما بعدها.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٢ / ٦٥٤.

في عصره القضاء والفتيا، كان أخذ بسهم وافر من الأدب، مضافاً إلى علمه الجم، وفضله الكثير، وهو أحد رجال معركة الخميس الأدبية الشهيرة. وله شعر كثير نظمته في شتى الأغراض^(١).

٧. السيد شريف بن فلاح الحسيني (ت ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م) وكان عالماً أديباً أبدع قصيدته الشهيرة المعروفة بـ(القصيدة الكرارية)، وهي قصيدة رائية طويلة في مائة وخمسين بيتاً في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، ويقال لها (الكرارية) لكثرة ذكر اللفظة فيها، نظمها سنة (١١٦٦هـ / ١٧٥٢م) وقرّظها ثمانية عشر شاعراً من العلماء والأدباء المعاصرين له^(٢).

٨. السيد جواد بن محمد بن محمد العاملي (ت ١٢٢٦هـ / ١٨١١م) مؤلف كتاب (مفتاح الكرامة) المعروف في الأوساط العلمية وهو فقيه شهير ومن الأدباء الذين ظفروا بقسم كبير من الإحاطة بعلوم الأدب والشعر^(٣).

٩. المجتهد الشيخ محمد رضا بن أحمد النحوي (ت ١٢٢٦هـ / ١٨١٣م) الذي كان "عالماً فاضلاً مجتهداً وأديباً شاعراً، ونظراً للشاعرية المشهود لها فقد هجر لقبهم (آل النحوي) وباتوا يعرفون حدود سنة (١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م) بـ(بيت الشاعر)"^(٤).

١٠. المرجع الأعلى الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) صاحب الكتاب الفقهي الشهير (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء)

(١) المصدر السابق: ٣ / ٣٣٢.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ٣٨٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ١ / ١٣٣.

(٤) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢٧٧.

في مرحلة مهمة من مراحل تطور البحث الفقهي / الأصولي في النجف الأشرف، لقد كان المرجع الشيخ جعفر "شاعراً وأديباً مفوهاً، له قوة الشعر والنظم، تذكر له أبيات رائقة ومقاطع فائقة"^(١)، وهو أيضاً أحد رجال معركة الخميس الأدبية الشهيرة المتقدم ذكرها سابقاً.

١١. السيد محسن الفحام (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) وهو فقيه أصولي عالم متضلع محقق مدقق من أعلام العلماء في عصره ويعرف بالمحقق الكاظمي. اشتغل بالتدريس والتأليف، وعباراته في غاية الفصاحة والبلاغة، كان إلى جانب ذلك شاعراً مجيداً وأديباً لامعاً، وخطيباً مفوهاً، له من الكتب (الوسائل في الفقه) و(المحصول في أصول الفقه) و(سلسلة الاجتهاد) وغيرها، وله إلى جانب ذلك، ديوان شعر^(٢).

١٢. الشيخ راضي بن الشيخ نصار بن الشيخ حمد الحكيمي العباسي (ت حدود ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م) الذي كان عالماً تقياً زاهداً عابداً من شيوخ النجف وأدبائها^(٣) المعروفين.

١٣. السيد إبراهيم بن محمد الحسني البغدادي (ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م)، وكان فاضلاً فقيهاً له شعر إلى أدب ومعرفة باللغة ومحاضرات لأدباء وقته كالسيد محمد الشهير ب(الزيني)^(٤).

١٤. الشيخ مسلم بن عقيل الوائلي الكناني (ت حدود ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م)،

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ١٣٩.

(٢) ينظر: تكملة أمل الآمل. سابق: ٤/ ٣٠٢، ومعارف الرجال: ٢/ ١٧١.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٤١٣.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٤١٤.

وكان من أفاضل عصره وأدبائهم، محترماً مبعجلاً عند العلماء، وكان شاعراً بليغاً له تقريض القصيدة الكرارية^(١).

١٥. الشيخ محمد علي بن حسين الأعسم (ت ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م) من أعيان علماء الإمامية وأساتذة الفقه والأصول، وأكابر الشعراء^(٢) جمع بذلك بين الخصلتين، فكان عالماً فاضلاً، وأديباً شاعراً، مفلحاً مجيداً، من مشاهير العلماء الشعراء، وأفاضل الأدباء البلغاء، إذا عدت العلماء كان في الرعيل الأول منهم، وإن ذكر الشعراء كان السابق المجلي في حلبة الشعر^(٣). له منظومات فقهية، وديوان شعر بعضه مطبوع. وكان الشيخ الأعسم أحد العلماء الأدباء الذين عرضت عليهم منظومة السيد محمد مهدي بحر العلوم أستاذه المسماة بـ(الدرة)^(٤).

١٦. الشيخ علي بن الشيخ محمد حسين العاملي المعروف بالشيخ علي زيني (ت ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م) وكان من أهل الفضيلة والعلم البارزين ومن الأدباء والشعراء المحلّقين^(٥).

١٧. المرجع الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م) مؤلف كتاب (بغية الطالب) كان عالماً حقاً وزعيماً روحياً محلّقاً وفقيهاً أصولياً مدققاً، حدّث بعض الأساتذة أن المترجم له كان

(١) المصدر السابق.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام. سابق: ١ / ١٦٧.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢ / ٣٨.

(٤) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٣١٠.

(٥) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٤٢١.

من أساطين العلماء والمدرسين ووجهاً من وجوه الفقهاء والمؤسسين، شهد له والده المرجع الأعلى في وقته بذلك قائلاً: أنا وولدي موسى والشهيد الأول أفقه العلماء، كان إلى جانب فقهه الجهم شاعراً أديباً له مراسلات مع أدباء عصره^(١).

١٨. الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد علي الأعسم (ت ١٢٤٧ و قيل ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣١ أو ١٨٣٠ م) وكان عالماً عاملاً فقيهاً أصولياً^(٢)، كان إلى جانب ذلك أيضاً بليغاً لبيباً وشاعراً مجيداً. له ذكر يتجدد ببقاء المنابر الحسينية، وسمعة باقية ببقاء الأدب. له شعر كثير جمع مراثيه البحاثه المرحوم الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧١ هـ/ ١٩٥١ م) وجعله ديواناً^(٣)، وله أيضاً: (الروضة) في الشعر^(٤)، و(ذرائع الأفهام إلى أحكام شرائع الإسلام) وهو فقه استدلالی مبسوط بدقة وتحقيق، استمد بعض العلماء - ممن تأخر عنه من مؤلفي الكتب المشهورة - الكثير منه نقالا وتحصيلاً^(٥).

١٩. الفقيه الناسك المقدس الشيخ حسين نجف (ت ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م) إمام الجمعة الذي يأتي به جميع العلماء والفضلاء والعباد وغيرهم من مختلف الطبقات في النجف الأشرف، ذلك الذي لافرق عنده بين أن يقال له: جاءك ولد، أو يقال له: مات ولدك^(٦) كان من الشعراء المرموقين الذين قصرُوا

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣/ ٢٦-٢٩.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ٢٧.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٢٩.

(٤) السابق نفسه: ٢/ ٢٩.

(٥) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٤٣٥.

(٦) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ٤٢٣.

شعرهم على مدائح أهل البيت عليه السلام ومراثيهم^(١). له ديوان شعر رائع، يمتاز عن شعر العلماء الفقهاء، رصين التركيب، قوي السبك سلس الألفاظ، جيد المعنى^(٢).

٢٠. السيد موسى بن عبد السلام الموسوي (ت ١٢٥٣هـ / ١٨٣٦م) وكان من العلماء المتبحرين في الفقه والأصول وعلوم العربية، وهو من شعراء عصره، وشعره سائر محفوظ في ديوان يبلغ أربعة آلاف بيتاً أكثره في مديح آبائه الطاهرين المعصومين عليه السلام، وله أيضاً رسالة (ما انفردت به الإمامية من المسائل الفقهية)، و(رسالة في صلاة المسافر)، وأخرى في (مناسك الحج)^(٣).

٢١. السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢٥٣هـ / ١٨٣٦م) وكان عالماً فقيهاً عابداً ورعاً، وأديباً شاعراً^(٤).

٢٢. المرجع الشيخ علي ابن الشيخ جعفر الكبير آل كاشف الغطاء (ت ١٢٥٣هـ / ١٨٣٦م) الذي انتهت إليه الرياسة العلمية، ورجعت إليه الفتيا، والقضاء بعد أبيه وأخيه الشيخ موسى من كافة الأقطار الشيعية. له شعر كثير، من جيد الشعر ونفيسه، وقد نظم في أغلب أنواع الشعر من الغزل، والنسيب، والمدح، والثناء، والتهاني، وله مراسلات ومكاتبات مع الأدباء نظماً ونثراً^(٥) في غاية الجودة والحسن، أسلوباً رائعاً، وصوراً إبداعية، وانتقاء للمفردات. ولكنه لما بلغ

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٧.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ٤٢٤.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٤٤٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ١٦٨-١٧١.

العشرين أو الثلاثين جعل يتتبعها ويفتش عنها ليحرقها ويمحي وجودها، فظفر بمقدار مائة ألف بيت فأحرقها جميعاً إلا ما كان في مدح الأئمة وراثتهم^(١).
٢٣. المرجع الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر الكبير آل كاشف الغطاء (ت ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م) ومؤلف كتاب (أنوار الفقاهة)، الفقيه البارز في عصره، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية^(٢)، لقد كان هذا الشيخ الجليل مع مرجعيته، شاعراً مكثراً من قول الشعر، جيد النظم بديعه، قوي السبك محكمه، رقيق الألفاظ جميلها حتى أن من رأى أشعاره، قال هذا شعر من عكف على تحصيل الأدب ليله ونهاره، لقوته ومتانته، مع رفته وجزالته^(٣).

٢٤. المجتهد السيد محمد صدر الدين (ت ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م) العالم الفقيه الأصولي المحقق المحيط بعلم الحديث والكلام، اختص بالحضور على الشيخ الأكبر الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) النجفي، وأصبح المترجم له من محسوبي الشيخ، وفي الوقت نفسه كان أديباً شاعراً^(٤).

٢٥. العالم الشيخ أحمد ابن الشيخ عبد الله الدجيلي (ت ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م) وكان عالماً فاضلاً تقياً ورعاً، ومدرساً بارعاً، أديباً كاتباً وشاعراً لامعاً، مقلداً في النظم وروي أنه كان من أهل الخبرة والتميز، وإليه يشار بالفضل^(٥).

٢٦. المرجع الشيخ محمد حسن النجفي (الجواهري) صاحب الموسوعة الفقهية

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٨.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ١٣٩.

(٣) الطبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ٢٥٧. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٤٥٦. ومعارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين: ١/ ٢١٠.

(٤) معارف الرجال. سابق: ٢/ ٣٣٨.

(٥) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٤٥٤-٤٦٥. ومعارف الرجال. سابق: ١/ ٧٢.

الشهيرة (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، انتهت إليه الرئاسة العامة في الدين والمرجعية لسائر الأقطار الشيعية، وكانت حوزته حافلة بالعلماء يقول المجتهد الشيخ محمد حرز الدين^(١) صاحب كتاب (معارف الرجال): تتلمذ عليه أكابر العلماء ومحققو الفقهاء، عدّ منهم (٤١) فقيهاً محققاً بأسائهم، كما عدّ الشيخ جعفر محبوبة^(٢) صاحب كتاب (ماضي النجف وحاضرها) من حاز المرجعية منهم ونالوا الرئاسة العلمية (٤٤) مرجعاً مقلداً قال: إنهم انتشروا في الأنحاء الشيعية، وصاروا بعده من المراجع في الفتيا والتقليد، وجلّهم مجاز منه إجازة اجتهد أو إجازة رواية، رأيت إجازات كثير منهم في مستدرك الإجازات للميرزا محمد الطهراني.

٢٧. المرجع الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر الكبير (ت ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م) الذي ألفت إليه الزعامة مقاليدها، وحاز الرياسة الدينية والدينية، وكان المقدم من العلماء على كثرة من كان في زمانه من أساطين العلم، والمبرزين من أهل الفضل^(٣)، والذي كان يحضر مجلس درسه كل صباح يتجدد خمسمائة وأزيد، ما بهم غير عالم ماهر محقق باهر^(٤)، كان شاعراً مجيداً، يحضر مجالس الشعر، ويستضيف الشعراء، حتى قام بفضل دعمه وتشجيعه للأدب سوق رائج، يمنح الشعراء، ويصلهم بصلاة جمّة وافرة^(٥). له نظم كثير^(٦).

(١) معارف الرجال. سابق: ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٣٠-١٣١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١٩٥/٣.

(٤) المصدر السابق: ١٩٣/٣.

(٥) السابق نفسه: ١٩٣/٣.

(٦) ينظر: معارف الرجال سابق: ٢/ ٣٥٦-٣٥٨.

٢٨. العالم المحقق الشيخ موسى ابن الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الخمايسي (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) قال المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين، حدّث مشايخنا: إنه كان على جانب عظيم من الفضل والعلم الغزير والتحقيق، وكان مدرّساً شهيراً في المعاني والبيان والعربية، وقد تخصص بهذه العلوم، وكان أديباً لامعاً على تقدمه في سنه وقداسته وتقاه، وكان من المؤلفين في الفقه والأصول والكلام^(١).

٢٩. المرجع الشيخ محسن ابن الشيخ محمد بن خنفر (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) وكان عالماً محققاً وفقهياً أصولياً بارعاً، خبيراً متبعاً لعلم الرجال والحديث، ومن طريف ما ينقل عنه أنه كان يحفظ كتاب القانون في الطب لابن سينا، وكان أستاذاً في تدريسه وشرحه، ويحفظ كتاب وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي بأجزائه المتعددة سنداً ومتناً مع التحقيق والغور العميق في فهم مطالبه حتى أنه كان يضبط مواضع اشتباه العطف بالواو أو الفاء، رجع إليه فقلده الكثير من أهل الفضيلة على كثرة مراجع عصره، وكان مع غزارة علمه شاعراً يروى له الشعر الجيد في المناسبات الأدبية. له من الآثار العلمية مسودات في الفقه والأصول والكلام، ورسالة عملية لعمل مقلديه سَمّاها (مقاصد النجاة)^(٢).

٣٠. الشيخ حسن آل قفطان (ت ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م)، وقيل (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م) فقيه لغوي. اتصل بصاحب الجواهر المرجع الشيخ محمد حسن النجفي، وهو أكبر أساتذته في الفقه، وإليه وإلى ولده أحال صاحب (الجواهر) تصحيح

(١) معارف الرجال. سابق: ٣ / ٣١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢ / ١٧٥-١٧٦. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٤٨٦.

كتابه الكبير (الجواهر) ووراقته إليه، حتى قيل لولاها ما خرجت (الجواهر)^(١)، وإليه أيضاً أحال الميرزا القمي (قوانينه) في الأصول فصيحها، وكان شاعراً مجيداً حسن النظم رائع، ولغوياً تشهد له كتبه (طب القاموس) اقتبسها من القاموس، ورسالة سماها (أمثال القاموس) و(رسالة المثلثات) و(رسالة الأفعال اللازمة المتعدية في المعنى الواحد) و(رسالة الأضداد)، وهذه الرسائل الخمس كلها منتزعة من (القاموس)، وله تعديلات مفيدة على (مصباح المنير) للفيومي، وذكر فيها مصادر (المصباح)، كتبها بيده سنة (١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)^(٢).

٣١. المرجع الشيخ محمد ابن الشيخ علي آل كاشف الغطاء (ت ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م) تلميذ عمه المرجع الشيخ حسن آل كاشف الغطاء صاحب كتاب (أنوار الفقاهاة) (ت ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م) الذي تتلمذ عليه وجوه أهل الفضل والعلم والاجتهاد كالشيخ راضي ابن الشيخ محمد آل فقيه العراق وغيره، وكان إلى جانب ذلك شاعراً^(٣).

٣٢. المجتهد السيد أحمد بن حبيب بن أحمد آل زوين (ت ١٢٧٦هـ / ١٨٥٠م)، وكان عالماً فاضلاً محققاً أديباً كاتباً هاجر من الرماحية يافعاً إلى النجف الأشرف لطلب العلم حتى حصلت له ملكة الاجتهاد، وكان ينظم الشعر الرائق الرقيق له كتب منها: (كشف الآيات)، و(الحاشية على الحاوي في علم التداوي) لمحمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)، ورائق المقال في فائق الأمثال وغيرها^(٤).

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ١١٠ نقلاً عن الشيخ محمد رضا الشيباني.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣ / ١١١.

(٣) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٣٥٦-٣٥٧. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٤٧٧.

(٤) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٤٧١-٤٧٢.

٣٣. العالم الشيخ صالح بن قاسم بن محمد الحويزي الشهير بالشيخ صالح حجي (ت ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م) وكان عالماً فاضلاً مشاركاً في العلوم وأديباً شاعراً له مطارحات مع أدباء عصره^(١).

٣٤. الفقيه الأصولي المحقق الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله حرز الدين العقيلي (ت ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) وكان عالماً علامة محققاً فقيهاً أصولياً، ومع ذلك كان أديباً شاعراً له من بعض ما كتب كتاب (الحج) وهو كتاب فقه استدلالی مبسوط جداً، وكتاب (الحاشية في المنطق على شرح الشمسية)^(٢).

٣٥. الأصولي المحقق الشيخ قفطان النجفي (ت ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م) وكان عالماً أصولياً محققاً، وأديباً شاعراً قديراً على ضبط المواد اللغوية جيد الخط والإملاء. له شعر مدون في المجاميع المخطوطة، يروى أنه حاز على درجة الاجتهاد في عصر حافل بالمجتهدين فخباً صوته ولم يذع صيته من كتبه (أقل الواجبات في حج التمتع)^(٣).

٣٦. الفقيه الأصولي الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي بن عبد الرسول الحجامي (ت ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م) وكان أحد أعلام عصره في الورع والفقه والفتيا ومؤلفاً مكثراً، له أراجيز عديدة في علوم المنطق والأصول والفقه والنحو العربي وغيره، وكان مع ذلك شاعراً بليغاً بعض شعره منشور^(٤).

٣٧. المجتهد الشيخ محمد بن طعمة الزريجاوي (ت ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م) العالم

(١) المصدر السابق: ٢/ ٤٩٦.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢/ ٥٠٠.

(٣) نفسه: ٢/ ٥٠٢-٥٠٣.

(٤) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ١٥٧-١٥٨.

المعروف والفقيه البارع الذي شهد جماعة من أهل الفضل والتقى بفضلته وبراعته في الفقه وقوة نظره وعمق فقاوته، وكان مع ذلك شاعراً أديباً حسن المفاكهة والحديث لين الجانب. له عدة مجلدات في الفقه والأصول استدلالاً، وله كتاب (القضاء في شرح شرائع الإسلام)، وكانت كتابته متينة جداً وقد أثنى عليها كل من وقف عليها من معاصريه إلا أنها لم تنشر لعدم يسار صاحبها^(١).

٣٨. المجتهد الشيخ محمد حسين الأعسم (ت ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) الموصوف بكونه الأورع الأفقه الأعلم، حائز الفخرين، وحاوي الفضيلتين، نابغة الدهر، ومجتهد العصر^(٢) الذي كان إلى جانب مقامه العلمي الرفيع، شاعراً مجيداً، وقارئاً لمقتل الإمام الحسين خطيباً، استشهد على المنبر يوم عاشوراء في مدينة (الدغارة) العراقية، عندما أطلق عليه الرصاص جندي عراقي معاد لأهل البيت عليه السلام من غرب العراق، لم يستطع تحمل سماع قصة مقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله لأسباب طائفية مقبحة.

٣٩. الفقيه الشيخ حسين مبارك (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) وكان من الشعراء العلماء^(٣) الجامعين بين الفقاهة والشعر حتى عد من فقهاء وشعراء عصره.

٤٠. المرجع الشيخ مهدي ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) الذي كان مقدم العلماء ورئيس الفقهاء الذي أجمعت له جلّ الوجوه من أهل الحل والعقد بعد وفاة الشيخ المرتضى

(١) معارف الرجال. سابق: ٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال ألف عام. سابق: ١/ ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٠.

الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) وصار المدرس الأوحد في الفقه والأصول، عاصر فطاحل العلماء وله الأظهرية في الرئاسة على معاصريه^(١)، انتشرت رسالته في أغلب بقاع الأرض، وكان أديباً شاعراً بليغاً منطقياً، له شعر رائق ونظم فائق وقدرة على الارتجال مشهودة^(٢). له مداعبات شعرية مع الشاعر الأديب عبد الباقي العمري ورفقائه في دارهم بالنجف^(٣) الأشرف.

٤١. العالم السيد مهدي بن داود بن سليمان الحلي (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) وكان من أهل الفضل والعلم وشيخاً من شيوخ الأدب، شاعراً ذا قريحة باهرة من مؤلفاته: مصباح الأدب الزاهر، وكتاب في البديع، وديوان شعر.

٤٢. المجتهد الشيخ موسى الفلاح (ت ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م)، يقول عنه المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين إنه: من العلماء الأعلام والفقهاء والأصوليين العظام، باعه في علم العربية والمعاني والبيان طويل، بل متخصص بهما، وكان أديباً شاعراً كاملاً مؤلفاً، له مراسلات شعرية^(٤).

٤٣. المرجع الشيخ جعفر ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م) وهو من العلماء الأدباء وأهل الفضل والنبوغ في النظم، الذي كان شاعراً مجيداً، طويل الباع في الشعر، واسع الاطلاع، حسن

(١) معارف الرجال. سابق: ٩٦/٣ وينظر: المصدر السابق: ٤٠٠/١. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٥٢٨/٢.

(٢) معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال ألف عام. سابق: ٤٠٠/١. وتاريخ النجف الأشرف. سابق:

٥٢٨/٢.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٩٧/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٤٢/٣.

السبك، ذكره في (الحصون)، وأثنى عليه كثيراً، وقال: كان يحفظ أكثر شعر المتنبي. قرأت عليه برهة من الزمان ديوان المتنبي، وكان وحيد زمانه في معرفة نكته ومعانيه. رجع إليه بعض أهل العراق في المسائل الشرعية. وحضر عليه جماعة من أهل الفضل في درس الأصول سطحاً وخارجاً^(١). وقد حدث بعض تلامذته قائلاً: كنت عند الشيخ جعفر قبل وفاته بيومين، فبينما أنا هناك إذ قال لبعض غلمانه: أخرج لي الزنبيل الذي في الحجرة الفلانية، فمضى وأخرج له زنبيلاً كبيراً مملوءاً من الأوراق والقراطيس، فقال له مولاه خذه وتوسط به بحر النجف - وكان البحر يومئذ بحراً عظيماً - وارمه في الماء، ولا تخبر في طريقك به أحد، فأنعم الغلام ومضى بما أمره مولاه. قال الراوي: وبقيت أتأمل فيما كان في الزنبيل، فما وسعني إلا أن سألته عما فيه، فقال: هذه منظوماتي وقصائدي، لي مدة أجمعها لأتلفها حتى لا تبقى بعدي، فصعقت من مكاني، وجعلت أوبّخه وألومه في ذلك، وأسأله الرجوع عما هناك، فأبى وامتنع، فلما أيسست منه خرجت أعدو خلف الغلام، فوجدته راجعاً من قضاء أمر مولاه، وانكفأت وأنا أدمي بالندم الأظفار وأتأسف، ولا أسف الفرزدق على نوار^(٢). وكان الشيخ جعفر عالماً كبيراً ومحققاً وأصولياً ماهراً، وأديباً شاعراً، وكانت تعقد عليه آمال المرجعية العامة بعد وفاة أخيه الشيخ مهدي، ولكن أسرع إليه مرض السل وتوفي فيه^(٣).

٤٤. المرجع الشيخ راضي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ محسن المالكي (ت ١٢٩٠هـ/

(١) معارف الرجال. سابق: ١٤١/٣ - ١٤٤.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) نفسه: ٥٣٢/٢.

١٨٧٣م) فقيه العراق الذي أذعن إليه الشيوخ والمدرسون، عرف بانشغال فكره في المسائل العلمية دائماً، قائماً وقاعداً وماشياً بل وفي فراشه حتى عدّ مؤسساً في الفقه، تخرج عليه المئات من العلماء والمراجع من أمثال المراجع العظام والأساتذة الكبار: الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني، والسيد محمد كاظم اليزدي، والسيد إسماعيل ابن السيد صدر الدين العاملي، والشيخ فضل الله النوري وغيرهم من العلماء الأعلام والمجتهدين الكبار الذين صار جلهم مراجع ورؤساء المذهب من العرب والعجم والترك. ألقت إليه الزعامة مقاليدها وأخلت له ملوك العلم دست الفتيا والإمامة وبموته ماتت طريقة الشيخ كاشف الغطاء وأولاده في الفقه^(١)، كما سيأتي، ومع ذلك كله فقد كان مهتماً باللغة العربية علوماً وآداباً ما حدا بالمجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين لأن يصفه بقوله: كان أعرف بلسان الكتاب والسنة، كيف وهو العربي الصميم في الذوق والسليقة والأدب^(٢).

٤٥. الشيخ سعد بن الشيخ عبد الحسين الحساني (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م) وكان عالماً فاضلاً كاملاً أديباً، وعارفاً فقيهاً، وكانت داره ندوة علم وأدب^(٣).

٤٦. الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ نعمة بن علاء الدين بن أمين الدين الطريحي (ت ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م) كان عالماً فقيهاً مشهوراً بالفقاهة حافظاً لمتون الأخبار وأقوال الفقهاء السابقين، جيد الأدب والسليقة والشعر^(٤) أديباً،

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ٢/ ٢٨٩-٢٩٤.

(٢) معارف الرجال: ١/ ٣٠٨.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٥٣٢.

(٤) معارف الرجال. الشيخ محمد حرز الدين: ٢/ ٣٦.

كاتباً^(١)، له شعر مجموع مصصح بخطه عند بعض أدباء النجف، وقد علّق عليه بخطه مما يدل على علو كعبه في اللغة والأدب^(٢) يقول عنه المؤرخون إنه جمع بين العلم والأدب كليهما فكان إلى جانب أدبه البديع وشعره الرائع عالماً فقيهاً من أكمل من رأيت من علماء النجف وأجمعهم فضلاً في كثير من العلوم النقلية، كان أحد المدرسين في الفقه، معروفاً بين الفضلاء بالفضل، كان يدرّس (الروضة) و(المدارك)، ويقرأ عليه كثير من أهل العلم والفضل، وكان يحفظ (اللمعة) وشرحها على الغيب، ودرّسها مرات كثيرة^(٣)، ويعدّ في مقدمة تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري في الفقه والأصول حتى قيل بأن أستاذه الشيخ الأنصاري كان كثير الاعتقاد به، والمدح له، والثناء عليه^(٤).

٤٧. الشيخ شريف الشرقي (ت ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) وكان أديباً مستحضراً للمسائل الفقهية، ضابطاً للمقدمات، معروفاً عند فضلاء النجف وعلمائها، عاش جليلاً محترماً مبجلاً متورعاً في الأحكام الشرعية^(٥).

٤٨. الشيخ نعمة ابن الشيخ علاء الدين بن أمين الدين الطريحي (ت ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) وكان عالماً محققاً تقياً زاهداً مقدساً، وأديباً شاعراً، يروى له شعر

(١) كتاب تكملة الرجال. السيد حسن الصدر. (مخطوط). نقلاً عن الشيخ عبد الحسين الطريحي سيرته وما

تبقى من شعره. محمد سعيد الطريحي مجلة آفاق نجفية: العدد التاسع لسنة ٢٠٠٨م: ٨٦.

(٢) الشيخ عبد الحسين الطريحي سيرته وما تبقى من شعره ٨٦. سابق. نقلاً عن الحصون المنيع للشيخ علي آل

كاشف الغطاء: ٤٠٨/١ (مخطوط).

(٣) المصدر السابق: ٨٦. نقلاً عن تكملة الرجال للسيد حسن الصدر (مخطوط).

(٤) ماضي النجف وحاضرها. سابق ٢/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٥) تاريخ النجف الأشرف سابق: ٢/ ٥٣٨.

رقيق، وقد أجازته إجازة اجتهد أستاذه الشيخ محمد حسن صاحب جواهر الكلام، والشيخ حسن نجل كاشف الغطاء صاحب أنوار الفقاهة، له (مجمع المقال في علم الرجال)، وعدة رسائل^(١) منها رسالة في (أحكام الأرضين) وقد قرّض عليها الشيخ حسن نجل كاشف الغطاء، والشيخ صاحب (الجواهر) وأطريا عليه بالعلم والاجتهاد والملكة القدسية، له مرجعية في الجملة ومجلس درس يحضره جماعة من فضلاء العرب والعجم^(٢).

٤٩. السيد جعفر شرف الدين العاملي (ت ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م) وكان عالماً جليلاً حضر الفقه والأصول على المرجع الشيخ مهدي بن الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف، جالس الأدباء والشعراء ونظم كثيراً في المناسبات، له من الكتب حاشية على كتاب (القوانين) في الأصول، وديوان شعر^(٣).

٥٠. السيد علي بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م) وكان عالماً وفقهياً بارعاً في فقاوته مع غور واسع في علم الأصول، وكان كثير الجد والاشتغال في المسائل الفقهية، وله اليد الطولى في الأدب والشعر، يشغل مجلسه بالمسائل العلمية والأدبية^(٤).

٥١. السيد جعفر ابن السيد مهدي بن حسن القزويني (ت ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م) وكان من العلماء ووجوه أهل الفضل وله مراسلات أدبية وله شعر كثير مدوّن، له من الكتب: التلويحات الغروية في الأصول، والإشرافات في المنطق^(٥).

(١) المصدر السابق: ٢ / ٥٣٩.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق سابق: ١ / ١٥٧.

(٤) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢ / ٥٥٠.

(٥) نفسه: ٢ / ٥٥١.

٥٢. الشيخ محسن بن علي بن نعمة المؤمن (ت ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م) وكان عالماً فقيهاً أصولياً معروفاً بالفقاهة وحسن الاستنباط، وأديباً ضابطاً لمواد اللغة العربية^(١).

٥٣. الشيخ صادق بن محمد بن أحمد إطيّمش (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) أحد أعلام النجف علماً وفضلاً وأديباً حاز رتبة الاجتهاد^(٢) جمع بين علمي الفقه والأدب، فكان إلى جانب نبوغه العلمي شاعراً مجيداً، شعره سلس اللفظ، فخم المعنى، خفيف على السمع^(٣).

٥٤. الشيخ حسن بن محمد صالح بن علي بن زائر دهام (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) وكان عالماً فاضلاً أديباً^(٤).

٥٥. الشيخ علي بن يونس النجفي (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) وكان فقيهاً فاضلاً مقدساً زاهداً، أديباً كاملاً، يعقد مجلساً لأهل العلم والأدب للمذاكرة والمنادمة^(٥).

ومن طريف ما يدل على تعلق العديد من فضلاء حوزة النجف الأشرف وعلمائها ومجتهديها في القرن الثالث عشر الهجري، هو (معركة الخميس) الأدبية الشهيرة، وهي معركة أدبية جرت أحداثها في النجف الأشرف بحدود سنة (١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م) في مجلس كان يعقد كل خميس من كل أسبوع، وفي هذا المجلس يلتقي أعلام الأدب والدين لمناقشة القضايا الأدبية

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢/ ٥٥٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ١٢.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ١٣.

(٤) تاريخ النجف الأشرف: ٢/ ٥٥٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٥٥٢-٥٥٣.

خلال عطلة الأسبوع وفراغهم من الدراسات الدينية، وكانت إحدى مظاهر النشاط الأدبي الذي جدّ على الحياة الدينية وبداية النهضة الأدبية في العراق التي اتصلت في نهايتها بالنهضة الأدبية التي نضجت في القرن العشرين^(١)، وقد شارك في معركة الخميس أكثر من خمسين عالماً أديباً^(٢)، منهم عدد معتدّ به من الفقهاء الكبار، بينهم المرجع الأعلى السيد بحر العلوم، وزميل بحثه الشيخ جعفر كاشف الغطاء - (المرجع الأعلى من بعده) -، والمجتهد الشيخ محمد محي الدين الفقيه، إضافة إلى الشيخ محمد رضا النحوي الباحث المدقق الأديب، والسيد محمد زيني العالم المحدث، والسيد صادق الفحام العالم الأديب، والشيخ محمد آل الشيخ يوسف العالم الأديب والعالم السيد أحمد العطار، والعلامة الأفا محمد باقر المازندراني، والعلامة الشيخ علي العاملي، والعالم الشيخ إبراهيم العاملي، والمحدث العالم بل رئيس علماء المحدثين الشيخ موسى بن علي البحراني والمحقق السيد صدر الدين الهمداني، والعلامة السيد نصر الله الحائري، وكل هؤلاء العلماء شعراء أيضاً، وغيرهم كثير لا يسع المجال لذكرهم^(٣).

أما سبب هذه المعركة الأدبية الظريفة فهي أن الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر آل محي الدين (ت ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م) الفقيه والشاعر والقاضي بين الخصوم كان بينه وبين الشاعر الشهير السيد محمد زيني مودة وصداقة وقد نازعه على وداده للسيد محمد زيني المرجع الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)

(١) الحالي والعاقل. سابق: ١١٩.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٨٥-١٨٦.

(٣) معارف الرجال: سابق: ٢ / هامش ص: ٣٣٢-٣٣٤ نقلاً عن (دوحة الأنوار) المخطوط لنجل السيد

محمد زيني حيث كانت تعقد (معركة الخميس) بداره.

على سبيل الدعابة بأبيات أرسلها إليه منها:

فدع عنك شيخاً يدعي صفو وده فما كل من يرعى الأخلاء جعفرًا
يريك بأيام الخميس مودة وفي سائر الأيام ينسج ما أرى
فلا تصحبن غيري فإنك قائل بحقي كل الصيد في جانب الفرا

فأجابه الشيخ محمد آل محي الدين بمقطوعة منها:

يجاذبني ودّ الشريف ابن أحمد سلالة (زين الدين) نادرة الوري
وهيهات أن يحظى بصفو وداده وأن كان (بحرًا في العلوم) و(جعفرًا)^(١)
فيا أيها المولى الخليط الذي بنى سينصفني المهدي^(٢) فيك فتحصرًا
فقم (سيدي) للحكم إنك أهله فديتك أنصفني فقد أحوج المرأ

طالباً فيها من السيد آل بحر العلوم الحكم في هذه الواقعة، فأجابه المرجع الأعلى يومها السيد محمد مهدي بحر العلوم بأبيات منها:

أتاك كوشي الله أزهر أنوراً قضاء فتى باريه للحكم قد برى
فتى ليس يخشى من ملامة لائم إذا ما رعى عرفاً وأنكر منكراً
يؤازر مجنياً عليه إذا اشتكى وينصره في الله نصراً مؤزراً
محمد يا ذا المجد لا تبتس ولا يرو عن منك القلب شيخ تدمراً
فما ذاك إلا من نوادره التي عرفن له مذ كان أصغر أكبراً

(١) إشارة إلى المرجعين السيد محمد مهدي آل بحر العلوم والشيخ جعفر آل كاشف الغطاء.

(٢) إشارة إلى المرجع السيد محمد مهدي بحر العلوم.

فأجابه الشيخ آل كاشف الغطاء بأبيات، وردّ عليه الشيخ آل محي الدين بمثلها ثم تكاثرت الردود والإجابات من المشاركين في معركة الخميس الأدبية ممن تقدم ذكرهم من كبار العلماء -وهم بالعشرات- وكل قصائدهم ومقطوعاتهم على وزن واحد وقافية واحدة^(١).

إن هذه الكثرة الكثيرة من العلماء الأدباء المشاركين في هذه المعركة الأدبية ترينا بجلاء مدى تطور النسيج الأدبي الفني عند علماء ذلك القرن، وخاصة ما شَفَّ منها من ثراء المفردات، وتضمين الحكم والأمثال، والإشارة إلى الآيات القرآنية والأحاديث، ومتانة السبك، ورشاقة اللغة، والقدرة على تثير المعاني وغيرها مما يتلمسه فيها نقاد الأدب ومبدعوه.

ومن سنخ معركة الخميس السابقة ندوة أدبية عرفت بـ(الندوة البلاغية)، تلك الندوة التي أسسها سنة (١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م) الفقيه الأصولي الزاهد الشيخ طالب ابن الشيخ عباس بن إبراهيم البلاغي (ت ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)، والتي فاقت سعة -كما يقول الشيخ جعفر محبوبة^(٢)- المعركة الأدبية النجفية المشهورة بـ(معركة الخميس) وكانت حلبة من أشهر حلبات الأدب النجفي الوافي.

ومن سنخ (معركة الخميس) و(الندوة البلاغية) المتقدم ذكرهما، معركة أدبية لاحقة لهما؛ هي (معركة الجمعة) التي شارك فيها ثلة من كبار علماء النجف الأشرف من أمثال الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي (ت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) وغيرهما.

(١) لمزيد من التفاصيل عن معركة الخميس ينظر الحالي والعاقل. سابق: ١١٩-١٢٨ منه.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٧٢-٧٣. وللمزيد ينظر: ٧٢-٧٣.

ومثل المعارك الثلاث السابقة (معركة الأربعاء) الأدبية التي طارت شهرتها في النجف الأشرف حتى صار يوم الأربعاء من تلك الفترة من أشهر أيام النجف المعروفة^(١).

وهناك من المعارك الأدبية غير ما ذكرت لا يسعني المجال لاستعراضها هنا^(٢).

لقد بلغ من اهتمام مراجع حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي والشعر منه خاصة، أن السيد محمد مهدي بحر العلوم كان - (وهو المرجع الأعلى) - يقبل يدي تلميذه وأستاذه في الدراسات الأدبية الشاعر السيد صادق الفحام، وفاء لحق تتلمذه عليه في الشعر، ومثله كان الشيخ جعفر الكبير، وكان جلّ علماء النجف في تلكم الحقبة ينظمون الشعر العرفاني وغيره، ويتبارون أيام التعطيل، كما كان الشيخ محمد تقي الدورقي (ت ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م) وهو من أكابر فقهاء عصره من شهود معركة الخميس^(٣)، وله مكانة سامية وشهرة طائلة في العلم والأدب^(٤)، كما تقدم.

وفي مغزى ذي دلالة لمظهر رمزي من مظاهر اهتمام كبار الفقهاء المراجع بالشعر العربي في القرن الثالث عشر الهجري أيضاً، ما أورده المؤرخون في فترة لاحقة لفترة المرجعين المتقدمين السيد بحر العلوم والشيخ آل كاشف الغطاء، من أن المرجع الأعلى في وقته، ومؤلف أكبر موسوعة فقهية كاملة في الفقه الجعفري الشيخ محمد حسن النجفي المعروف بـ (الجواهري) نسبة إلى كتابه الضخم (جواهر

(١) تاريخ النجف الأشرف: ١/ ١٩٣.

(٢) ينظر: آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين. تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله. السيد عدنان البكاء: ٥٧ وما بعدها.

(٣) في الأدب النجفي. قضايا ورجال. محمد رضا القاموسي: ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣٢٥/ ٢.

الكلام في شرح شرائع الإسلام) (ت ١٢٦٦هـ / م ١٨٥٠) والمعجب جداً بالقصيدة الرائعة المشهورة بـ (القصيدة الأزرية) للشيخ كاظم محمد الأزري في مدح النبي ﷺ وآل بيته الطاهرين ﷺ.

كان المرجع الشيخ محمد حسن النجفي (الجواهري) يذكر دائماً بأنه يتمنى أن تكتب هذه القصيدة في صحيفته في الآخرة، ويكتب كتابه الجواهر (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) في صحيفة أعمال وديوان الشيخ كاظم الأزري^(١).

وإذا كان المرجع الأعلى الشيخ الجواهري تمنى استبدال ثواب موسوعته (جواهر الكلام) بثواب قصيدة الشاعر العمري، فإن المجتهد الكبير المفسر السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب موسوعة (الميزان في تفسير القرآن) قد تمنى هو الآخر استبدال تفسيره الكبير بيت واحد فقط من قصيدة الشاعر الفارسي المتهتك إيرج ميرزا في تصويره البليغ لمصيبة الإمام الحسين ﷺ بعد مصرع نجله الشهيد علي الأكبر ﷺ وفق رواية الشاهد على الحدث سماحة السيد العلوي البروجردي سبط المرجع السيد البروجردي، رغم علم السيد الطباطبائي بأن الشاعر إيرج ميرزا شاعر دعاة ومجون.

أقول: إذا كانت مكانة الشعر عند المرجع الأعلى والمجتهد المفسر هو ما تقدم، فما بالك بغيره من الحوزيين سواء أكانوا من كبار أساتذة الحوزة أم من هم أدنى منهم طبقة علمية ويكفي في إثبات مدى اهتمام كبار العلماء بالشعر خاصة وتشجيعهم على تعاطيه وجود (مائي شاعر) في النجف الأشرف فترة مرجعية السيد بحر العلوم كما تقدم.

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق. ٢ / ١٦٢ نقلاً عن كتاب (هدية الأحاب)، والكنى والألقاب. الشيخ عباس القمي: ٢٣ / ٢ وينظر: مقدمة الشيخ المظفر لكتاب الجواهر. مصدر سابق: ٢٢.

لقد استدعاني إثبات دعواي هذه لأن أستعرض ما استعرضت من أسماء
 (العلماء / الأدباء - الشعراء) رغم الإطالة إلى حد ما عسى أن أكون قد عززت
 حجتي بما أظن أنه كافٍ لإثبات ما أردت إثباته في صدر هذا البحث، بحيث يغني
 عن كل زيادة تدليل وبرهنة.



المبحث الثالث

اهتمام الحوزويين بالأدب العربي عامة والشعر منه خاصة في القرن الرابع عشر الهجري

ما إن تصرّم القرن الثالث عشر الهجري وأطل القرن الرابع عشر حتى وجدنا الشعر العربي الراقى من حصّة العراق، وتجيء النجف في الطليعة^(١)، ووجدنا أيضاً استمرار وتائر اهتمام عدد من المراجع والمجتهدين وكبار أساتذة حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي عامة وبالشعر منه خاصة واضحاً جلياً.

ونظراً لكثرة من عدّهم المؤرخون ممن جمع بين الفضيلتين: فضيلتي العلم والأدب من رجالات حوزة النجف الأشرف العلمية، لذا فسأكتفي بذكر المراجع والمجتهدين وكبار أساتذة الحوزة العلمية وعلمائها منهم فقط، تاركاً ذكر جميع من جمع فضيلتي العلم والأدب من بقية حوزويي النجف الأشرف لفرصة أخرى إن شاء الله.

فمن هؤلاء المراجع أو كبار أساتذة حوزة النجف الأشرف وعلمائها الذين حازوا الفضيلتين:

المرجع السيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) أحد عيون الفقهاء والأصوليين في حوزة النجف الأشرف وصاحب المؤلفات الكثيرة جداً ككتاب (القواعد الكلية الفقهية) والكتاب الاستدلالي الكبير (مواهب الأفهام في شرح شرائع الإسلام) و(بصائر السالكين في شرح تبصرة المتعلمين) بثمانية عشر جزءاً

(١) لوحة الصلابة في المبدأ. الشيخ علي الشريقي. بحث. مجلة الاعتدال. العدد السابع. السنة الثالثة. (١٩٣٥م/

عدا كتاب الحج، وكتاب (المهذب) في الأصول، وكتاب (الروائح) في الأصول، وكتاب (قلائد الخرائد في أصول العقائد) وكتاب في (علم الكلام) وغيرها كثير، وكان السيد القزويني مع ذلك كله شيخ الأدباء ووجه تلامذة المرجع الشيخ حسن آل كاشف الغطاء ولأنه كذلك ولأنه أيضاً وجه تلامذته الأدباء الأعلام فقد أرسله أستاذه المرجع إلى الحلة ممثلاً عنه سنة (١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م) ليعود ثانية إلى النجف الأشرف بعد عقود^(١).

١. أستاذ المراجع المجتهد الشيخ نوح القرشي (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) الذي كان عالماً عاملاً محققاً فقيهاً زاهداً متعبداً ثقة عدلاً، بل لم يختلف اثنان في وثاقته وعدالته ومن يشار إليه بالصلاح والتقوى في النجف، له حلقة من الطلاب الأفاضل غير يسيرة يدرّسها الفقه والأصول، شهد باجتهاده الشيخ محمد حسن باقر صاحب (الجواهر)، كما أطرى عليه بالعدالة والوثاقة ونفوذ الحكم وجواز الرجوع إليه في التقليد، وبعض من قرؤوا عليه صاروا مراجع تقليد في عصره^(٢)، ومع ذلك كله كان له مزيد اختصاص بالعلوم العربية.

٢. المجتهد المحقق الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن ناصر الغراوي (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) يقول: المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين عنه إنه تتلمذ على فقيه العراق الشيخ راضي وقد أكثر الحضور عليه، وكان من عيون تلامذته، وعلى الفقيه البارع الشيخ محمد حسين الكاظمي وغيرهما، وكان عالماً مهذباً فقيهاً ثقة عدلاً زاهداً عابداً مجاهداً، له ذكر حسن وآثار

(١) ينظر: معارف الرجال: ٣/ ١١٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣/ ٢١٠-٢١٣.

جليلة، وكان كثير النقل لآراء العلماء في بحثه وكتبه، ولقد أحسن وأجاد لفوائد جمّة منها ضبط ما عليه السلف الصالح اتفاقاً واختلافاً. أجازته الحجة الكبير السيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، وكانت إجازة اجتهد جليّة قرأتها بخطه طاب ثراه، شهد له السيد بعلو رتبة اجتهاده وعظمته وتبحره في العلوم، ويضيف الشيخ حرز الدين: إن الشيخ الغراوي كان ممن يفهم الأخبار كما هي، ويعرف القول السقيم من القويم بدوق عربي صميم، وكان مولعاً بنظم الشعر، وكان يقرأ علينا نظمه^(١).

٣. العالم الشيخ علي ابن الشيخ حسين الحكيمي العبيسي (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م) الذي كان عالماً تقيّاً زاهداً أديباً محترماً عند العلماء مبعجلاً عند أهل الفضل والأدب، وكان راوية لأحوال العلماء الأوائل وسيرهم^(٢).

٤. الفقيه المحقق الأصولي الشيخ حسن بن الشيخ علي حرز الدين (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م) الذي كان عالماً فقيهاً محققاً أصولياً كلامياً له من الكتب كتاب (الجامع) في الحديث، وكتاب (الطهارة والصلاة والبيع) استدلالاً مبسوطاً، وله رسائل في الأصول والكلام والمنطق والعروض^(٣) في الشعر العربي.

٥. الفقيه الشيخ حسين ابن الشيخ أحمد الخزرجي الدجيلي (ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م) وكان فقيهاً عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً في آن، وقد كانت العلماء ترغب إلى مجلسه لتقواه وصلاحه وعفته وظرافته وفضله^(٤).

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢٨/١ وما بعدها.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٨/٣.

(٣) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢٣١/١.

(٤) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٤/٣.

٦. العالم التقي الشيخ عبد الرضا بن شويرد الطفيلي (ت حدود ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م) وكان فاضلاً عالماً تقياً معروفاً بالصلاح مشهوراً في الحلقات العلمية الأدبية في النجف الأشرف يقول الشيخ محمد حرز الدين "عاصرناه وسمعنا حديثه شيخاً محترماً تجله الأكابر وتحترمه أساتذتنا، وترى له المكانة الرفيعة من الفضل والاجتهاد، له من الكتب: (شرح الاستبصار) في خمس مجلدات و(شرح شرائع الإسلام) في عدة مجلدات" (١).

٧. العالم الفقيه السيد إسماعيل ابن السيد رضى الدين ابن السيد ميرزا إسماعيل ابن مير فتح الله الشيرازي النجفي ابن عم رئيس الإمامية في عصره السيد المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٥ م) ويعد السيد إسماعيل من كبار العلماء الأعلام والفقهاء العظام، وفي الوقت كان أديباً شاعراً له موشحة في ذكرى مولد الإمام علي عليه السلام (٢).

٨. العالم الفقيه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن ناصر الغراوي (ت ١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨ م)، الذي كان عالماً فقيهاً زاهداً عابداً مجاهداً، لم يزل مجلسه العلمي حافلاً بالعلماء وأهل الفضل، ولا يهدأ مجلسه عن المذاكرات العلمية والفروع الفقهية، فكل من لديه مسألة عويصة أو فرع مغلق يأتي إلى مجلسه، له كتاب: (كاشف ريبة المراجع)، وهو شرح على المختصر النافع للمحقق الحلي بتسعة مجلدات، وكان إلى جانب علمه الجم شاعراً مولعاً بنظم الشعر، وكان يقرأ علينا نظمه (٣).

(١) معارف الرجال. سابق: ٥٤ / ٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ١ / ١٠٨.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ٢٨ / ١.

٩. الفقيه الأصولي الشيخ موسى ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد الله الدجيلي (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م)، وكان من الفقهاء والأصوليين المحققين دأب على حفظ متون الأخبار، وإلى جانب ذلك كان أديباً كاملاً حسن المناظرة والمحاورة^(١).

١٠. المجتهد الشيخ موسى ابن الشيخ محمد رضا ابن الشيخ موسى كاشف الغطاء (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) وكان من أهل الفضيلة والتحقيق في الفقه مع أدب واسع ونبل ودمائة أخلاق، وكان ينظم الشعر على قلة، هاجر إلى سامراء لطلب الاجتهاد ونال ما أراد وتوخاه^(٢).

١١. الفقيه السيد حسين ابن السيد رضا ابن السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) وكان من أهل الفضيلة والعلم فقيهاً نافذ الكلمة مع أدب وشعر له شرح الدرّة لجده السيد محمد مهدي بحر العلوم منظوماً وله أيضاً ديوان شعر باسم: ديوان بحر العلوم^(٣).

١٢. الفقيه الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر بن أحمد الحلفي الحويزي (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) وكان من العلماء الأجلاء والفقهاء المعروفين، اشتهر بالأدب الواسع والظرافة وحسن الأخلاق، وكان شاعراً ينظم التواريخ البديعة، له من الكتب: الفذلكات في الأصول^(٤).

١٣. المجتهد الشيخ موسى شرارة (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) وصفه معاصره

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ١٧/٣ - ١٨.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٥١ - ٥٢.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٨ / ٣.

(٤) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣٦٦ / ٢.

الشيخ محمد حرز الدين بأنه كان معروفاً بالأدب الواسع، طلق اللسان، قوي الجنان، بحاث، جد واجتهد وشاع ذكره وانتشر أمره وفشى فضله، وهو اليوم عالم فقيه أصولي متين ثقة ورع مبرز بالفضل من العاملين الذين عاصرناهم في نهاية القرن الثالث عشر للهجرة، وكان شاعراً بليغاً، له مساجلات شعرية مع المجتهد المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى^(١).

١٤. العالم الفقيه الشيخ محمد شرع الإسلام النجفي (ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م) تلميذ العلمين الشيخ مهدي ابن الشيخ علي نجل كاشف الغطاء والسيد مهدي القزويني وصاحب مؤلفات في الفقه والأصول وغيرها وكان من العلماء والفقهاء الأجلاء وكان شاعراً أرخ كثيراً من الحوادث والوقائع بشعره^(٢).

١٥. المرجع السيد هاشم ابن السيد أحمد ابن السيد حسين الأحسائي المبرزي (ت ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م) وكان من أعلام الفقه المحققين رجع إليه في التقليد كثير من أهل بلده، وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً له من الكتب: (إيضاح السبيل) وهو كتاب استدلال في تمام العبادات والأنموذج في الأصول، ورسالة لعمل مقلديه، ومنظومة في الطهارة^(٣).

١٦. العالم الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن إبراهيم الربعي المشهدي (ت ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م) له سعة باع في علمي الفقه والأصول، معروف بالعلم والفقاهاة وكانت داره ندوة علمية أدبية تلتقي فيها الوجوه العلمية والأدبية^(٤).

(١) ينظر: معارف الرجال: ٣/ هامش ص: ٥٧ بقلم الناشر الشيخ محمد حسين حرز الدين.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢/ ٣٦٦ - ٣٧٧.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ٢٥ وينظر: معارف الرجال: ٣/ ٢٦٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٣/ ٢٦.

١٧. المجتهد الشيخ جعفر ابن الشيخ محمد حسن الشرقي (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) الذي كان من المجتهدين المسلّمين الفضيلة والاجتهاد كما ذكره تلميذه في أوائل أمره الحاج محمد حسن كبة. تخرّج في الأصول على الشيخ صاحب (الكفاية) وكان من أفضل تلامذته. له شعر كثير، وهو عذب اللفظ، رقيق المعنى، خفيف على السمع^(١).

١٨. الفقيه الأصولي الشيخ أحمد بن علي أكبر المراغي (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) وكان فقيهاً أصولياً تتلمذ في النجف الأشرف على الشيخ مرتضى الأنصاري والسيد حسين الكوهكمري وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً متكلماً. له تفسير للقرآن وكتاب بعنوان نكات القرآن وبيان دقائقه^(٢).

١٩. المرجع السيد محمد الهندي (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) الذي يصفه المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين بأنه: عالم فقيه أصولي رجالي محيط بكثير من العلوم، مسلّم الاجتهاد والحكومة من عهد بعيد، وقد ألف وصنّف في العلوم العقلية والنقلية، واشتهر في عصرنا بالفضيلة والتحقيق والغور في المسائل المشكّلة، وقد قلده بعض من كسبة النجف وغيرهم^(٣). له العديد من الكتب في الفقه والأصول والرجال، وله أيضاً أرجوزة في الفقه ورسالة في علم العروض.

٢٠. المجتهد الشيخ عبد الرحيم بن محمد علي التستري (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) من أجلاء تلاميذ الشيخ الأنصاري، له من الكتب كتاب: (أصول الفقه) في

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ٣٩٤.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ٢٧.

(٣) معارف الرجال: ٢/ ٣٧٦-٣٧٨.

عدة مجلدات، وكان مع اجتهاده شاعراً وناظماً، له في النظم أرجوزة في (آداب المفيد والمستفيد) وهي نظم لكتاب (منية المريد)، وله غيرها من الأراجيز لا يسع المجال لذكرها^(١).

٢١. العالم الشيخ عباس بن عبد السادة الأعسم (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) وهو من أهل العلم والفضيلة المنظورين في زمانه، ومع اشتغاله العلمي ذاك كان شاعراً له ديوان شعر رتبّه بنفسه بما يقرب من ثلاثة آلاف بيت^(٢).

٢٢. الفقيه الشيخ حسن بن محمد بن علي كاشف الغطاء (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) وكان من أهل الفضيلة والصلاح له مكانته عند العلماء ومن طليعة الأدباء وأهل الكمال^(٣).

٢٣. المرجع الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) الذي اضطلع بأثقال الرئاسة الدينية في التدريس والقضاء والحكومة، وعكفت قلوب العامة والخاصة على حبه والتهافت على الوثوق به كان شاعراً مبدعاً رائع الشعر جميله، حسن الأسلوب بديعه، كثير النظم له مراسلات كثيرة بليغة، وشعر جيد يفوق على شعر العلماء^(٤).

٢٤. الفقيه الشيخ جواد ابن الشيخ محمد الحكيم النجفي (ت ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م) وكان عرف بالفقاهة والعلم والتتبع لأحوال العلماء والرؤساء وكان مع ذلك أديباً^(٥).

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣٧/٣.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣٩٢/١.

(٣) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٢٧/٣.

(٤) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢٤٢/١.

(٥) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٤٣/٣.

٢٥. العالم الأصولي الشيخ صالح بن مهدي بن علي ابن الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء (ت ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م)، وكان عالماً أصولياً جيد المناظرة حسن المحاضرة مبعجلاً محترماً بين أهل العلم، وقد تحلّى بالأدب والكمال والشاعرية^(١).

٢٦. المجتهد السيد مهدي البوشهري النجفي (ت ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) الذي يقول عنه معاصره المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين: عاصرناه في بلدنا (النجف الأشرف) مجدداً في تحصيله، يحضر الأبحاث الخارجة، وحضر من قبل أبحاث أشهر علماء عصره، وصار يعد من العلماء الأجلاء والشعراء الأدباء، ولما رجع إلى بلده بندر بوشهر أصبح مرجعاً للأحكام هناك^(٢).

٢٧. الميرزا هاشم الخوانساري النجفي (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م)، يقول معاصره المجتهد الشيخ محمد حرز الدين عنه: أقام في بلد الفقه والعلماء النجف الأشرف سنين عديدة وحضر فيها على العلماء الأعلام والمدرسين الكبار العظام حتى بلغ رتبة الاجتهاد وأجازه بعض أساتذته، وكان أديباً مؤلفاً، وقد أعد مجلساً في النجف تزوره أهل العلم فيه وقد تجاوز عمره الثمانين سنة^(٣).

٢٨. الفقيه الأصولي السيد علي بن محمد بن علي الموسوي الغريفي (ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) وكان مجتهداً عالماً جامعاً وفقهياً محققاً له اليد الطولى في العلوم العقلية ولا سيما في علم الأصول والحساب، وكان مع ذلك شاعراً يجيد النظم^(٤).

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق. ٣٨١ / ١.

(٢) معارف الرجال: ٣ / ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣ / ١٣٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق. ٨٤ / ٣.

٢٩. المجتهد الشيخ جواد ابن الشيخ علي محي الدين (ت ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م) جمع بين الفقه والأدب فكان فقيهاً، شاعراً ماهراً، أديباً، ثقة، ومن أئمة الجماعة في الصحن العلوي الشريف. نال إجازة الاجتهاد المطلق من العلامة الشيخ محمد طه نجف. له شعر كثير^(١).

٣٠. المجتهد الشيخ محمد طاهر ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ راضي آل راضي (ت ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٥ م) تلميذ المحققين الثلاثة والمراجع الكبار: الشيخ محمد حسين الأصفهاني الذي حضر عنده ستة عشر سنة أصولاً وفقهاً وكتب تقارير درسه وله منه إجازة اجتهاد، والشيخ أغا ضياء العراقي وحضر عليه أصولاً وكتب تقارير درسه وله منه إجازة اجتهاد، والميرزا محمد حسين النائيني وحضر عليه أصولاً وفقهاً مدة ليست بالطويلة، والشيخ محمد رضا آل ياسين وحضر عليه الفقه مدة طويلة وكتب جملة من أبحاثه، والشيخ محمد حسن المظفر في الفقه، والسيد عبد الهادي الشيرازي في الفقه أيضاً، كما حضر على الأساتذة الكبار في الفلسفة: الشيخ محمد تقي الآملي، والسيد ميرزا حسن البجنوردي، والشيخ صدرى البادكوبي وقد سمعت من المرجع المعاصر السيد محمد سعيد الحكيم الثناء الكثير على اجتهاده وعلمه وفضله وتحقيقاته أكثر من مرة، ومع ذلك كله كان من أبرز شعراء العصر وأدبائهم^(٢).

٣١. الفقيه السيد موسى بن حسن بن علي الخرسان (ت ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م)، وكان من عرفاء النجف الأشرف وفقهائهم وإلى جانب ذلك كان أديباً كاملاً

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٣٠٣ وما بعدها.

(٢) معارف الرجال. سابق: هامش بقلم الشيخ محمد حسين حرز الدين ص: ٣١٢-٣١٤.

وكاتباً ماهراً له (مجموع في التاريخ والأدب)^(١).

٣٢. المجتهد الشيخ محمد باقر بن يوسف بن بيكلر سلطان (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، تلميذ الشيخ هادي الطهراني ومقرر بحوث أستاذه المتقدم ذكره في علم الفقه وأصوله والمعقول وكان مع ذلك شاعراً له من الشعر ديوان يقرب من سبعمائة بيت يشتمل على الرباعيات باللغتين العربية والفارسية وغيرها^(٢).

٣٣. المجتهد السيد محمد الهندي (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) والد الشاعرين الشهيرين السيد باقر والسيد رضا الهندي، وهو من مشاهير العلماء الأعلام، وأجلاء مشاهير الفقهاء العظام، وكفى في فضله أن صاحب (الجواهر) صرح بفضله لسان قلمه فأجازه^(٣) إجازة اجتهد رغم قلة من أجازهم من تلامذته بذلك، يقول الشيخ محمد رضا الشببي عنه إنه كان من مشاهير أعلام النجف المتأخرين، في طبقة الشيخ محمد طه (نجف)، والميرزا حسين (الخليلي)^(٤)، وكان السيد الهندي شاعراً مبدعاً ينظم الشعر ويترسل ترسلًا جيداً^(٥) فيه. كما روى مؤرخ الأدب المرجع الشيخ محمد طه ابن الشيخ مهدي ابن الشيخ محمد رضا نجف (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق. ٣/ ٦٤.

(٢) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة. الشيخ آغا بزرك الطهراني: ٩/ ١٢٧٦.

(٣) صاحب كتاب الجواهر هو المرجع الأعلى في وقته الشيخ محمد حسن النجفي الملقب بالجواهري نسبة لكتابه الفقهي الضخم: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.

(٤) السيد رضا الهندي حياته وشعره. موسى الموسوي. مجلة شؤون إسلامية. المركز الإسلامي في إنجلترا.

العدد ٣ من السنة الثانية: ٩١. نقلاً عن مذكرات الشيخ محمد رضا الشببي.

(٥) نفسه.

الذي انتهت إليه الرئاسة والزعامة في عصره واعترف له المجتهدون وأهل التحقيق بالإمامة. كان إلى جانب فقاوته واجتهاده أديباً، شاعراً متضلعا، يقول الشعر الرصين، وينظم القصيدة المتينة الركينة^(١).

٣٤. العالم الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء (ت ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) وكان من الفقهاء الأصوليين عالماً محققاً فقيهاً متقناً له من الكتب (منهل الغمام) في الفقه، و(القواعد الجعفرية) في قواعد الفقه والأصول، ورسالة في الإمامة و(أرجوزة في الحج والصوم والزكاة) و(أرجوزة في النحو)، وكان مع ذلك أديباً شاعراً سريع البديهة في نظم السهل الممتنع^(٢).

٣٥. العالم الفقيه والشاعر الأديب السيد حسين بن مهدي بن أحمد الحسيني القزويني (ت ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) الذي أثر عنه -كما يقول مترجموه- النظم الجيد والنثر الرائق حيث جمع فضيلتي العلم والأدب كليهما^(٣).

٣٦. الشيخ ذرب الحميداوي (ت ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) وكان عالماً معروفاً بالفقاهة وحسن السليقة في فهم الأحاديث والروايات وإلى جانب ذلك كان أديباً^(٤).

٣٧. الشيخ موسى ابن الشيخ راضي بن حمود الظالم (ت ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م)

(١) ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام د. الشيخ محمد هادي الأميني: ٣/ ١٢٦٩.

ومعارف الرجال. سابق: ٢/ ٣٠٠، وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ٩١.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق: ١/ ٣٩٩، وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ٩٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ١/ ٢٧٤، وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣/ ٩٧-٩٨.

(٤) ينظر: السابق نفسه: ١/ ٣٠٧، وتاريخ النجف الأشرف: ٣/ ٩٩.

وكان -كما وصفه المؤرخون- عالماً كاملاً وأديباً حافظاً للنوادير التاريخية والأدبية والشواهد البليغة وآثار السلف^(١).

٣٨. المرجع الأعلى في زمنه الشيخ مرزا حسين بن الخليلي (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) الذي كان أفقه أقرانه. وكان على جانب عظيم من التقوى والورع، وكثرة الصلاة والعبادة، صبوراً على الطاعات والعبادات، وعلى مكاره الدهر. أديباً لبيباً. قام في بيته للشعر سوق في النجف، وكان يجيز على الشعر، ويصل أربابه بالهبات الوافرة، والعطايا الجزيلة^(٢).

٣٩. العالم الباحث الشيخ محمد ابن الشيخ ناصر الشهير بـ(لايد) النجفي (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) وهو عالم فقيه ثقة بحاثة حافظ ضابط ثبت، له الأدب الواسع والإحاطة الجمة في التأريخ والسير وأحوال العلماء ورجال الإسلام والملوك، كم استفدنا منه الأدب والتاريخ منادمة، وكان منطقاً ساحراً ببيان، حديثه منزّه من الفضول يملأ السمع بالفوائد العلمية والأدبية والمقاطع الشعرية إنشاءً وإنشاداً، ألّف في الفقه والأصول مجلدات، وفي الحديث كرايس وكشكول أسماه (اللؤلؤ المنضد). وله إلمام بكثير من العلوم لا سيما النسب واللغة والتفسير وكان المرجع في اللغة في عصره، وهو من أهل الكمال والأدب، نظم الشعر وأجاد في بعضه^(٣).

٤٠. المرجع الشيخ مرزا حسين ابن الميرزا خليل بن علي المعروف بـ(الخليلي) (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) الذي يصفه تلميذه المجتهد المؤرخ الشيخ محمد

(١) ينظر: السابق نفسه: ٦٦/٣. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٩٨/٣.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢٢٦/٢.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٥٢٢/٣.

حرز الدين^(١) بقوله: صار مرجعاً للتقليد بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد حسين الكاظمي (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) واشتهر اشتهاً واسع النطاق بعد وفاة الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م) حتى أصبح الرئيس المطلق، زعيم الحوزة العلمية في النجف، تتلمذ عليه العلماء المحققون، وكان مجلس بحثه تزدهم عليه العلماء والفضلاء والمدرسون وجلهم مكتفون عن الحضور، حيث كان له الباع الواسع في التدريس والفن الجديد في التنميق امتاز به عن غيره في الفقه والأصول، ومع ذلك كله فقد كان في بيته للشعر سوق في النجف الأشرف، ولو جمع ما قيل فيه وفي أولاده وأحفاده من مدح وتهان أو رثاء لكان ديواناً كبيراً، وكان يميز على الشعر ويصل أربابه بالهبات الوافرة والعطايا الجزيلة، وكان إلى جانب ذلك أديباً ليباً له مطارحات حسنة^(٢).

٤١. السيد محمد باقر التستري (ت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) وهو عالم خبير مجتهد متتبع متضلّع فقيه أصولي. برع في علوم الأدب، وتبحر في اللغة كذلك، فأحسن الجمع بين الحسينين^(٣).

٤٢. العالم الشيخ محمد بن جعفر بن عيسى بن حسين الزاهد (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١٠م) وكان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً محققاً في علم النحو والصرف والمعاني والبيان والعروض وأصبح المدرّس الأول فيهما^(٤).

(١) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢٧٦ وما بعدها، وماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢ / ٢٢٦.

(٢) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٥٢٦.

(٣) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام سابق: ١ / ٣٠٢-٣٠٣.

(٤) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٣٨٣.

٤٣. المجتهد السيد باقر بن محمد بن هاشم الهندي (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١٠ م) وكان من العلماء الأبرار والفضلاء المعروفين وكان إلى جانب ذلك شاعراً مجيداً وأديباً لامعاً له مراثٍ كثيرة في الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وله ديوان شعر^(١).

٤٤. المجتهد الشيخ محسن ابن الشيخ أحمد بن عبد الله الدجيلي (ت ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م) وكان عالماً فقيهاً ورعاً تقياً معروفاً بقوة الحافظة وكثرة المناظرات في الفروع الفقهية والمواد اللغوية والأدبية، وكان راوية لتراجم كثير من علماء الشيعة الإمامية وأمرائهم^(٢) أديباً شاعراً جيد النظم رصينه.

٤٥. المجتهد السيد ناصر البصري (ت ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ م) تلميذ المرجع الأعلى في عصره الشيخ مرتضى الأنصاري وتلميذ المرجعين فقيه العراق الشيخ راضي، والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء اللذين أجازاه في الرواية والاجتهاد وأن يمثلهما في البصرة، وكان إلى جانب اجتهاده في علوم الشريعة أديباً شاعراً جيداً تروى له عدة قصائد في الرثاء والمديح وغيرهما، له مراسلات شعرية مع كبير شعراء عصره السيد حيدر الحلي، وله مجلس عامر بالوجوه ورجال السلطة الحاكمة والأدباء والشعراء والخطباء^(٣).

٤٦. المجتهد زعيم المجاهدين وكبير القادة الميدانيين للشوار العراقيين ضد المحتلين الإنكليز، الفقيه، الأصولي^(٤)، العرفاني الشاعر السيد محمد سعيد الحبوبى

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ١٣٢.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ١٨٢. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ١٣٤.

(٣) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣ / ١٧٧-١٨٢. وفيها بعض من قصائده ومراسلاته الشعرية.

(٤) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام سابق: ١ / ٣٨٧.

(ت ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م) الذي قاد جيشاً جراراً منظماً قاتل به الغزاة في جبهة الشعبية، وهو إلى جانب ذلك أديب شاعر محلّقى صاحب الموشحات الشهيرة^(١) الذي عدّه شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري أشعر شعراء النجف والعراق والعالم العربي المتجددين^(٢). له ديوان شعر مطبوع متداول.

٤٧. المجتهد المجاهد الشيخ باقر ابن الشيخ علي بن محمد علي بن حيدر المتفجي (ت ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م) وكان من أجلاء فضلاء أهل العلم الربانيين وعلمائهم المحققين، وأديباً استطاع بمنزلته جمع الجموع واستنهاض القبائل العربية للجهاد ضد الإنكليز المحتلين للعراق^(٣).

٤٨. المجتهد الشيخ عبد الهادي ابن الشيخ جواد بن كاظم البغدادي المعروف بـ(شليلة) (ت ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م) وكان من العلماء الأفاضل وأهل التحقيق، فقيهاً أصولياً، وكان إلى جانب ذلك شاعراً مجيداً، وباحثاً في علم الكلام، له عشرون مؤلفاً في مكتبة كاشف الغطاء العامة^(٤).

٤٩. العالم السيد يوسف شرف الدين العاملي النجفي (ت ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م) الذي هاجر من مسقط رأسه إلى العراق وأقام في النجف فاضلاً قد أكمل مقدماته العلمية وحضر على علماء النجف سنين طويلة وكتب دروسه وأصبح يعد من العلماء الأفاضل الأتقياء الأمناء وكان شاعراً له شعر في المديح والغزل^(٥).

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام سابق: ١ / ٣٨٧.

(٢) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق د. محمد حسين الأعرجي: ٣٢٠.

(٣) ينظر: معارف الرجال. سابق: ١ / ١٤٠. وتاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ١٧٣.

(٤) ينظر: المصدران السابقان: ٢ / ٧٤، و ٣ / ١٧٤ على التوالي.

(٥) معارف الرجال. سابق: ٣ / ٣٠٥-٣٠٦.

٥٠. المرجع السيد محمد القزويني الحلّي النجفي (ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م) الذي أصبح من العلماء الفقهاء المحققين الأجلاء، مسلّم الاجتهاد والحكومة، وكان إماماً في الأدب والأخلاقيات، وكثيراً ما جلسنا جلسة الأخلاء فيقرأ لنا من منظومته في أحكام المواريث وهي تشهد بفضله وسمو منزلته العلمية، له (مناسك حج) لعمل مقلديه، و(طروس الإنشاء) هو مجموع فيه مراسلات أدبية مع أعلام عصره وأدبائهم ووجوههم وابطال الكلام النفسي و(أرجوزة في حديث الكساء)، وكانت له مراسلات أدبية مع الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء منها قصيدة جميلة^(١).

٥١. المجتهد الشيخ محمد حسن بن محمد صالح بن مصطفى الربيعي المعروف بـ(كبّة) (ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) وكان عالماً جليلاً محققاً ألف من الكتب: (كتاب الطهارة) و(كتاب الصلاة) و(الفوائد الرجالية) وغيرها، وكان مع ذلك كله شاعراً مجيداً وأديباً محققاً حسن الشعر بديعه^(٢).

٥٢. المجتهد المجاهد ضد احتلال الإنكليز للعراق السيد مصطفى الكاشاني النجفي (ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) الذي كان عالماً محققاً أصولياً فقيهاً يلقي دروسه على طائفة كبيرة من الطلبة المهاجرين والمؤلف للعديد من الكتب في الفقه والأصول والتفسير وكان مع ذلك أديباً نظم الشعر العربي الجيد والفارسي أيضاً، وكانت داره في النجف حافلة بالعلماء وأهل الفضل^(٣).

(١) المصدر السابق: ٢ / ٣٨٤، وتنظر القصيدة في هامش ص: ٣٨٦ وما بعدها، وماضي النجف وحاضرها.

سابق: ٢ / ٢٢٦.

(٢) ينظر: المصدران السابقان نفساهما: ٢ / ٢٤٠ و ٣ / ٢٦١ على التوالي.

(٣) معارف الرجال. سابق: ٣ / ١٤.

٥٣. المجتهد الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الحسين سماكة الحلي النجفي (ت ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م) الذي كان فقيهاً، وفقاهته مبتنية على ضبط مقدماتها، وكذا أصوله، وكان عربياً صميماً جيد العربية والمعاني والبيان، له اليد الطولى في علم الهيئة والهندسة والحساب، ويعتبر المدرس الأول في علم الهيئة والرياضيات في حوزة النجف الأشرف^(١).

٥٤. الفقيه المحقق الشيخ يوسف الكعبي الوائلي النجفي (ت ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م) الذي كان من العلماء الأفاضل والفقهاء المحققين الأماثل والأصوليين الناقدين الفطاحل، وكاتباً أديباً شاعراً يحسن نظم الشعر ويرويه^(٢).

٥٥. المجتهد الشيخ محمد الكرمي (ت ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٣ م) الشاعر المبدع والأديب الناقد والمشارك في العديد من الندوات الأدبية والثقافية في النجف الأشرف^(٣).

٥٦. المرجع الشيخ علي ابن الشيخ باقر الجواهري (ت ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٣ م) الذي حاز الزعامة والمرجعية في سائر أنحاء العراق بل وفي خارجه. وحضر عليه كثير من فضلاء حملة العلم ورجال الدين^(٤) وعدد من المراجع من أمثال المرجع الأعلى في عصره السيد محسن الحكيم، والسيد حسين الحماي والشيخ عبد الرسول الجواهري^(٥)، كان مع علمه الجم أديباً وشاعراً،

(١) ينظر: المصدر السابق: ٣٩٢/٢ وما بعدها.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣/٣٠٦.

(٣) موسوعة النجف الأشرف. المراجع في النجف الأشرف. القسم الثاني. سابق. ١٢/١٧٦.

(٤) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/١٢١.

(٥) ينظر: السابق: ٢/١٢١.

ترجم له شعراء الغري فيمن ترجم لهم من الشعراء^(١).

٥٧. المجتهد المجاهد ضد الإنكليز في معركة الشعيبة الشيخ محسن الجواهري (ت ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م)، صاحب (شرح نجات العباد) في الفقه و (تعليقة على كفاية الأصول) للآخوند الخراساني في أصول الفقه، كان أديباً محققاً يشهد له على تضلعه فيه، كتابه (الفرائد الغوالي في شرح شواهد الأمالي) للشريف المرتضى في أربع مجلدات ضخام، وكتابه (شرح ديوان ابن الخياط) وشعره الكثير الذي جمع فيه بين الرقة والمتانة، وتجنب الوحشي من اللفظ، والغوص على المعاني النادرة^(٢).

٥٨. الفقيه المحقق السيد ياسين صعب (ت ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م): كان من العلماء الأفاضل والفقهاء المحققين الأمثال، الزاهد المتقشف العابد والثقة الأمين الورع كان على جانب عظيم من مكارم الأخلاق وحسن الصحبة والأدب الواسع، مستحضرًا للفروع الفقهية والنكات الأدبية^(٣).

٥٩. المجتهد الشيخ مرتضى ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن آل كاشف الغطاء (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) الذي نال أعلى مراتب الاجتهاد واستقل بالتدريس والتصنيف وتأهل لأن تكون له الزعامة العظمى والرياسة الكبرى^(٤)، وكان شاعراً جيداً وأديباً بلغ الغاية^(٥) في أدبه.

(١) شعراء الغري سابق ١٠ / ١٤١.

(٢) السابق: ٢ / ١٢٧.

(٣) معارف الرجال: ٣ / ٢٨٤.

(٤) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ١٩٧.

(٥) المصدر السابق: ٣ / ١٩٧.

٦٠. المجتهد المقارن بين الأديان، والمتقن للمهم من لغاتها القديمة، المفسر الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) الذي وجد أن الشعر من العناصر التي توصل كثيراً من الحقائق إلى رؤاها، كما أنه رآه أجمل وعاء يحتفظ بالخواطر العلمية ضمن إطار فني، وهو بهذا الرأي وغيره اندفع يمارس النظم منذ الصبا واستمر فيه إلى آخر حياته حيث صار يودعه كثيراً من آرائه في العدل والتوحيد، وما إلى ذلك من أسس الدين الإسلامي وفلسفته^(١) وله شعر كثير مجموع ومتداول^(٢).

٦١. المرجع المحقق الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني النجفي (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م) أحد محققي حوزة النجف الأشرف الكبار، كانت له يد طويلة في الأدبين العربي والفارسي كما كان حسن الخط والإنشاء والأسلوب، وكان يندفع اندفاع السيل إذا صعد المنبر لتدريس المئات من طلبته العلماء والفضلاء نظرياته المبتكرة في علوم الفقه وأصوله والأخلاق^(٣).

٦٢. الفقيه المقدس السيد ناصر الأحسائي النجفي (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) تلميذ المراجع الشيخ محمد طه نجف، وميرزا حسين الخليلي، وملاً محمد كاظم الآخوند الخراساني والشيخ أغا رضا الهمداني وغيرهم حتى أصبح أحد العلماء الأجلاء والفقهاء الصالحاء مع تقى وقداة وتواضع وطيب نفس، وإلى جانب ذلك كان شاعراً مجلياً^(٤).

(١) تاريخ النجف الأشرف الشيخ محمد حسين حرز الدين: ١ / ١٣٣.

(٢) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢ / ٦٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٣ / ٣٦٤ - ٣٦٥. هامش رقم ١.

(٤) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٣ / ١٨٢ - ١٨٤. وتنظر نماذج من شعره في هامش ص: ١٨٤ منها.

٦٣. الشيخ مهدي بن داود بن سلمان الحجار (ت ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) وهو فقيه من أهل الفضيلة والكمال والعرفان كان في الوقت نفسه شاعراً ولغوياً، وله حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب^(١).

٦٤. المرجع الفقيه الأصولي الفيلسوف الشيخ محمد حسين الأصفهاني الشهير بـ(الكمباني) (ت ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) الذي لو قدر له أن تثني له الوسادة ليتربع على كرسي الرئاسة العامة وكانت منه قريبة، لقلب أسلوب البحث في الفقه والأصول رأساً على عقب، ولتغير مجرى تاريخهما بما يعجز عن تصويره البيان. لم يفته أن يتجه إلى ناحية الأدب العربي، فيضرب فيه بسهم وافر وساعدته نشأته العربية في محيطي الكاظمية والنجف على أن يكون أدبياً يقرض الشعر ويحيد الشر، وله في الشعر قصائد تدل على ذوق أدبي مستقيم، ولكنه لم يحتف بها، فلذا لم يطلع عليها إلا القليل من خواصه^(٢) على أن له اليد الطولى في الأدب الفارسي، فله ديوان منه في مدائح آل البيت، ومجموعة في الغزل العرفاني الرمزي، أودع فيها من المعاني الفلسفية ما يبهز المتأدين^(٣). له من دواوين الشعر ومنظوماته ست مجاميع شعرية منها (تحفة الحكيم) التي هي آية من آيات الفن مع أسلوبها السهل الممتنع ومنها أراجيزه في مدح النبي المختار وآله الأطهار عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وأراجيزه هذه قطعة فلسفية رائعة أفرغها في ثوب من الأدب الرفيع. وعلى هذا الأسلوب جرى

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٤.

(٢) مقدمة الشيخ محمد رضا المظفر على رسالة الإجارة للمترجم له، منشورة كمقدمة لكتاب بحوث في

الأصول للشيخ الأصفهاني: ١/ ٨-١٤.

(٣) المصدر السابق: ١١-١٢.

في جميع أراجيزه البالغة (٢٤) أرجوزة، فجاء أسلوباً فلسفياً علمياً مبتكراً لم يمدح على غرارها النبي وآله عليهم الصلاة والسلام^(١).

يقول المجتهد الشاعر الشيخ محمد حرز الدين في حق المرجع الكمباني: كان عالماً محققاً فيلسوفاً ماهراً في علمي الكلام والحكمة، وله الباع الطويل في الأدب العربي والفارسي والتأريخ والعرفان، وأجاد في شاعريته ونظم عدة أراجيز ملؤها المعاني الجسيمة والإبداع والرقّة والانسجام. ويضيف: له ديوان شعر فارسي في مدائح ومراثي أهل البيت عليه السلام، وديوان ثاني في العرفان والحكمة، و(الأنوار القدسية) مجموعة أراجيز عربية أكثر من عشرين قصيدة نظمها في تاريخ وذكرى حياة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين، أسمعنا المترجم له بعض ما نظمه في الزهراء وولديها الحسن والحسين عليه السلام، والحق أنه نظم متين عالي وفي الوقت كان رقيقاً يأخذ مأخذه من السامع^(٢).

٦٥. المرجع الديني الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) وهو علم شهير له مصنفات في جملة من العلوم وطبعت له عدة رسائل عملية^(٣) كان إلى جانب ذلك أديباً كبيراً وشاعراً مجيداً له مطارحات ومراسلات مع أدباء عصره^(٤).

٦٦. المجتهد الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي (ت ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) وهو عالم كبير كان إلى جانب علمه يعد من أشهر

(١) معارف الرجال: ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه.

مشاهير أدباء عصره، وشاعرا مبدعا له ديوان عامر كبير مليء بالخواطر والأحاسيس^(١).

٦٧. المرجع الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ الكبير (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، أستاذ الفقه المعروف والذي رجع إليه بعض الشيعة في الفتيا، وكان أحد أئمة الجمعة في الصحن الشريف المتصدين لقطع الخصومات والقضاء بين الناس^(٢) وكان إلى جانب ذلك شاعراً من طراز فريد، نظم الشعر قبل بلوغ العشر، وكان له ولع بشعر المتنبي حتى انتخب مجموعاً سمّاه (المحمود من شعر أحمد) أو (الطيب من شعر أبي الطيب) وكان هو المحكم في المعركة الأدبية التي دارت بين العموديين والبديعيين عصر صباه^(٣)، كما كان أديباً بارعاً في الإنشاء والكتابة والنظم والنثر، يبدع متى شاء أكثر من إبداع أشهر الكتاب والأدباء^(٤). نظم الشعر مع أخدانه وأصحابه الأدباء وأهل الفضل مثل الشيخ جواد الشيبيني النجفي، والشيخ أغا رضا الأصفهاني، والسيد جعفر الحلّي الشاعر الشهير ونظرائهم، له (منظومة في النحو) و(منظومة في حادثة الطف) و(مصادر نهج البلاغة ومداركه)، ولعل الصحيح: (وأسانيده)، و(مستدرك نهج البلاغة)، ورسالة لعمل مقلديه^(٥).

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ٣١٢.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٢١١ - ٢١٢.

(٣) السابق نفسه: ٣/ ٢١١.

(٤) ينظر: معارف الرجال: ٣/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٥) مقدمة ديوان السيد رضا الموسوي الهندي د. عبد الصاحب الموسوي: ٥.

٦٨. السيد رضا الموسوي الهندي (ت ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م) الذي بلغ مرتبة الاجتهاد في الفقه والأصول، ولما يتخطى العقد الثالث من عمره^(١) كما يقول بعض المؤرخين، وأن له في الفقه والأصول يداً ذات صفة^(٢)، زاول الأدب زمناً طويلاً فأبدع فيه إبداعاً كان المجلي فيه بين جمع كبير من الأدباء والعباقرة في زمانه، ولقد ولع بالبديع ولعاً سما به إلى منزلة قل من ارتفع إليها من قبل. لقد كان السيد الهندي من أهم أركان النهضة الأدبية في أوائل القرن العشرين^(٣)، وليس أدل على ذلك من كونه صاحب القصيدة (الكوثرية) ذائعة الصيت التي حاكها، وصاغ على منوالها عديدون، فلم يبلغوا شأوها: جمال تشبيهه، ودقة نسج، وجمال صورة، وروعة فن^(٤).

٦٩. العالم الشيخ أبو المجد آغا رضا ابن الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م)، الذي كان من أعلام الأدب المعروفين في وقته، وله شعر رائق بديع ونثر فني فريد، فهو في عصره غرة جبينه، ونور حديقته، ونور حدقته، بليغ إن أنشأ وشعر، وإذا عبر حبر، فصيح البيان، جيد الافتتان. له من المصنفات والمؤلفات، والرسائل والمقامات في سائر الفنون والعلوم، والنظم العذب الرائق، والنثر الجيد المستحسن^(٥)، وهو مع ذلك كله كانت له زعامة الحوزة من ناحية التدريس، فهو فقيه كبير، وزعيم ديني جليل، وعالم متبحر، وحكيم وفيلسوف متكلم ورياضي، عروضي، شاعر ماهر،

(١) الطليعة من شعراء الشيعة. الشيخ محمد الساوي: ١/ ١٤٣.

(٢) هكذا عرفتهم. سابق: ١/ ٢٨.

(٣) ينظر: الكوثرية الخالدة. دراسة بلاغية ونقدية للقصيدة الكوثرية. الشيخ عبد الله الخاقاني. ١٩٩٤ م.

(٤) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ٢١٤.

(٥) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام د. الشيخ محمد هادي الأميني: ١/ ١٣٤.

وشاعريته في غنى عن الوصف والإطراء^(١) قد جمع بين طرافة الفرس وفصاحة العرب^(٢).

٧٠. المجتهد الشيخ عبد الحسين مبارك (ت ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) وكان إلى جانب تخصصه العلمي في الفقه والأصول شاعراً مجيداً وأديباً معروفاً^(٣).

٧١. المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) الباحث المكثّر والموسوعي الجامع لفنون شتى، وكان إلى جانب تخصصه العلمي العالي أديباً لغوياً تشهد له كتبه ومنها: (في الإعجاز والمعجز) في إعجاز القرآن، و(في التاريخ والأدب)، و(قواعد اللغات) في اللغة العربية وغيرها، و(المصادر الصرفية) له ديوان شعر جاء أكثره في الغزل والنسيب والموعظة^(٤).

٧٢. المجتهد الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م) كان شاعراً مجيداً وأديباً ولغوياً خلف لنا من جملة ما خلف من كتب ورسائل علمية ولغوية وتاريخية رسالة في (الفرق بين الضاد والظاء) و(رسالة في الخط العربي) و(مقالة عن أدب الطفل) وكتاباً عن (الشريف الرضي) إضافة إلى (نقد الاقتراحات المصرية) الذي سيأتي ذكره لاحقاً.

٧٣. المرجع المقدس الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م) كان شاعراً مجيداً^(٥)، ومهتماً بدعم النشاطات الثقافية، وقد تجلّى ذلك في دعمه

(١) ديوان السيد حيدر الحلي ينظر: مقدمة الديوان للشيخ آل كاشف الغطاء.

(٢) موسوعة النجف الأشرف. المراجع في النجف الأشرف. القسم الأول: ١١ / ٢٩٦.

(٣) تاريخ النجف الأشرف. سابق ١ / ١٣٤.

(٤) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٥٣٤.

(٥) المرجعية الدينية / الحلقة الثانية حوار صريح مع المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم إعداد

وتقديم. عبد الهادي الحكيم: ١١٧.

لجمعية (متدى النشر)، وإسناده لجهودها في تأسيس مجمعها الثقافي (ت ١٢٧٦هـ / ١٩٥٦م) حيث قام المجمع المذكور بنشاط إسلامي ثقافي نافع، بإلقاء بحوث أسبوعية، ونشرها بكتب أصدرها المجمع، كما قامت الجمعية بطبع بعض الكتب في جملة نشاطها الثقافي^(١).

٧٤. العالم الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م) كان أديباً شاعراً نظم الشعر في أيام الشباب وأكثر منه في الغزل والإخوانيات ثم تركه، ولم يعد ينظم غير مدائح النبي ﷺ، وقد طبع له من ذلك مجموعات ومنظومات. وله في هذا النوع نحو عشرين ألف بيت غير مطبوعة، غير بعض دواوين مخطوطة ما تزال محفوظة لدى أحفاده^(٢).

٧٥. المرجع السيد صدر الدين الصدر (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) الذي جمع بين مرجعيته وشاعريته^(٣).

٧٦. المرجع الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) الذي وصفه معاصره صاحب (ماضي النجف وحاضرها) بأنه: عميد الطائفة الجعفرية وزعيمها. منبع العلوم والآداب. سر الفصاحة وبحر البلاغة. له قلم سبح في كل بحر، وغاص إلى كل قعر، فأخرج الدراري من الأصداف، فألف وصنّف في كل فن، حتى كتب في فنون لم يسبقه إليها أحد، ولم يشتهر لأحد فيها مؤلف. له في الأدب والشعر. (مغني الغواني عن الأغاني) يقع في ألف

(١) مقدمة كتاب: الطليعة من شعراء الشيعة للشيخ محمد السماوي. بقلم كامل سلمان الجبوري: ١ / ١٦.

(٢) موسوعة النجف الأشرف. المراجع في النجف الأشرف. سابق. ١١ / ٣٠١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ١٨٢-١٨٧.

صفحة مختصر الأغاني، و(تعليق على أدب الكاتب لابن قتيبة) و(مجموعتان من منتخب الشعر). كما كان شاعراً مبدعاً، وله في ذلك ديوان شعر كبير^(١).

٧٧. المجتهد الشيخ محمد جواد الحجامي (ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) تلميذ كبار المراجع في عصره من أمثال المرجع الشيخ محمد حسين النائيني والمرجع الشيخ أغا ضياء العراقي والمرجع الشيخ محمد حسين الأصفهاني والمرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني والمرجع السيد محسن الحكيم وكاتب تقارير ملتقطة من أستاذه العراقي والسيد أبو الحسن الأصفهاني في الأصول، كان شاعراً قوي السبك، حسن الديباجة، رقيق الالفاظ، سامي المعاني. له مجموعة شعر فيها ما يقرب من خمسمائة بيت، وله مراسلات ومطارحات نظماً ونثراً مع أئدانه من الأدباء^(٢).

٧٨. المجتهد الشيخ عبد الحسين الحلّي (ت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) وهو من العلماء الأدباء، المعروفين جمع بين الفضيلتين، أما من الناحية العلمية فهو العالم الذي رجع إليه الكثير من أعلام عصره في حل المسائل المشككة الغامضة.

وأما من الناحية الأدبية فهو الأديب الذي تتبارى أمامه الشعراء، والحكم الذي تدعن لحكمه الأدباء متى ما حدثت خصومة أدبية أثناء مطارحاتهم ومساجلاتهم^(٣) تخرج في الفقه والأصول على مشايخ عصره، وكانت له عندهم منزلة رفيعة، شديد الذكاء، كثير الحفظ، فذ في إتقان اللغة والتاريخ والحديث وفنون الأدب^(٤) حتى

(١) المصدر السابق: ١٦١-١٦٢.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٤.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ٣٧٨ هامش: ٢.

(٤) هكذا عرفتهم. سابق: ١/ ٢٥٧-٢٦٠. مع تقديم وتأخير في النص اقتضاه السياق.

قيل: قلّ من يدانيه في ملكة إرجاع المسائل إلى مصادرها. وأن ملكاته في التحقيق والبحث كانت موضع إعجاب الجميع. وحين عثر على النسخة الخطية المشوهة من ديوان مهيار الديلمي، لم يجدوا من يمكن الركون إليه في إكمال ما نقص منها، وتصحيح ما وقع فيها من الغلط، وردّ ما خرج منها عن القواعد إلى حظيرته، غير الشيخ عبد الحسين حين تم الإقدام على طبعها ببغداد، كما كان يجيد نظم الشعر وفي غاية الجودة^(١).

٧٩. العالم محمد حسين ميردامادي (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) الذي جمع بين العلم والشعر، وقد جمع شعره في ديوان^(٢).

٨٠. المرجع السيد ميرزا مهدي الشيرازي النجفي الحائري (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، ولد في كربلاء وهاجر إلى سامراء وأقام بها مدة لتكميل مقدماته، فبرع في تدريس كتاب (المغني) و(المطوّل) في النحو العربي والبلاغة وحفظ أكثر نصوصهما، كما (حفظ القرآن الكريم) و(مقامات الحريري) و(ألفية ابن مالك)، ثم رجع إلى كربلاء بعدها قصد النجف الأشرف طمعاً بالاجتهاد المطلق وتوطن فيها يحضر على عيون أساتذتها، ثم هاجر إلى مسقط رأسه فأصبح الزعيم المطاع فيها، وكان إلى جانب ذلك يحمل ذوقاً عربياً وأدباً جمّاً، وشعراً.

٨١. العالم الكبير الشيخ محمد حسين ابن الشيخ محمد المظفر (ت ١٣٨١هـ / ١٩٦١م)، وهو عالم جليل وباحث كبير كتب في النحو والفقه والأصول

(١) موسوعة النجف الأشرف. المراجع في النجف الأشرف. القسم الثاني. ١٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٣٧١.

والتاريخ وعلم الكلام وعلوم القرآن وغيرها وكان إلى جانب فضله وتقواه أديباً شاعراً لبقاً محدثاً له بحث عنوانه: (ما فات القاموس من كلمات ذكرها في غير موضعها، وأهملها في مادتها)^(١).

٨٢. المجتهد الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، وهو عالم جليل، فقيه، أصولي. بلغ الدرجة العالية من العلم، مارس الأدب، وقرض الشعر، وكان من أعلامه ورجاله^(٢) كذلك.

٨٣. المرجع الديني السيد ميرزا عبد الهادي ابن السيد إسماعيل الشيرازي (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، كان إلى جانب زعامته الدينية وتصديه للفتيا أديباً شاعراً^(٣).

٨٤. المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، والمصلح الكبير، والمؤلف لكتابين دراسيين أو أكثر من مناهج الحوزة المعتمدة في سلمها الدراسي السائد، كان أديباً من طراز متقدم، وشاعراً مبدعاً، تشهد له كتاباته ومقالاته، وخطبه وقصائده، ومذكراته وإخوانياته على براعة نسج، وجمال تصوير، وقوة سبك، وأناقة مفردة، وسعة خيال، وليس أدل على ذلك من تطواف سريع بديوانه، وإلمام سريع بكتاباته ونتاجاته، لتقف منها على صواب ما كتبت عنه وزيادة.

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ١/ ٣٤٦. وينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق ٢/ ٨٧.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٣٤.

(٣) ينظر: ترجمته وأسماء كتبه ورسائله في (الهامش الثالث من الصفحة ١٣٠ من العدد ١٢ من مجلة آفاق نجفية لسنة ٢٠٠٨م) ضمن مقال (أدب التاريخ في شعر السيد محمد حسن الطالقاني). التاريخ الشعري لوفاة المترجم له. بقلم كامل سلمان الجبوري.

٨٥. العالم المجاهد السيد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م)، وزير المعارف في العهد الملكي السابق في العراق، فرئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري، فالنائب في البرلمان العراقي، والمعروف بكونه المتضلع في الفقه وأصوله والهيأة والعقائد والرياضيات والسياسة، وصاحب مجلة (العلم)، أول مجلة صدرت في النجف الأشرف سنة (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م)، والمؤلف لمائة وستة وثمانين كتاباً ورسالة متنوعة المعارف، كان أديباً أليماً، وشاعراً مجيداً، يشهد له ديوان شعره (السحر)^(١) بذلك.

٨٦. المجتهد الشيخ موسى دعييل (ت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م) إمام جماعة المسجد الحيدري في النجف الأشرف، صلى خلفه مرة المرجع الأعلى في عصره السيد أبو الحسن الأصفهانى اعترافاً منه بفضلته وعدالته، وقد واصل تدريس الفقه والأصول ببراعة مشهودة قرابة نصف قرن حتى كاد يحفظها على صدره^(٢)، كان مع علمه الجهم وانشغاله بتدريس الفقه والأصول شاعراً بارعاً، يتمتع بذائقة شعرية عالية.

٨٧. العالم الشيخ عبد المهدي مطر (ت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) الذي نبغ في فضيلتي العلم والأدب فبرع فيهما، جمع في الأصول دورة كاملة، وألف في الفقه تقارير أستاذته الحكيم. له ديوان شعر يحتوي على ما يناهز العشرة آلاف بيت، وينظم الشعر الجيد القوي السبك^(٣).

٨٨. المجتهد السيد حسن السيد ماجد الحكيم (ت ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) الفقيه

(١) ماضي النجف وحاضرها ضمن ترجمة الشيخ جعفر محبوبه لنفسه وأساتذته: ٣ / ٢٧٣ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) ينظر: لمحات من حياة الشيخ حسين الحلي.

المعروف بالدقة والتحقيق، والتحري والاستقصاء، وقوة الذاكرة، وكثرة القراءة وما تبعها من فقدان النظر، كان أديباً نقاداً من طراز خاص، قرأ كتب الأدب وتاريخه فوعاها، وأكثر من متابعة الشعر ودواوينه فألم بها إلمام مستذوق ناقد. ولطالما كان طلب مني، وأنا بعد فتى، أن أحضر له ديوان هذا الشاعر أو ذاك، وخاصة ديوان (الشریف الرضي) أو (البحري) أو غيرها من فحول الشعراء، أو أجلب له هذه المجموعة المختارة من الشعر أو تلك، وخاصة (ديوان الحماسة) لأبي تمام، لأنشد على مسامعه منها، أو من غيرها مما أحفظ، قصائد كان معجباً بها، أو مقطوعات كان استذوقها، أو يستذوقها، فيقف لي منها على جوانبها الإبداعية، وصورها الفنية، ومفرداتها الأنيقة، وسبكها المحكم، وجمالياتها الأخرى، ليضع يدي على مواطن الجمال الأدبي فيها، مستثيراً بي حاسة النقد الفني، طالباً مني -وأنا يومئذ فتى- أن أكتب أو أنظم. ولقد كنت أنظر إلى قسم من الشعراء النجفيين الذين يعرفون وزنه الأدبي، وذوقه الفني، ومنهم الشاعر الكبير المرحوم السيد مصطفى جمال الدين وهم ينشدون قصائدهم بمحضره فيتطلعون إلى سماع رأيه فيما أنشدوه، ويتربون بيان موقفه مما تلو، فكان يبدى إعجابه الشديد بما يسمعه من السيد جمال الدين أغلب الأوقات، منوهاً بمكان الجمال فيما قرأ، مشيراً إلى مواطن الفن فيما أنشد، مبدياً نقده لمكان مفردة ودّ لو استبدلها السيد بأختها في أحيان قليلة.

٨٩. الفقيه الأصولي وأستاذ عدد من المراجع والمجتهدين المعاصرين الشيخ حسين الحلي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) كان إلى جانب علمه الجم الغزير، ودقته المعهودة في التحقيق والبحث والاستقصاء، أديباً بارعاً تعاطى الأدب

في شبابه زمنًا، وتبادل الشعر مع أقرانه وصحبه فترة، كان خلالها أكثرًا من حضور المجالس الأدبية، وغير الأدبية، مشاركًا في حواراتها العلمية واللغوية والأدبية وغيرها، كما كان مواظبًا على حضور مجلس السادة آل بحر العلوم في النجف الأشرف، وكنت أشاهده في مجلس سيدي الجدد المرحوم السيد سعيد الحكيم - كما تقدم - يثري المناقشات العلمية الدائرة فيه بآرائه القيمة وطروحاته القوية ما يثبت عمق تبحره وسعة اطلاعه ودقة ملاحظاته^(١)، فهو بحق موسوعة علمية تضلع إلى جانب فقهه وأصوله في التاريخ والأخلاق واللغة.

٩٠. العالم السيد محمد جمال الهاشمي (ت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) أحد الأعلام في حوزة النجف الأشرف، ومن ملازمي حضور مجلس المرجع الأعلى في وقته السيد محسن الحكيم الفقهي وغيره، كان شاعرًا مجيدًا، أكثرًا من النظم، مشاركًا في المهرجانات الأدبية والفكرية في النجف الأشرف وغيرها من مدن العراق الأخرى حتى أصبح في الرعيل الأول من شعراء العراق^(٢).

٩١. المجتهد السيد موسى بحر العلوم (ت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) أحد العلماء النابغين، والفقهاء النابغين، وأساتذة الفقه والأصول^(٣)، المشهود لهم بالفضل والعلم والمعرفة، كان شاعرًا من طراز متقدم، وأديبًا، تشهد له ذائقته الأدبية على علو كعبه في هذا الفن، وليس أدل على ذلك من قصائده البديعة و(تواريخه الشعرية) المحكمة، وبلاغته الواضحة فيما نظم أو أرخ أو كتب.

(١) معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال ألف عام. سابق: ٣ / ١٣٢٦.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٢١٩.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٥٣٥.

٩٢. المرجع الشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) الذي شهد له أساطين الفن ببلوغ الرتبة العالية من العلم والاجتهاد، وهو في عقده الثالث. يتمتع بملكات أدبية فذة، تكاد تكون منقطعة النظير، وإن قلمه ليتفجر بالسلسلة الرائع من البيان^(١)، كما كان في مطلع شبابه شاعراً مبدعاً وأديباً مرموقاً.

٩٣. العالم الرجالي المحقق السيد محمد صادق بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) صاحب كتاب (دليل القضاء الشرعي) المتعدد الأجزاء وغيره من الكتب المؤلفة والمحققة العديدة، كان أديباً متبعاً تشهد له كتبه من أمثال (المجموع الرائق)، وهو مجموع شعري كبير، و(الشذور الذهبية) وهي مجموعة شعرية كذلك، وله عدد من الأراجيز الشعرية.

ومن ذلك، ما أثبتته المؤرخون من أن المرجع الأعلى في عصره وصاحب (فتوى التنبك) الشهيرة الفقيه المجدد السيد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) - التي حرم يومها التدخين في إيران، وأنذر السلطان بالخطر، فامتنع المسلمون في إيران عن التدخين، وحل بالشركة والسلطان الإيراني والإنكليز ما حلّ من بلاء - كان يقبل يد الشاعر الكبير السيد حيدر الحليّ (ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) ناعي الطف^(٢) اعترافاً منه بدور الشاعر الحليّ فيما يقول وينظم، كما نقل الباحث علي الخاقاني بالواسطة عن الميرزا أغا نجل الإمام الشيرازي أن الشاعر الحليّ عندما وصل سامراء ذهب المرجع الأعلى لزيارته، وعندما دخل عليه، تناول يد شاعرنا، فقبلها بعد امتناع شديد^(٣)، في الوقت الذي كانت الملوك والسلاطين

(١) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٣٥.

(٢) ينظر: السيد حيدر الحليّ شاعر عصره د. حازم الحليّ: ٤٠ وتنظر هوامش الصفحة.

(٣) ينظر: مقدمة ديوان السيد حيدر الحليّ لعلي الخاقاني. ط ٤. ١ / ١٨.

تزور المرجع السيد الشيرازي وتخضع احتراماً لمقامه الديني .

لقد أضطرتني إثبات دعواي إلى استعراض هذا الجمع الغفير من كبار مراجع ومجتهدي وعلماء حوزة النجف الأشرف ممن جمع بين فضيلتي العلم والأدب معاً، دون غيرهم من الحوزويين الآخرين ممن لم يبلغوا المرتبة العلمية العالية التي بلغها هؤلاء العلماء، ولو أردت أن أستعرض جميع من حاز ملكتي العلم والأدب من حوزويي النجف الأشرف لطال البحث أكثر فأكثر. وأظن أن فيما استعرضته منهم كفاية لإثبات دعواي.



المبحث الرابع

اهتمام العلماء بالأدب العربي وخاصة الشعر منه في القرن الخامس عشر الهجري

أما إذا تابعنا مدى اهتمام العديد من المراجع والفقهاء وغيرهم ممن توفي من أساتذة الحوزة وطلابها بتنشيط الثقافة الأدبية، ومنتجها، نشرأ فنياً كان هذا المنتج أم شعراً فيما تصرّم من هذا القرن منذ بدايته حتى يوم الناس هذا، فسنقف منها على تبين، يتفاوت شدة وضعفاً بين هذا المرجع أو ذاك، تمثّلت شدة التبني - فيما تمثّلت - بدعم شخصي مباشر منه حيناً، أو بتشجيع له أحياناً، هذا من جانب، ومن جانب آخر كان للإرث الحضاري المعرفي الذي ورثته مدينة النجف الأشرف، بخميرته المستخلصة التي تقدمت الإشارة إليها سابقاً، ثم ما اقتضته وتقتضيه طبيعة الدراسات الحوزوية، كنتيجة طبيعية تستدعيها عملية الاستنباط، لوضوح أن استنطاق أهم مصدرين من مصادر التشريع الإسلامي أعني القرآن الكريم، والسنة الشريفة، حتمت وتحتم على دارسيهما بحكم لغتهما البلاغية المعجزة التركيز على هذا الفن الأدبي الرفيع.

هذه العوامل وغيرها أنتجت مجتمعة، فيما أنتجت - إضافة لأسباب أخرى لست بصدد تبيانها الآن - نشاطاً أدبياً غزيراً، تمثل بصدور أعداد كبيرة من دواوين الشعر النجفي، وأضعاف أضعافها من القصائد التي لم يحوها ديوان لشعراء نجفيين مبدعين، منشورة في دوريات عراقية وعربية مختلفة، لا يمكن حصرها كثرة، وتنوعاً، وسعة انتشار، وإبداعاً.

بيد أن ذلك لا يعفيني من تقديم الأدلة على ما أزعّم من وجود مثل هذا

الدعم الحوزوي للنشاطات الأدبية عموماً، والشعر منها خاصة، فيما تصرم من هذا القرن، من خلال ذكر العديد ممن توفوا من مراجع التقليد، وكبار أساتذة حوزة النجف الأشرف العلمية فقط دون من سواهم من الحوزويين، أولئك المراجع وكبار الأساتذة قد حازوا الفضيلتين فضيلتي العلم والأدب معاً، أو دعموا النشاطات الأدبية، دعماً خلف أثراً على تطور فنون الأدب العربي في حوزة النجف الأشرف، شعرية كانت في غالبها، أم نثرية فمنهم:

١. المجتهد الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) أحد كبار مجتهدي حوزة النجف الأشرف ومن أعمدة المشتغلين المجتدين في تحصيل العلوم الروحية وأول من يعدّ عند تعداد أهل الفضل والنبوغ من طلاب العلوم الدينية الحائزين على درجة الاجتهاد، ضمّ إلى فضيلته في العلم، السبق في صفة الكمال والأدب شعراً ونثراً، فهو من الشعراء المجيدين، يحسن صوغ الشعر، وله شعريته في المحافل الأدبية^(١)، بديع الصور، واسع الخيال، محكم التراكيب؛ ذلك أنه لازم في مقبيل دراسته العلمية الأدبية أستاذه الشيخ محمد طه الكرمي الأديب والعالم الفاضل، فأفاد منه في مجال الأدب شعراً ونثراً حتى عد من أبرز شعراء عصره وأدبائهم، وقد استمر على إبداعه الشعري لأواخر أيامه، غير أنه أثر الانصراف عن إذاعته -أخيراً- إلا لخواصه والمقربين منه^(٢)، فكان الشيخ المجتهد لذلك ولغيره (محكماً) في (المعارك الأدبية) في عصره.

٢. المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (المستشهد سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ٣٠٣.

(٢) معارف الرجال ١/ ٣١٤ الهامش.

الذي تميز بمقدرة أدبية جلية، وقدرة على البيان بيّنة، مكنته من تجلية آرائه ومتبنياته، وطروحاته ونظرياته في مجالات الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والمعارف العامة وكتابة البحوث والمقالات من جهة، وفي مجالات العلوم البحتة كالمنطق والفلسفة والفقه والأصول وغيرها من جهة أخرى، بأسلوب جذاب، وعرض سلس، وحدثاته في التراكيب، وجدة في الطرح والمعالجة. وليس أدل على ذلك من قراءة كتاباته لتقف منها على صواب ما أقول.

٣. المجتهد الشيخ محمد تقي الجواهري (المستشهد سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م على الأرجح) وكان عالماً فاضلاً جليل القدر. من أجلاء المشتغلين في الفقه والأصول^(١) والأدب وفنونه، وشاعراً من طراز فريد، تشهد على إبداعه قصيدته الميمية الملحقة بهاء ساكنة في مصرع الإمام الحسين عليه السلام ورضيعه الشهيد عبد الله^(٢)، كما يشهد على براعته ديوان شعره (درر الجواهر).

٤. المجتهد السيد مسلم الحليّ (ت ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م) أستاذ السطوح ثم أستاذ البحث الخارج^(٣) في حوزة النجف الأشرف، وصاحب كتابي (بلوغ الغاية في شرح الكفاية) و(المسائل في شرح الرسائل) للشيخ الأنصاري، الذي كان شاعراً وأديباً جيداً حسن النظم جميله.

٥. العالم السيد هاشم معروف الحسني (ت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م) الذي نال مرتبة سامية في الفقه والأصول^(٤)، كما تشهد له بالفضل والعلم والمتابعة وسعة

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٥٣٥.

(٢) ينظر قصيدته في: موسوعة النجف الأشرف / القرن الخامس عشر: ٢/ ٨٤-٨٦.

(٣) المصدر السابق: ٢١/ ٣٨.

(٤) مع كبار علماء النجف الأشرف السيد محمد الغروي: ٢/ ٥٨٠.

الاطلاع كتبه العديدة ومنها (المباديء العامة للفقهاء الجعفري والمسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري، ونظرية العقد في الفقه الجعفري) وغيرها، الذي كان إلى جانب بحوثه في مجال تخصصه أديباً سلس البيان جميل التراكيب حسن العبارة.

٦. العالم السيد عبد الرسول علي خان (ت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) أحد علماء النجف الأشرف الأجلاء وأدبائها الفضلاء وصاحب المؤلفات العديدة ومنها: تقارير الفقه من بحث السيد الخوئي وتقارير الأصول من بحث السيد الخوئي، وشرح (كفاية الأصول). الذي كان شاعراً أديباً فاضلاً، له ديوان شعر لا زال مخطوطاً^(١).

٧. العالم المحقق الشيخ أسد حيدر (ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) صاحب كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة في ستة أجزاء والعديد من الكتب العلمية الأخرى، الذي كان أديباً جيداً وشاعراً مجيداً^(٢).

٨. العالم السيد عبد الرؤوف فضل الله (ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) الذي كان أديباً وشاعراً^(٣).

٩. المجتهد الشيخ مجتبی النكراني (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) الأستاذ المعروف في حوزة النجف الأشرف الذي كان شاعراً، بل له ديوان شعر^(٤).

(١) موسوعة النجف الأشرف. شعراء النجف. القرن الخامس عشر. عبد الله الخاقاني: الترجمة المرقمة: ١١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: الترجمة المرقمة: ١٤.

(٣) المصدر السابق: ٩٠ / ٢١. الترجمة المرقمة: ١٨.

(٤) ينظر: مع علماء النجف الأشرف. سابق. ٥٤١ / ٢.

١٠. العالم الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين الفرطوسي (ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) الذي غلب عليه الشعر حتى ظن بعضهم أنه شاعر فقط وليس عالماً شاعراً في آن، كيف وقد كتب في الفقه والأصول شروحاتاً لكتب (المكاسب، والكفاية، والرسائل) وغيرها، له ديوان شعر بجزأين، وملحمة في أهل البيت عليه السلام في ثلاثة أجزاء كما نظم رواية الفضيلة للكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي شعراً^(١).

١١. سيدي العم المجتهد السيد محمد حسين السيد سعيد الحكيم - (ت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) غريباً، مهجراً عنوة وبالقوة عن وطنه - عالم محقق، من أساتذة الفقه والأصول، مجتهد متضلع خبير. كبير التوكل. هو من الصبر والسكينة بمقام رفيع، أعدم طاغية البعث في العراق ثلاثة من أبنائه وهو صابر محتسب^(٢) مواظب على البحث والتدقيق، والعبادة والموعظة، من خلال تطبيق الخلق الكريم عملياً مع الصغير والكبير، كما كان إلى جانب ما تقدم من علمه، وشمّه الفقاهتي الملحوظ، شاعراً مجيداً، وخاصة في نظم (التواريخ الشعرية)، مع سرعة في النظم لا يقدر عليها إلا من أوتي نصيباً وافراً من الملكة الأدبية والموهبة الشعرية، ونظراً لجمال نسج تواريخه وبراعة أدائها، رسخ العديد منها وسيبقى راسخاً في ذاكرتي وذاكرة الكثير ممن سمعوها واستحسنوها، لقد كان يتمتع بحس شاعري مرهف، وذوق أدبي رفيع، وموهبة في استكشاف مواطن الجمال في النص الأدبي الشعري والثري، ولطالما شاهدته في مجالس الأدب وإنشاد الشعر وتقفيته (وخاصة في مجلسه العامر)

(١) ينظر: الفصل في تاريخ النجف. سابق: ١٠ / ٢٢٦-٢٣٠.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام سابق: ١ / ٤٢٨.

يلتقط النكتة الشعرية، واللقطة البلاغية، بذائقة الفنية الرفيعة، فيهتز لها إعجاباً واستحساناً.

١٢. المجتهد السيد يوسف السيد محسن الطباطبائي الحكيم المعذب في غياهب السجون والموضوع تحت الإقامة الجبرية لسنوات (ت ١٤١١هـ / ١٩٩١م) الذي جمع بين الفقاهاة والورع والتقوى والزهد^(١) انقادت له الزعامة والمرجعية بعد وفاة أبيه، غير أنه لورعه وزهده وتقواه لم يتقبلها، وانصرف إلى مواصلة الجهاد العلمي وترك الدنيا وما فيها^(٢). وكان إلى جانب ذلك أديباً ملماً بأساليب البلاغة والفصاحة والبيان، شاعراً مجيداً رقيق الألفاظ، جميل الصور، حسن السبك، واسع الخيال، إضافة لكونه ناثراً يتميز بأسلوب بليغ محكم النسيج جميله.

١٣. المجتهد الشيخ محمد جواد الشيخ راضي (ت ١٤١١هـ / ١٩٩١م) أحد أعضاء (جماعة العلماء) في النجف الأشرف -الآتي ذكرها وذكر نشاطه من خلالها- كان نظم الشعر في عنفوان شبابه أيام صباه، وأحسن فيه، وقد قرأت له قصائد جيدة نظمها في بعض المناسبات، كان لها محل في نفوس الأدباء كما يقول صاحب كتاب: ماضي النجف وحاضرها^(٣).

١٤. المجتهد السيد محي الدين الغريفي (المستشهد ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) الذي تخرج على يديه جمع من الفضلاء والمشتغلين المحصلين، وألف وكتب، فطبع

(١) ينظر: لمحة موجزة عن سيرة فقيه العلم والتقوى آية الله الكبرى السيد يوسف الطباطبائي الحكيم. السيد محمد جعفر الحكيم.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام سابق: ١/ ٤٢٥.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢/ ٣٠٣.

له (قواعد الحديث) و(الوقت والقبلة في الفقه والهيئة) وغيرهما، ونال ثقة المرجع الأعلى السيد أبي القاسم الخوئي فاختره من بين من اختار من علماء حوزة النجف الأشرف لتسيير الأمور بعد تحرير النجف الأشرف والمدن الأخرى من سطوة البعثيين الصداميين بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) كان إلى جانب فضله العلمي شاعراً مجيداً وأديباً مفوهاً.

١٥. المرجع الأعلى في عصره السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) الفقيه الأصولي المعروف الذي جمع بين الفقه والشعر، بل وتذوق الشعر^(١)، لقد كان يحب الشعر ويحفظه، ويستحسن إنشاده، ويأنس بسماعه، وقد أبى إلا أن يختم حياته بنظم أرجوزة من مائة وثلاثة وستين بيتاً في الإمامة، ومع أن الأراجيز لا تنبئ عادة عن مدى شاعرية ناظمها، إلا أن الحق أن الأرجوزة من حيث النظم متماسكة رصينة، زاهية من حيث التناسق بين اللفظ والمعنى، بل هي من قبيل صبّ المعاني العميقة في قالب الألفاظ الموجزة^(٢).

١٦. العالم الشيخ محمد الشيخ راضي (ت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) أحد علماء عصره الأجلاء. تخرّج في الأبحاث العالية على السيد الخوئي والشيخ حسين الحليّ والسيد محسن الحكيم، كما تخرّج عليه جمع من العلماء، كان شاعراً أديباً شارك في الحياة الثقافية في النجف، وقد نشر الكثير من قصائده في الصحافة^(٣).

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف د. محمد حسين الصغير: ٢٧٥.

(٢) مقدمة كتاب رثاء القيم. مكتب الثقافة والإعلام بؤسسة الإمام الخوئي. لندن: ٢١.

(٣) المصدر السابق: ٢١ / ٢٤٥. الترجمة المرقمة ٤٤.

١٧. المرجع الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) مؤلف كتاب (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته) و(العفاف بين السلب والإيجاب) و(من أشعة القرآن) وصاحب الرسالة العملية (كلمة التقوى) المكتوبة ببيان جميل، ووضوح جلي، وأسلوب بهي، لقد كان المرجع الديني شاعراً مبدعاً وأديباً كبيراً^(١) بل أستاذ العدد من كبار شعراء النجف الأشرف.

١٨. المرجع السيد محمد علي الحمامي (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) صاحب كتاب (هداية العقول في شرح كفاية الأصول) في ستة أجزاء، الذي جمع بين مرجعيته الدينية والأدب والشاعرية^(٢) ويشهد له بذلك ديوان شعره (أمالى الحياة).

١٩. العالم الشيخ عبد الحميد الصغير (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) أحد كبار أعلام أسرته العلمية والأدبية الكريمة وأحد العلماء المعروفين بالفضل وحب الأدب ونظم الشعر والسماحة والكرم في النجف الأشرف، يشهد له بذلك ديوان شعره المخطوط وغيره، لقد كان بيته نادياً علمياً أديباً يرتاده العديد من أهل الفضل والمعرفة والأدب ولا يفتقر ما دام منعقداً عن تناول بحث علمي أو مطارحة أدبية أو إنشاد شعري أو موضوع لغوي أو نقاش تاريخي أو ما شابه^(٣).

٢٠. المرجع الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (المستشهد سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) الذي جمع بين فضيلتي العلم والأدب كليهما، فهو إلى جانب فقهه وأصوله، وهو مجال تخصصه الدقيق كعالم ديني، كان قضي عقوداً من عمره

(١) ينظر: مع علماء النجف الأشرف: ٢ / ٥٤٨ وشعراء الغري: ٧ / ٣٠٠، ونقباء البشر: ١ / ١٧٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢١ / الترجمة المرقمة ٤٤.

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢ / ٤١٤. شعراء الغري. سابق: ٥ / ٣٤٦.

يتعاطى نظم الشعر ويزاوله، فقد كتب في مقدمته لديوانه المطبوع (مجموعة أشعار الحياة) ما نصه: قضيت حوالي أربعين عاماً من عمري وأنا ناظم للشعر. بدا شعري منذ صباي لما أحسسته من القابلية على ذلك من ناحية، ولما كنت أقرأه وألتهمه من مختلف أجناس الكتب -لو صح التعبير- بما فيها دواوين الشعراء من ناحية أخرى^(١). ومن يقرأ نتاجاته الفقهية والفكرية كليهما وخاصة موسوعته المهمة عن (الإمام المهدي عليه السلام) يقف على أسلوب أدبي واضح المعالم لا يملكه إلا من نظم الشعر وأكثر من قراءة الكتب الأدبية والثقافية المتنوعة، لما للأدب نشره وشعره من صلة وثيقة بعملية الاجتهاد.

٢١. المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه (ت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) صاحب الكتاب الاستدلالي في الفقه كتاب (الخمس) ومؤلف الكتب العديدة: (مناهج الفقيه ومبانيه) و(مكاسب الفقيه في أصول المعاملات) و(مباني الفقيه في الأصول اللفظية والعملية) و(مدارك العروة الوثقى) إضافة إلى رسالته العملية في العبادات (مناهج الفقيه) وغيرها من المؤلفات العديدة الأخرى، لقد كان إلى جانب ذلك شاعراً أديباً، نشر بعض شعره في الصحافة، كما اشترك في أندية النجف ومجالسها الأدبية الثقافية، وقد كتب الشعر في أغراض متعددة^(٢).

٢٢. المرجع السيد حسين بحر العلوم (ت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) الذي جمع بين فضيلتي العلم والأدب كليهما، فهو بحق أحد أديبة مدينته البارزين وأحد

(١) مجموعة أشعار الحياة. السيد الشهيد محمد الصدر. ط ١. مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر: ١٤٢٩

هجري. ص: ١١.

(٢) موسوعة النجف الأشرف. القرن الخامس عشر الهجري. الجزء ٢١ / ٣٤٠ - ٣٤١.

شعراء النجف الأشرف المرموقين، يدل على ذلك ديوانه المطبوع (زورق الخيال)، وقد فضّل في السنوات الأخيرة من حياته التركيز على الجانب العلمي من شخصيته أكثر فأكثر، ولكن ملكة الشعر كانت وبقيت راسخة في قلبه وروحه، تدل عليها قصائده الشعرية التي عبر فيها عن ذات تائقة إلى عالم الجمال والكمال والسحر الحلال بأسلوب ومفردات فيها من الرومانسية الشيء الكثير^(١). وقد أوضح ذلك في مقدمته لديوانه بقوله إنه من الواضح عندنا في العلم الديني الحوزوي، أن الاجتهاد يتوقف على درجة من الفهم الأدبي، بل يتوقف على الدقة في الفهم الأدبي، لأن الكتاب والسنة بأنفسها نصوص أدبية عالية ودقيقة^(٢).

٢٣. المجتهد السيد محمد تقي ابن السيد سعيد الطباطبائي الحكيم المعذب في غياهب السجون والموضوع تحت الإقامة الجبرية لسنوات (ت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) الذي جمع بين الفقه والأصول وكان رائداً في أصول وقواعد الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية من جهة والأدب والشعر من جهة أخرى^(٣) كما سيأتي.

وما لنا نذهب بعيداً ونحن نرى أن عدداً غير قليل من المراجع والمجتهدين وكبار أساتذة الحوزة العلمية نظموا الشعر فأبدعوا فيه، وتعاطوه فكانوا من خيرة شعراء عصرهم مع جلالة قدرهم العلمي في الفقه وأصوله وعلو كعبهم فيها.

(١) المصدر السابق: الجزء ٢٢ / ٣٤٠-٣٤١. الترجمة المرقمة ٤٤. المصدر السابق ص: ١٢.

(٢) ينظر: المفضل في تاريخ النجف. سابق: ١٠ / ٢٨١-٢٩٣. والسيد محمد تقي الحكيم ومنهجه في كتابة التاريخ. علاء الدين الحكيم.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة. جعفر الخليلي. قسم النجف: ٢ / ٢٩٣.

ولنا من الإحصاء خير معين لإثبات مدى اهتمام علماء الحوزة ورجالاتها بالأدب وفنونه بعامة والشعر منه خاصة.

وكمثل تطبيقي على ما أقول فقد سبرت كتاب (معارف الرجال) بأجزائه الثلاثة للمؤرخ العالم الأديب الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ / ١٦٤٦م) معتمداً على النسخة المنشورة عن (مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي) والمطبوعة بمطبعة الولاية في مدينة قم المقدسة لسنة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) بتعليق حفيد المؤلف الشيخ محمد حسين حرز الدين واضعاً لعملية السبر الإحصائي المحددات التالية: أن يشمل السبر الإحصائي العلماء الأدباء من أساتذة حوزة النجف الأشرف المرموقين، المتوفين في القرن الثالث عشر وما بعده حتى تاريخ كتابة مؤلف الكتاب لكتابه، ممن يشهد لهم المثبتون بالجمع البين بين فضيلتي العلم والأدب كليهما بل والحائزين على قصب السبق في كل منهما، فجاءت نتيجة البحث كما يأتي:

أظهرت نتائج الإحصاء وجود: (٢٣٥) مائتين وخمسة وثلاثين عالماً وأديباً توافرت فيهم المحددات أعلاه، ممن جمع بين فضيلتي العلم والأدب كليهما، فكان مشهوداً له ومشاراً إليه بالتميز في كل منهما.

في حين أظهرت نتائج الإحصاء أيضاً: وجود (١٩٢) مائة واثنين وتسعين مترجماً له حاز على فضيلة العلم وحدها دون الأدب.

وعليه فإن مجموع العلماء الكلي، سواء أكانوا قد جمعوا بين فضيلتي العلم والأدب كليهما فتميزوا فيهما معاً، أم كانوا علماء فقط، دون أن يكونوا أدباء هو (٤٢٧) أربعمائة وسبعة وعشرون عالماً.

كما أظهرت النتائج أيضاً وجود (٤) أربعة أشخاص فقط حازوا على فضيلة الأدب وحدها، من دون أن يكونوا علماء.

وبشكل تفصيلي أكثر: فقد أظهرت نتائج الإحصائية وجود (٨١) واحد وثمانين مترجماً له في الجزء الأول، و(٩٢) اثنين وتسعين في الجزء الثاني، و(٦٢) اثنين وستين في الجزء الثالث قد جمع بين فضيلتي العلم والأدب كليهما.

وأظهرت النتائج أيضاً وجود (٨٤) أربعة وثمانين مترجماً له في الجزء الأول، و(٦٨) ثمانية وستين في الجزء الثاني، و(٤٠) أربعين مترجماً له في الجزء الثالث، حاز على فضيلة العلم وحدها دون الأدب.

في حين أظهرت النتائج وجود (٤) أربعة أشخاص فقط في الأجزاء الثلاثة جميعها، قد حازوا على فضيلة الأدب وحدها دون العلم.

ويتبين من قراءة هذه النتائج أن نسبة العلماء الأدباء النجفيين إلى مجموع علماء النجف الأشرف، من عاش منهم في القرن الثالث عشر الهجري حتى تاريخ كتابة الشيخ محمد حرز الدين لكتابه (معارف الرجال) بأجزائه الثلاثة هي: (٥٥٪) خمس وخمسون بالمائة، وهي نسبة كبيرة لتخصص متميز في علم ما، يحرص على أن يجمع إلى تخصصه الأم تخصصاً آخر يتميز فيه أيضاً بحيث يشار إليه بالبنان في كل منهما.

ولولا شعور العالم الفقيه النجفي بأهمية تميزه في الأدب العربي مع تميزه بتخصصه الأم في الفقه وأصوله أيضاً لما أعطاه العالم الحريص على وقته كل هذا الوقت والجهد والمشقة.

وفي هذه النتائج من الدلالة على ما أنا بصددده ما فيه.

كما أظهرت النتائج أيضاً وفق المحددات المتقدمة نفسها: أن نسبة العلماء الأدباء - الذين تميزوا في كلا الفرعين الفقه والأدب العربي فأصبحوا ممن يشار إليه بالبنان في كل منهما - إلى مجموع الأدباء الذين حازوا على فضيلة التميز بالأدب العربي وحده دون الفقه هي: (٩٨٪) ثمانية وتسعون بالمائة، وهي نسبة عالية جداً، بل ملفتة، وتحتاج إلى أكثر من دراسة معمقة للوقوف عليها وسبر كنهها وتحليلها تحليلاً علمياً رصيناً ووافياً.

وكمثل تطبيقي آخر على ما أدعيه فقد اتخذت من كتاب (الطليعة من شعراء الشيعة) للمؤرخ الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) نموذجاً لمعرفة مدى حجم (الشعراء - العلماء) من منتسبي حوزة النجف الأشرف، خلال القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر، من بين من ترجم لهم الشيخ السماوي من شعراء الشيعة الطليعيين منذ صدر الإسلام حتى سنة تاليف مؤلفه للكتاب في سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) ويعود سبب اختياري لهذا الكتاب عينة أدرسها لأسباب منها:

أن المؤلف مؤرخ ثبت، يعتمد المؤرخون على نقله، ويركنون إلى روايته، وليس غريباً أن تجد موسوعة مثل (موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف) تقول في حقه ما نصه: لم يعرف التاريخ عالماً في العصور المتأخرة أحاط بالكتب القديمة وتوارىخها ومواضيعها وقيمة الكتب الأثرية ونفاستها كالشيخ محمد السماوي خصوصاً فيما يتعلق بالشعر والشعراء^(١).

(١) وقد أجازه بالاجتهاد من أساتذته الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري، والسيد محمد الهندي، والسيد حسن الصدر الكاظمي: من (مقدمة كتاب الطليعة من شعراء الشيعة للشيخ محمد السماوي. بقلم كامل سلمان الجبوري: ١٠ / ١).

ومنها أن المؤلف عايش العديد ممن ترجم لهم ووقف على أحوالهم بنفسه، ومنها أنه شاعر مبدع وعالم من علماء حوزة النجف الأشرف في آن، فهو يستطيع تمييز الشاعر المبدع من غيره بخبرة الشاعر وذائقته، والعالم المحق من غيره بحكم كونه مجتهداً^(١)، ما يعطي صدقية أكثر للعينة محل البحث.

ومنها أن الكتاب موضوعه شعراء الشيعة الكبار المبدعين، فهو مصمم للبحث عن هذه الطبقة منهم فقط، يقول الشيخ السماوي في مقدمته لكتابه إنه أثبت فيه -إضافة إلى ما تقدم من قيود- تراجم أدباء الشيعة، البارعين في النظم^(٢)، ما يعني أن سبب اختيار المترجم لهم في الكتاب كونهم من طليعة شعراء الشيعة الذين مدحوا النبي وأهل بيته عليهم السلام ليس إلّا، فإذا صادف أن يكون الشاعر الطليعي عالماً أيضاً أشار إلى علمه ضمناً، ما يعطي صورة أدق عن حجم الشعراء العلماء في حوزة النجف الأشرف خلال القرن الثالث عشر والثالث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فإذا كان عدد الشعراء المبدعين، الذاكرين بشعرهم أهل بيت العصمة والطهارة، مع كونهم علماء في حوزة النجف الأشرف، خلال هذه الفترة الزمنية المحددة للبحث، من بين شعراء الشيعة على مرّ العصور، وبهذه القيود المتقدمة، وبهذا القدر، فكم سيكون إذاً عدد الشعراء العلماء (مبدعين وغير مبدعين) من منتسبي حوزة النجف الأشرف حتى عام (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م)، وهو تاريخ كتابة المؤلف لكتابه؟

بل كم سيكون عددهم لو أحصينا الشعراء العلماء في حوزة النجف الأشرف منذ تأسيسها حتى سنة (١٣٣٥هـ / ١٩١٧م)، تاريخ كتابة المؤلف لمؤلفه،

(١) الطليعة من شعراء الشيعة الشيخ محمد السماوي. تحقيق كامل سلمان الجبوري: ٦٣/١.

(٢) المصدر السابق: ٤٤٦/٢.

من دون أن تقتصر على الشعراء العلماء خلال القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر فقط.

بل كم سيكون عددهم لو لم يقل الشيخ السماوي في خاتمته ما نصه: اقتصرت على من عرفت ترجمته، واقتصصت أثره، فما ظنك لو ذكرت من عرفته، وعرفت نظمه، دون أن أعرف اسمه، ورسمه؟^(١)

أقول: بل وما ظنك لو مددنا فترة البحث إلى نهاية سنة (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

لقد أحصيت شعراء النجف الأشرف ككل حتى سنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، إحصاء أولياً، لا أدعي كماله، فبلغوا (٨٢٠) ثمانمائة وعشرين شاعراً، كما تقدم.

ثم عدت الحوزيين منهم أو المنتسبين إلى أسر حوزوية علمية نجفية فكانوا (٧٨٠) سبعمائة وثمانين شاعراً من شعراء القريض، وفي هذا الرقم الكبير - من الشعراء الحوزويين أو المنتسبين إلى أسر حوزوية من الدلالة على ما أنا بصدد البرهنة عليه - ما فيه، بما لا يحتاج إلى زيادة بيان.



(١) فلسطين في الشعر النجفي المعاصر. (١٩٢٨ - ١٩٦٨م / ١٣٤٧ - ١٣٨٨هـ). د. محمد حسين الصغير: ٥٣.

المبحث الخامس

أنشطة أخرى تدل على اهتمام علماء الحوزة بتنشيط الروح الأدبية لطلابها

سبق أن أشرت سريعاً إلى تشجيع علماء الحوزة واهتمامهم بتنشيط الروح الأدبية من قبيل دعم وتشجيع المرجع الأعلى وكبير علماء العصر في العالم الإسلامي أجمع^(١) السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) للحركة الأدبية في العراق والعالم العربي فقد عني بالأدب عامة، وبالشعر النجفي خاصة عناية تامة، فأوعز بإقامة المهرجانات الدينية، والاحتفالات الجماهيرية في كل من: النجف الأشرف، وكربلاء، والكاظمية المقدسة، إضافة إلى بغداد، والحلة، والكوت، وبعقوبة، والبصرة، والعمارة، والناصرية، والديوانية، والمشخاب، وغيرها من مدن العراق، للحفاظ على روح الدين الإسلامي من التزييف، فأصبحت هذه المهرجانات، ومنذ عشر سنوات حتى اليوم من سنة (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) - مضمراً رحباً للشعر النجفي، يشارك في إحيائها، ويسهم في إنجاحها^(٢) العديد من الشعراء المبدعين، والكثير من الكتاب المميزين.

بيد أني سأتناول جانباً آخر يعكس مدى اهتمام عدد من كبار الحوزويين بتنمية الجوانب الثقافية بعامة، أو المواهب الأدبية والشعرية خاصة لطلابهم

(١) المصدر السابق.

(٢) التقي الحكيم أديباً. الدكتور محمد حسين الأعرجي. السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في

من الحوزويين، وقد تجلّى هذا الاهتمام بقيام هؤلاء الفقهاء بمهمة تدريب وتوجيه بعض طلاب الحوزة، من الراغبين بالكتابة والنظم، ومن المهيين لتطوير كفاءاتهم الأدبية، وملكاتهم الفنية، ومواهبهم وثقافتهم العامة، وطاقاتهم الكامنة، تفجيراً، وتنمية، وتنشيطاً فاعلاً، وتكثيفاً، سواء أكانت هذه الاهتمامات الحوزوية فردية متأتية من تركيز أولئك الأساتذة الكبار على هذا الجانب الفني المؤثر، إدراكاً منهم لأهميته، وهي الحالة الأكثر شيوعاً، أو نتيجة تكليف من جهة علمائية مهتمة بهذا الجانب دعّتهم للقيام بهذه المهمة، وهي حالة قليلة الوجود.

أما نوع النشاط الأول المتمثل بالمبادرات الفردية لعدد من كبار علماء حوزة النجف الأشرف وأساتذتها وفقهائها تجاه الطلبة، فقد نحا منحيين، ركّز المنحى الأول منهما على تنشيط الجوانب الثقافية والفكرية والمعرفية العامة والبحثية لطلابهم، ومن شواهد ذلك ما كنت سمعته وسمعه غيري أكثر من مرة، وفي أكثر من محفل، من بعض ناشطي تلك الآونة كتاباً وباحثين، وفي مقدمتهم العلامة الباحث الدكتور السيد محمد بحر العلوم، والمفكر والأديب المتألق السيد هاني فحّص، من أن الحوزويين الشباب الموهوبين، المتطلعين إلى تنمية طاقاتهم وقدراتهم الفكرية وتنشيط ثقافتهم العامة، وزيادة مؤهلاتهم العلمية، وتنويع اهتماماتهم بما يجد من معارف وشؤون خارج أطرهم المعرفية الخاصة، كانوا يتمحورون فرادى، وجماعات حول كل من العلمين المجتهدين: السيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد تقي الحكيم.

أما غيرهم من الطلبة المهتمين بتنمية قدراتهم الثقافية والأدبية، ومعارفهم العامة المتعلقة بالأدب وفنونه وبالتأليف وشؤونه، وخاصة أدواتهم التعبيرية،

النثرية منها والشعرية، من أجل تطويرها تطويراً يؤهلهم لدخول عوالم الكتابة، والنظم، والتأليف، والنشر، فكانوا يتمحورون حول عدد قليل من علماء الحوزة ورجالاتها وأساتذتها من ذوي الخبرة العالية في هذا المجال، منهم - كما قالوا وكتبوا ووثّقوا - سيدي الوالد، والمرجع الشيخ محمد أمين زين الدين، ومعه المجتهد الشيخ سلمان الخاقاني.

وكشاهد على ذلك يدعم ويؤيد كلا محوري العمل المتقدمين فيما يخص سيدي الوالد (ت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ما كنت أرقبه شخصياً، من نشاط له في ذينك المنحيين المتقدمين، فلطالما كنت أرى العديد من المؤلفين، والأدباء، والشعراء، والكتاب وخاصة من تلامذته من أمثال: الشاعر الكبير الدكتور المرحوم السيد مصطفى جمال الدين (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، وعميد الخطباء الشاعر المعروف الدكتور أحمد الوائلي (ت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، والأستاذ الدكتور الشاعر صالح الظالمي (ت ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، والعلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، والعلامة الدكتور المرحوم الشيخ عبد الهادي الفضلي، والباحث العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي، والباحث العلامة الشيخ محمد علي التسخيري، والباحث السيد العلامة عدنان البكاء، والأستاذ الدكتور محمود المظفر، الباحث والشاعر الأستاذ الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير، والباحث الشاعر الأستاذ الدكتور حازم الحلّي (أطال الله أعمارهم) وغيرهم، يدفعون إليه ببحوثهم، أو بنتائجهم الشعرية والنثرية تارة، أو ينشدونه قصائدهم، ثم يصغون إلى ملاحظاته النقدية أو يتدارسونها، شفاهاً أو كتابة، تارة أخرى، ومثلهم غيرهم ممن كانوا يطلبون منه مراجعة نتائجهم الفكرية، أو الأدبية، من قبيل كتبهم، ومؤلفاتهم الأدبية، أو دواوينهم الشعرية، أو غيرها، قبل دفعها إلى المطبعة، أو من قبيل رسائلهم

الجامعية التي يشرف عليها غيره خلال فترة إعدادهم لها، وقبل تقديمها للمناقشة، أو أشباه ذلك.

يقول المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي متحدثاً عن أدبه بقوله: معروف أن سماحة العلامة السيد محمد تقي الحكيم فقيه، وأصولي، ولعل براعته وعمقه في هذين التخصصين أنسيا الناس جانباً آخر من جوانب شخصيته، لا يقل براعة فيه عن تخصصه الفقهي والأصولي، أعني جانبها الأدبي.

أقول: أنسيا الناس هذا الجانب فيه، لأن من حق دراسته الرصينة عن (السيد الحميري) أن تجعله في مصاف دارسي الأدب المتضلعين فيه، لا فقيهاً مجدداً، ولا أصولياً بارعاً فحسب^(١).

إن دراسته للشاعر المذكور- يقول الأستاذ الدكتور محمود البستاني- قد اكتسبت حيويتها من خلال توظيفه. (الأداة النفسية)، وفي حدود اطلاعنا على كتاب النجف آنذاك - (أواخر الأربعينات من القرن العشرين)- كان الأستاذ الحكيم أول شخصية نجفية تتوكل على أداة علم النفس في تحليلها للشخصيات أو للظواهر، حيث استعار أدوات علم النفس التحليلي خاصة، ونجح في توظيفها، مع ملاحظة أن أغلبية النقاد النفسيين، يتعسفون في استخدام هذه الأداة، ويحملونها على الشخصية المدروسة بتكلف واضح، بينما نجح الأستاذ الحكيم -كما قلنا- في استخدامه الأداة المذكورة، حيث وظّف مصطلحات من نحو: اللا شعور، تداعي المعاني، أحلام اليقظة، تفسير الأحلام،

(١) الممارسة الأصولية عند السيد محمد تقي الحكيم. د. محمود البستاني. السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف: ٢٥٣.

في استخلاص النتائج التي أصدرها على الشاعر^(١).

كما أن محاضراته النقدية العديدة المعنونة (مشكلة الأدب النجفي) والمنشورة على خمس حلقات خلال السنة الأولى (١٣٧٥ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م) من عمر (مجلة النجف)^(٢)، وأسلوب كتابته (السلس الممتع) لكتابه (عبد الله بن عباس شخصيته وآثاره)، وشعره الرقيق، شواهد أخر على أدبه وفنه.

أما ما يتعلق بما كان يقوم به المرجع الأديب الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ومعه المجتهد العلم الشاعر المبدع الشيخ سلمان الخاقاني (ت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، -ولا زلت أتحدث عن سعي بعض كبار الحوزويين لتنشيط الجوانب الأدبية لطلابهم وتدريبهم على الكتابة والشعر- فقد نص عليه الباحث والشاعر الكبير الدكتور السيد مصطفى جمال الدين (ت ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) حين قال متحدثاً عن فترة تلمذته على يد أستاذه الشيخ زين الدين: كان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولع بالشعر، واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة، وبارشاده وتوجيهه، قرأنا ما جدّ من الكتب المصرية واللبنانية. هذان العلمان الكبيران -زين الدين والحقاني- هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهاياته^(٣).

(١) ينظر: مجلة النجف في إصدارها الأول. لصاحبها السيد هادي الفياض. الأعداد: ٣، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠ لسنة (١٩٥٦ - ١٩٥٧ م). وكذلك: الغاية العذراء. دراسات في الشعر النجفي الحديث. لحامد المؤمن: ٢٣ - ٥٥.

(٢) الديوان. السيد مصطفى جمال الدين: ٢٩.

(٣) الفقيه الشيخ محمد أمين زين فقيه الأدباء وأديب الفقهاء. د. عبد الهادي الفضلي. مجلة آفاق نجفية. العدد: ٩.

ولقد فصل العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي حين تحدث عن طريقة الشيخ زين الدين في تدريب طلابه على الكتابة موضحاً: أنه كان يعقد لبعض تلامذته درساً يديره هو بأن يقرأ فصلاً من كتابه (الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته) كنص أدبي، ثم يقوم بالشرح والتعليق ثم يلزمنا بكتابة موضوع يختاره، وفي الغالب كان الموضوع يدور حول آية قرآنية، وكنا نكتب ونقدم كتاباتنا إليه في الدرس القادم، وكان يأخذها معه ليعود بها في الدرس التالي، وقد أشر على مواضع تتطلب التعليق عليها، ثم يوضح لكل طالب ممّا ما ينبغي إيضاحه له من ناحية الأسلوب^(١).

وكان من حضار درسه الأدبي هذا المنعقد في أواسط السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري إضافة لسماحة الشيخ الفضلي، سماحة السيد محمد رضا الخرسان، وسماحة السيد محمد جواد فضل الله وغيرهم^(٢).

هذا ما كان يخص النوع الأول من (النشاطات الفردية) التي كان يقوم بها بعض أساتذة الحوزة العلمية النجفية في تنشئة جيل يمتلك أدواته الفنية في التعبير عما يختلج في ذهنه وصدره من أفكار ومشاعر.

أما النوع الثاني من نشاطات بعض علماء حوزة النجف الأشرف، المعنية بتنمية القدرات الأدبية والتعبيرية للطلبة، فنحاهو الآخر منحيين.

تمثل المنحى الأول منهما بمساع قام به بعض رجالات الحوزة لإصلاح

(١) ينظر: الفقيه الشيخ محمد أمين زين فقيه الأدباء وأديب الفقهاء. د. عبد الهادي الفضلي. مجلة آفاق نجفية.

العدد: ٩ لسنة ٢٠٠٨ م. ص: ٣٩٢.

(٢) آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين. تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله. السيد عدنان

النظام السائد فيها، يعالج من جملة ما يعالج تنشيط الجانب الثقافي للطلبة، ويعدّ في مقدمة هذه المساعي النشاط الذي تزعمه المجتهد المصلح الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)، بدعم ومؤازرة عدد غير كبير من العلماء، تولى بعد لأيّ مهمة تأسيس جمعية باسم (جمعية منتدى النشر) في النجف الأول سنة (١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) يهدف من بين ما يهدف إليه، إعداد جيل واع متسلح بأدواته الفنية المعينة على توصيل ما يجب أو ينبغي توصيله من المعارف الإسلامية للمحتاجين إليها من جهة، وصد هجمات الأعداء من جهة أخرى، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في فصل لاحق.

وتمثل المنحى الثاني منها (بتكليف) بعض من العلماء - الأدباء من الحوزويين بمهمة الإشراف على مجموعة من الشباب الناشئ لتطوير أدواتهم الفنية التعبيرية، وكمثل على ذلك اختيار (جماعة العلماء): (وهي جمع من الفقهاء العاملين تشكل بدعم من المرجع الأعلى في وقته وزعيم الطائفة السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) لعدد من طلاب الحوزة المؤهلين لممارسة الكتابة الإسلامية من أجل تنشيط قابلياتهم على الكتابة والتأليف والنشر تعريفاً بالفكر الإسلامي وصدّاً لمحاولات النيل منه.

يقول أحد المختارين للتدريب يومها على الكتابة، الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، مؤرخاً لذلك الجهد ما نصه: لقد كنا نجتمع كلّ مرة في بيت واحد منّا، ويلقي أحدها ما أعدّ من موضوع، ويناقش من قبل المشرفين والطلبة المشاركين^(١). أما المشرفون - وهم من الفقهاء والشعراء المبدعين معاً، ولبعضهم دواوين

(١) المصدر السابق: ٣٩٤.

شعر مطبوعة، وكتب أدبية متداولة - فهم كل من أصحاب الساحة:

« الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) المتقدم ذكره.

« السيد موسى بحر العلوم (ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) المتقدم ذكره.

« الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي (ت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) المتقدم ذكره.

« الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) وهو مرجع من مراجع التقليد في حوزة النجف الأشرف لاحقاً، فقد كانت له إضافات فنية عدت تطويراً في عالم الحركة الأدبية النجفية، وتتمثل تلكم الإضافات في الموضوعات التالية أسلوب المقالة الأدبية، والرواية الشعرية، والأدب الإسلامي الملتزم^(١).

أما مقالاته الأدبية - وكنموذج لها مقالته الرائعة المعنونة (بلال المؤذن) التي نشرها الأستاذ علي الخاقاني في مجلته (البيان)، وكذلك في كتابه (شعراء الغري) ضمن ترجمته للشيخ زين الدين - فتؤلف مجموعة ثرية من روائع المجموعات الأدبية الثرية، إن هذه الإضافة الإبداعية الجديدة تدخل عنصراً مهماً في تاريخ الأدب النجفي، فلا بد لمن يريد دراسة الأدب في النجف الأشرف من تناوله في بحثه أو دراسته.

ولم تزل مبادرته في كتابة الرواية الشعرية ملفتة للنظر، فالذي يبدو لي أن شيخنا - (زين الدين) - هو الرائد الأول في كتابتها، أو على الأقل من بين الرواد الذين كتبوا فيها من النجفيين، فهو من الرواد الأوائل في كتابتها^(٢) هو ورفيق دربه

(١) المصدر السابق: ٣٩٢.

(٢) نفسه: ٣٩٢.

العلمي والأدبي والتربوي سماحة الشيخ سلمان الخاقاني الذي كتب ثلاث روايات شعرية بديعة نشر اثنتين منها الشيخ علي الخاقاني ضمن ترجمته للشيخ سلمان الخاقاني في كتابه (شعراء الغري).

إن روايات الشيخ الخاقاني الشعرية الرائعة ورواية الشيخ زين الدين الشعرية الجميلة (المسلول) التي لا تقل - في بنائها الروائي الفني وشاعريتها ومضامينها، مواقف وأسلوباً في الحوار، وأفكاراً، وتصويراً للمشاعر والنزعات، كما يفرضها الحال - عن أرقى ما عرف من الروايات المعروفة وقتها، لكن شيخنا أخبرني بنفسه - كما يقول الباحث السيد عدنان البكاء - أنه ألقى هذه الرواية في مرحلة أخرى في البئر، دون أن يعلم أن بعضهم قد سرقها، واستنسخها قبل ذلك^(١).

وأما نشاطه في مجال الأدب الإسلامي الملتزم، فحسبك أن تقرأ كتابين له يمثلان هذا الأدب بشكل جلي هما: (الإسلام ينايعة مناهجه غاياته) و(إلى الطليعة المؤمنة) لتجد صدق ما أقول واضحاً جلياً.



(١) آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين. تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله. السيد عدنان البكاء.

مجلة آفاق نجفية. العدد التاسع لسنة (٢٠٠٨ م / ١٤٢٩ هـ) ص: ٢٤٨.



الفصل الرابع

دور الحوزة في حفظ وحراسة لغة القرآن الكريم

يتناول هذا الفصل مباحث عدة هي:

أولاً

حوزة النجف الأشرف حاضنة اللغة العربية وحاميتها من محاولات التتريك والعجمة

ثانياً

منهج الحوزة الدراسي ولغة التدريس الحوزوية باللغة العربية

ثالثاً

تعريب الحوزة لطلابها الوافدين من غير العرب

رابعاً

الحوزويون النجفيون من غير العرب ينظمون الشعر العربي

خامساً

الطلاب العائدون من حوزة النجف الأشرف يسعون لإعادة إنتاج ما يشبه حوزة النجف في بلدانهم

سادساً

حوزة النجف الأشرف تنشر العلوم باللغة العربية في مدن العراق عامة

سابعاً

العثمانيون ومحاولاتهم الحثيثة لتتريك العراقيين وتحويل لغتهم العربية إلى التركية

ثامناً

جهود حوزة النجف الأشرف في إفشال مشروع التتريك العثماني



أولاً

حوزة النجف الأشرف حاضنة اللغة العربية وحاميتها من محاولات التتريك والعجمة

منذ أن شعر علماء حوزة النجف الأشرف وفقهاؤها في قرون سابقة بتأثير العجمة على دارسي العلوم الشرعية في الحوزات الدينية الأخرى وصولاً إلى حوزتهم، هبوا - إضافة لما تقدم وما سيأتي - لتنشيط اللغة العربية وآدابها بين صفوف زملائهم وطلبتهم مدرّكين ضرورة إسعاف الأدب العربي الذي أنهكته السلطة التركية بسياسة التتريك من جهة، وبعض مؤلفات غير العرب من جهة أخرى، حتى أصبحت لغة التأليف يابسة إلى حد فقدت روح الفصاحة والبلاغة، وأماتت المرن من القول فحبذ فريق من الفقهاء وأعلام الدين اعتناق الأدب، والإعلان عنه بتكريس وقت خاص له يتساجلون فيه ويتطارحون فكانت نواة وبداية للنهضة الأدبية في النجف بل والعراق عامة^(١)، وهو ما سيأتي ذكره لاحقاً.

ولم يقف علماء النجف الأشرف عند تيسير القول العربي وحسن البيان والوضوح في الإفصاح عن المقصود كما تقدم، بل تعداه إلى تيسير النحو العربي لطلاب العربية وأساتذتها، ومن ذلك استجابة علماء النجف الأشرف لطلب الحكومة العراقية الإدلاء بدلوهم في محاولات التيسير اللغوي الذي ظهر

(١) تاريخ النجف الأشرف. الشيخ محمد حسين حرز الدين: ١/ ١٢٠.

في محاولات المفكرين المصريين في النصف الأول من القرن العشرين، وخاصة من قبل كوكبة من كبار علماء اللغة العربية وآدابها من أمثال: أحمد أمين، وطه حسين، وعلي الجارم، ومحمد أبو بكر إبراهيم، وعبد المجيد الرافعي.

لقد ارتأت وزارة المعارف العراقية حينها مخاطبة اثنين من علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف لدراسة المشروع المصري وإبداء آرائها حوله، موجهة تكليفها إلى الشيخ محمد جواد الجزائري رحمته الله، وقد قام بدراسة المقترحات دراسة علمية مستفيضة وعالجها علاجاً موضوعياً بناءً ظهر في الكتاب الذي أصدره سماحته بعنوان نقد المقترحات المصرية.

وقد قام بدراسة بحث الشيخ الجزائري دراسة معمقة علامة النحو العراقي الدكتور نعمة رحيم العزاوي ونشرها في مجلة اللغة العربية التي أصدرتها كلية الآداب - جامعة الكوفة عام (٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ).

أما التكليف الآخر الذي وجهته الحكومة العراقية فكان إلى الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م).

وقد قام الشيخ آل كاشف الغطاء بدراسة المقترحات المصرية دراسة معمقة والرد عليها، وقد نشر رد الشيخ آل كاشف الغطاء ونجله يومها في جريدة العراق البغدادية بتاريخ (١٩ جمادى الأولى من سنة ١٣٥٧هـ / ٢٨ / ٧ / ١٩٣٨م)، ودرس رد الشيخ آل كاشف الغطاء أسوة برد الشيخ الجزائري^(١).

وقد تحدثت سابقاً عن العديد من العلماء الذين بلغوا الدرجات العالية

(١) ينظر: الحوزة العلمية في النجف الأشرف وتيسير علوم اللغة العربية. د. هادي عبد علي هويدي. بحث.

مجلة كلية الفقه. العدد العاشر. السنة الخامسة. (٢٠١٠م / ١٤٣١هـ). ص: ٣٦-٤٣.

في علوم النحو واللغة والأدب والمعاني والبديع والبيان وغيرها، يمكن التعرف من خلالها على ما بلغته علوم اللغة العربية من شأو بعيد في حوزة النجف الأشرف.

وليس أدل على اهتمام النجف الأشرف وحوزته باللغة العربية - نحوها وصرفها - من كثرة ما ألفه علماء هذه المدينة المقدسة من كتب وتصانيف فيها، فقد أجريت مسحاً لأعداد هذه الكتب لا أدعي كماله فتبين لي أنها بلغت نحواً من (ثلاثمائة وواحد وثمانين) مؤلفاً وكتاباً في علم العربية نحوها وصرفها، وفي كثرة هذا الرقم من الدلالة ما فيه بما لا يحتاج إلى مزيد بيان.



ثانياً

منهج الحوزة الدراسي ولغة التدريس الحوزوية باللغة العربية

اعتاد طالب حوزة النجف الأشرف أن يدرس في مرحلته الأولى من عمره الدراسي علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، مركزاً اهتمامه البالغ على آداب اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة السنّة الشريفة، بل ولغة المصادر الأصيلة لموضوع تخصصه في الشريعة، وخاصة بعدما باتت تشهده لغتنا العربية الجميلة من ضعف كبير وانحطاط مقلق إلى حدّ بات يخشى عليها من ازدياد تأثيرات العجمة على فصاحتها، ناهيك عن ركافة في الأسلوب وضعف في التعبير وأغلاط لا تعد ولا تحصى في النحو والصرف والاشتقاق والعروض والأوزان عند من يفترض فيهم عكس ذلك، فضلاً عن غيرهم.

لقد احتضنت حوزة النجف الأشرف بأدبائها الكثر عمود الشعر العربي بخصائصه الفنية، وجماله الأخاذ ولغته المترفة وصوره المبدعة وحمته من كل محاولات العبث بجماله الأسر.

كما احتضنت اللغة العربية: معجماً لغوياً، ونحواً، وصرفاً، وبلاغة ونقداً من خلال كتبها الدراسية ولغة تدريسها كما أسلفت فقد درجت هذه الحوزة على اعتماد اللغة العربية منهجاً ولغة تدريس منذ أمد بعيد، ولا زالت تعتمد هذا النهج في غالبية دراساتها الدينية.

يقول المجتهد الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه الذي كتبه عن النجف الأشرف

أيام دراسته فيها خلال منتصف القرن الرابع عشر الهجري مؤكداً هذه الحقيقة بما نصه: التدريس في النجف باللغة العربية، ويتقصد الأستاذ الفصحى طاقته، وقد يتنزل عنها طمعاً في الإفهام والتوضيح أو من جهة غلبة العادة.

هذا بالنسبة للدروس العليا وللمدرسين من العرب، أما الإيرانيون والأفغانيون والهنود والتبتيون والنكر وغيرهم فإنهم يلقون الدروس السطحية باللغة العربية، ثم يترجمونها لتلاميذهم بلغاتهم، حتى إذا أتقنوا العربية يصبح الدرس كله باللغة العربية.

أما دروس الخارج فكلها بالعربية، وقد يضطر الأستاذ لغيرها في أثناء الدرس^(١)، كما قد يضطر بعضهم لغيرها في إلقاء بحوثه ومحاضراته اليومية.

واستمرت اللغة العربية لغة التدريس الأم في حوزة النجف الأشرف وهو ما نشاهده اليوم أيضاً حتى تاريخ كتابة هذا البحث.



(١) موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية: ٦/ ٢٣١، نقلاً عن جامعة النجف للشيخ محمد تقي الفقيه.

ثالثاً

تعريب الحوزة لطلابها الوافدين من غير العرب

لقد كان من نتائج احتفاظ حوزة النجف الأشرف بلغتها العربية الفصحى وحرصها الشديد عليها وتأكيدا المستمر عملياً على استعمالها في المنهج الدراسي كتاباً، وفي عملية التدريس لغة، وفي الكتابة العلمية والأدبية أسلوباً، وفي الأخذ والتلقي والمباحثة والنقاش والحوار العلمي أداة للتعبير تعريب المسلمين القادمين إلى تلك الحوزة من قزوين، ويزد، واصفهان، وطهران، وتبريز، وغيلان، ومازندران، ولواسان، وخوانسار، وقم، ولاهيجان، ونائين، وزنجان، وخوي، وإيروان، وشيراز، وطالقان، وآشتيان، وأصفهان، وبعجنورد، وفيروزآباد، ومامقان، وشاهرود، ومالستان، ونراق، وخين، وهمدان، ومشهد، وأردبيل، وبهبهان، وكشمير، ورشت، وگرگان، وخراسان، وخلخال، وبروجرد، وكاشان، وسبزوار، وسيستان، وبلوچستان، وكرمان، ونهاوند، ونيشابور، وآشتيان، وشيروان، ودزفول، وأردكان، وطبس، وبوشهر، جهرم، وكشمير، وگلپايگان، وشيروان، وأراكولرستان، وشيراز، ونور، وآمل، وبعض الدول الأفريقية وتركيا، والصين، والهند، وباكستان، وأفغانستان وروسيا، وغيرها من المدن والدول غير العربية الكثير مما لا يسع المجال لتعدادها، ومثل هؤلاء الطلاب من غير العرب يعودون إلى بلدانهم وهم علماء نحو وصرف وبيان وبديع ونقد وشعر وأدب كما هم علماء فقه وأصول وتفسير ومنطق وفلسفة وعقائد وتاريخ ورجال وحديث وغيرها من العلوم الأخرى.

وبعد سقوط النظام البائد سنة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) تزايد عدد الطلاب القادمين إلى الدراسة في حوزة النجف الأشرف من دول لم يعتد طلابها الدراسة في حوزة النجف الأشرف سابقاً من أمثال الدول العربية التالية: السودان، ومصر، واليمن، وفلسطين، والأردن، والجزائر، وتونس، والمغرب. ومن أمثال دول غير عربية هي: الدانمارك، والنرويج، والسويد، وبريطانيا، وألمانيا، وأمريكا، وهولندا، وأستراليا، وإندونيسيا، ورومانيا، وكندا، وفلندا.

وتثبت إحصائية أخيرة أن عدد طلاب حوزة النجف الأشرف الحاصلين على إقامات رسمية باعتبارهم طلاباً حوزيين، دون غيرهم ممن لم يحصلوا على إقامات بعد، وذلك حتى بداية شهر آذار من عام (٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ) قد بلغ (٧٣١) طالباً حوزوياً عربياً وغير عربي، منهم (١٠٠) طالب حوزوي عربي يتلقون دراساتهم اليوم في المدارس والمساجد والحسينيات وغيرها موزعين على (١٥) دولة عربية هي: المملكة العربية السعودية: (٧٣) طالباً، ومصر: (١٢٣)، ولبنان: (٥٦)، والسودان: (١٤)، واليمن: (٢١)، وفلسطين: (١٠)، وعمان: (٢)، والأردن: (١٣)، والبحرين: (٢٨)، والجزائر: (٢)، والكويت: (٣)، وقطر: (١)، وتونس: (١) والمغرب: (١).

في حين بلغ عدد الدول غير العربية (١٩) دولة هي: إيران: (٦٩٢) طالباً حوزوياً، أفغانستان: (٣٠٣)، باكستان: (٤١١)، الهند: (١٢٢)، الدانمارك: (١)، النرويج: (٢)، السويد: (١٣)، بريطانيا: (١١)، روسيا: (١)، ألمانيا: (٣)، أمريكا: (٧)، هولندا: (١٠)، أستراليا: (٨)، أندونيسيا: (٣)، رومانيا: (١)، كندا: (٦)، بنغلادش: (٤)، فلندا: (٢)، جورجيا: (١).

ومن الملاحظ انخفاض عدد الطلاب الحوزويين القادمين للدراسة في حوزة النجف الأشرف من دول كالمملكة العربية السعودية، ولبنان، والبحرين، والكويت، وإيران، وباكستان، وأفغانستان، والهند، والاتحاد السوفيتي سابقاً، وغيرها.

وما يهمننا في هذا المبحث الحديث عن طلاب دول غير ناطقة باللغة العربية، فغير خفي ما لمثل وجود طلبة حوزويين من جنسيات غير عربية من أهمية في نشر اللغة العربية مستقبلاً في بلدانهم، ذلك إنهم سيعودون في نهاية المطاف لبلدانهم وهم يشعرون بشيء غير قليل من الفخر والزهو لأنهم يعرفون العربية ويقرؤون القرآن ويفهمون كتب التاريخ الإسلامي والعربي بلغتها الأم وقد ينقلون ذلك لأبنائهم في تلك الأصقاع، كما هي حالة غير المتعلمين العرب الآن في الجامعات الأوربية وأمثالها^(١).

بل وجدت من الباحثين من يشير إلى أن النجف نشرت الأدب واللغة العربية في إيران وأفغان والهند والتبت وربما الصين فهي منذ القرن الرابع الهجري منذ أن حل فيها الشيخ الطوسي هي مدرسة المسلمين الشيعة وغير الشيعة للعلوم العربية والفقهية والفلسفية^(٢).

ويعزز الباحث قناعته تلك بما رآه خلال دراسته في النجف الأشرف يوم رأى أحد علماء الهنود وهو السيد علي نقي اللكنوي يدرس جملة من الهنود كتاب الحماسة^(٣) في الشعر العربي للشاعر العربي العباسي الشهير أبي تمام الطائي.

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٢) مذكرات الشيخ موسى شراة. مجلة الموسم. العددان ٤٧-٤٨. هولندا. سنة (٢٠٠١م/١٤٢٢هـ). ص:

٢٥-٢٧.

(٣) المصدر السابق.

ومن أمثال ما شاهده الشيخ شرارة الكثير خلال القرون والعقود السابقة حتى يوم الناس هذا من عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

ومما يجدر ذكره هنا أن أي طالب حوزوي سيشعر بالفخر حتى أمام زملائه الطلبة الآخرين حين يعود لبلده العربي أو غير العربي وهو يحمل شهادة اجتجاده من حوزة النجف الأشرف دون غيرها من الحوزات العلمية الأخرى المنتشرة في العالم شرقه وغربه كما كان شعر أسلافه بذلك، بل إن أي فقيه إيراني حتى المراجع كانوا يشعرون بنقص في مرجعيتهم إن لم يملروا بالنجف دارسين أو مدرسين أو باحثين، وفي الذاكرة أن المؤسس لـ(قم) في دورتها الجديدة في الربع الأول من القرن الماضي والرواد الكبار الذين عايشوه وثبتوا أسس الحوزة في (قم) كانوا جميعاً من المجتهدين من خريجي النجف. وكان من بينهم قادة الحركة الدستورية في عام (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) الذين كان لهم متمم قيادي في النجف فاعل ومؤثر ومن كبار المجتهدين إيراني الأصل وعراقيين، وفي مقدمتهم الملا محمد كاظم الخراساني (الأخوند)، وقبلهم كانت قيادة (حركة التنباك) في إيران بقيادة الشيخ محمد حسن الشيرازي الذي أسس فرعاً للنجف في سامراء التي استقبل فيها المرحوم جمال الدين الأفغاني الذي تأسس في النجف عملياً تحت رعاية المرجع المميز الشيخ مرتضى الأنصاري، وظهرت مواهبه وشجاعته الفكرية مبكراً وأحدثت بلبلة في الحوزة فنصححه الشيخ الأنصاري بالمغادرة^(١).



(١) بين النجف وجبل عامل (١) هاني فحص. الأسبوعية. مؤسسة خندان للبحث والنشر. العدد ١٩٨. ١١- ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١١م / ١٤٣٢هـ. بغداد. العراق. ص: ٢٥.

رابعاً

الحوزويون النجفيون من غير العرب ينظمون الشعر العربي

لقد تجاوز هؤلاء الطلبة الوافدون إلى النجف الأشرف من غير العرب مرحلة تعلم اللغة العربية، إلى نقطة أبعد كثيراً، فقد برع العديد منهم بتدريس نحو العربية وصرفها وبلاغتها وعروضها تدريساً متقناً ملفتاً للنظر، بل نظم العديد منهم الشعر العربي القريض، وأبدعوا فيه أيما إبداع، وهذه ظاهرة تستحق الدراسة والبحث؛ ذلك أنا قرأنا لكثير من هؤلاء الطلبة أشعاراً عربية لا تعوزها الرقة فضلاً عن توافر الصحة اللغوية والعروضية فيها. بل إن كثيراً من المنظومات التي بين أيدينا في النحو والصرف والبديع والبيان حتى علم الكلام كانت من نظم أولئك الوافدين إلى النجف من غير العرب^(١).

ولم يقتصر نظمهم على المنظومات الشعرية التي يعوزها الفن الشعري بالمعنى الخاص، بل انطلقت ألسنتهم وأشرقت قلوبهم وحلّقت أفكارهم في سماء المعارف، بل لقد برز منهم شعراء مجيدون، وكتّاب مقتدرون، ومدرسون بارزون، يتصدرون حلقات الدرس في الصرف، والنحو، وفي العلوم البلاغية والبديعية. وإذا كان الأدب العربي قد شهد في ماضيه السحيق ألسنة غير عربية، صقلها الإسلام وعربّتها العقيدة، وأرعى أعتنها القرآن، فنطقت شاعرة ونائرة، ومعبرة عن عاطفة وفكرة أثرى بها الأدب العربي، فقد شهد الأدب العربي

(١) موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية. سابق: ٦ / ٢٣١: نقلاً عن جامعة النجف للشيخ محمد

في ماضيه القريب المائل قوماً دعاهم الدين فاستجابوا، يغترفون من معينه حتى تصاعد نسغ العربية في عروقهم، وألهب بيانها عواطفهم، وأثرت بلاغتها بتصوراتهم^(١).

وليس غريباً أن تجد من إيراني رجالات حوزة النجف الأشرف وعلمائها من كان ينظم باللغتين العربية والفارسية من أمثال:

١. السيد محمد علي بن صدر الدين بن صالح الموسوي العاملي (ت ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) الذي كانت له منظومة في الميراث، وألفية في النحو، وديوان شعر فارسي.

٢. نظام الدولة علي محمد خان بن أمين الدولة عبد الله خان (ت ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م) وهو أديب كبير وشاعر معروف وعالم ضليع له يد طولى في الفقه والأصول والحديث والرجال والعلوم الأدبية والرياضية فهو تلميذ المرجع الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وغيره من كبار العلماء. ألّف في أكثر الفنون ومؤلفاته تزيد على نيف عشر مجلداً، وله مكتبة تنيف على عشرين ألف كتاب مخطوط ومطبوع في سائر الفنون أفرد لها داراً خاصة في محلة الحويش عرفت بمكتبة (نظام الدولة) وقد اشتملت على نفائس من الكتب المذهّبة والمصححة مما خلت عنه خزائن الملوك. وكان إلى جانب ذلك كله شاعراً ينظم باللغتين العربية والفارسية وله مطارحات مع كبار شعراء عصره العرب^(٢).

(١) المصدر السابق: ٦٣-٦٤.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣/ ٤٩٠ وما بعدها.

٣. الملاً علي الخوئي الذي كان حياً سنة (١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) وهو من أدباء

الفرس على عهد ناصر الدين شاه وشاعر في العربية^(١).

٤. مرتضى قلي خان (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) الذي كان له باع طويل في الأدب

العربي وشهرة وسمعة في المنظوم والمثنو وله مراجعات مع كبار شعراء عصره كالشاعر عبد الباقي العمري والشاعر الشيخ جابر الكاظمي، وتجد

في دواوينها مدحاً كثيراً له يوقفك على محله من الفضل والأدب، له شعر

كثير باللغتين العربية والفارسية وله اطلاع واسع على اللغة العربية وفنونها

ومما يشير إلى تضلعه في علوم اللغة العربية كتابته تنمة لمعجم (طراز اللغة)

للسيد علي خان وهو من أكبر معاجم اللغة العربية حجماً، وكان للمترجم له

مع ذلك كله إلمام بالعلوم الشرعية فقد تتلمذ على كبار فقهاء عصره كالشيخ

محسن خنفر وغيره كما كتب العديد من الكتب باللغتين العربية والفارسية^(٢).

بل وجدنا بين هؤلاء الأدباء الفرس من تميز بجودة شعره العربي ونثره الرائق.

٥. الميرزا عبد الصمد بن محمد باقر الخامنئي التبريزي (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٣م)

وهو عالم جليل ووفقيه بارع وشاعر جيد له شعر عربي رائق قدم له سماحة

الشيخ سلمان الخاقاني مقدمة قال فيها: إن الشاعر الخامنئي التبريزي سكن

النجف الأشرف حقبة غير قصيرة نظم فيها بعض قصائده، ثم عاد إلى وطنه

تبريز الذي كان نائماً عليها، كما يظهر من بعض أشعاره. ولعلاقته بالنجف

الأشرف وأترابه من أدبائها فيها كان يتشوق لها فيقول:

(١) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٤٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٤٩٩ وما بعدها.

يا سيداً فاق أرباب النهى شرفاً و ساد أهل المعالي الغر والشرفا
لم أنس عهدك بالوادي المقدس يا لهفي على العهد والوادي وما سلفا
قد فاض جفناي حتى جف دمعها بعد النوى عن صحيب أسكنوا النجفا^(١)
وقد وصفه معاصره المؤرخ محمد حسن اعتماد السلطنة بكونه: أستاذ الأدب،
وحجة لغة العرب، وهو ينظم الشعر بطبع مستقيم، وقرينة صافية^(٢).

٦. السيد أبو الحسن بن محمد الرضوي الملقب بـ(المقدس) (ت ١٣١١هـ /
١٨٩٣م) الفقيه الأصولي الشاعر الزاهد الذي عارض قصيدة ابن سينا
الشهيرة التي مطلعها: هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
له ديوان شعر^(٣).

٧. الشيخ عبد الرحيم بن محمد علي الأصفهاني (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) تلميذ
المرجعين المعروفين الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري صاحب موسوعة
(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) والشيخ مرتضى الأنصاري
صاحب كتابي (المكاسب وفرائد الأصول) وللشيخ عبد الرحيم الأصفهاني
ديوان شعر عربي^(٤).

٨. الشيخ بهاء الدين محمد بن نظام الدولة علي محمد خان الأصفهاني الطهراني

(١) الأدب النجفي في القرن الثاني عشر الهجري. الشيخ سلمان الخاقاني. مجلة آفاق نجفية. العدد الثامن لسنة
٢٠٠٧ م. النجف الأشرف. العراق. ص: ١٨٣.

(٢) المآثر والآثار المؤلف سنة (١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ م). لاعتماد السلطنة: ١ / ٢٩٧. نقلاً عن تذكرة الأعيان.
الشيخ جعفر السبحاني: ١ / ٣٩٩.

(٣) ينظر: الفصل في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن الحكيم: ١٣ / ١٧-١٨.

(٤) المصدر السابق: ١٣ / ٣٤.

(ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) الملقب بصدر الشريعة الذي احتضنته تربة النجف الأشرف مولوداً ويافعاً وربته حوزتها بمعاهدها ومدارسها طالباً وأستاذاً ومؤلفاً، نظم الشعر فأجاده باللغتين العربية والفارسية^(١).

٩. أبو الفضل بن أبي القاسم المعروف بـ(كلانتر) (ت ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) الذي وصفه الناقد الشاعر الشيخ محمد السماوي^(٢) بكونه أديباً شاعراً، له ديوان شعر كبير، وكان على عجمته عربي النظم حسن الأسلوب، بل وعده في (الطليعة من شعراء الشيعة).

١٠. السيد مهدي البلادي البوشهري النجفي (ت ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) العالم الفقيه الشاعر، الملقب بـ(علم الهدى) الذي ترجمه صاحب شعراء الغري^(٣) بقوله: كان فاضلاً عالماً كاملاً، أديباً لييباً شاعراً رجعت إليه الأمور الشرعية بعد وفاة أبيه المرجع، نظم الشعر العربي وأبدع فيه وله في ذلك ديوان شعر، وله أيضاً منظومة في رثاء سيد الشهداء عليه السلام ومنظومة في باب الطهارة من أبواب الفقه.

١١. السيد مهدي كلستانة (ت ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م) الذي وصفه المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(٤) بكونه: عالماً جليلاً محققاً وأديباً لامعاً، ينظم الشعر الفارسي الجيد ويحفظ كثيراً من الشعر العربي الجاهلي والمخضرمي.

١٢. الشيخ فضل الله بن عباس النوري، ولد سنة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)،

(١) المصدر السابق: ١٣/ ١٢٤.

(٢) الطليعة من شعراء الشيعة: ١٥٢/ ١- ١٥٣.

(٣) ينظر: علي الخاقاني: ١٢/ ١٦١.

(٤) معارف الرجال. سابق: ٣/ ١٣٥.

هاجر إلى النجف شاباً وأقام فيها كهلاً، وجدّ في تحصيله العلوم، ونال منها ما أراد، وكان أديباً شاعراً يروي له شعر عربي وفارسي، وصار المبرز من علماء طهران المنكرين على المعتدين والجاثرين من رجال السلطة الحاكمة، ونتيجة لمواقفه الصلبة فقد حكم عليه بالشنق ونفذ به الحكم صابراً محتسباً سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)^(١).

١٣. الميرزا باقر ابن الميرزا خليل بن علي الخليلي النجفي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) وكان عالماً فاضلاً كاتباً أديباً شاعراً ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية^(٢).

١٤. الباقر بن أسد الله بن الباقر بن التقي الحسيني الأصفهاني المعروف بـ(الأقا) (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) الذي كان أديباً ذكياً شاعراً، نشأ بالنجف ونال بها العلم والفضل، وكانت له مع أدبائها مطارحات، ومدحه شعراؤها بما هو مذكور في دواوينهم^(٣) مدحاً أشادوا فيه بذائقة الفنية العربية، ومتانة ورقة وحسن سبك شعره العربي، وقد جمع شعره العربي في ديوان. وقد كان استشهد بروعة شعره العربي العالم الشاعر الناقد الشيخ سلمان الخاقاني في معرض حديثه عن شعراء إيرانيين تعربوا وتأدبوا بالأدب العربي شعره ونثره، فأبدعوا في نسج النثر الفني كما أجادوا نظم الشعر العربي الجميل، فقال: هناك بعض الرجال الإيرانيين الذين سكنوا النجف جازوا في شاعريتهم كبار شعراء النجف الذين هم الطليعة في شعراء البلاد العربية، أمثال المرحوم الشيخ أغا رضا الأصفهاني صاحب كتاب (رد فلسفة دارون)، وهو شاعر أدركنا عصره،

(١) المصدر السابق: ٢ / ١٥٨.

(٢) ينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ٣ / ١٧٥.

(٣) الطليعة من شعراء الشيعة. سابق: ١ / ١٥٩-١٦١.

اشترك في كثير من المحافل الأدبية النجفية، وجاراهم في النظم، ولم يتخلف عنهم في الحوار، بل بزّ كثيراً منهم في الارتجال والمسابقة الشعرية، وهو صاحب القصيدة التي جاراها أكثر من عشرة شعراء نجفيين أمثال الشيخ محمد رضا الشيبسي، والشيخ محمد السماوي وأمثالهم، وهي القصيدة التي يقول في أولها:

قلبي في شرعه تنصّر شوقاً إلى خصره المزنر
كنيسة تلك أم كناس وغلمة أم قطيع جؤذر

وقد وجدت في بعض المجاميع النجفية هذه القصيدة مع القصائد المعارضة كما وجدت فيها بعض القصائد التي غيّرت قافيتها فحسب فقال بعضهم:

قلبي في شرع الغرام أسلم

وقال آخر:

قلبي من شرع الهوى تهود

وهذا نوع من الأدب النجفي في مجالسه الخاصة، ومن مثله أمثال ذهب بعضها ضحية التراب والديدان والأرضة التي لا ترحم^(١).

١٥. المصطفى بن الحسين الحسيني الكاشاني الطهراني النجفي (ت ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م) الذي وصفه الناقد الشيخ محمد السماوي كذلك بكونه فاضل العصر علماً، وبحره فضلاً، وطوده حلماً، وأدبيه باللسانين نشرّاً ونظماً. له ديوانا شعر، ديوان بالفارسية وديوان بالعربية^(٢). ووصفه المجتهد المؤرخ

(١) الأدب النجفي في القرن الثاني عشر الهجري. سابق: ١٨٤-١٨٥.

(٢) الطليعة من شعراء الشيعة: ٢/ ٣٢٢-٣٢٥. وينظر: تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١/ ١٤١-١٤٣.

الشيخ محمد حرز الدين بأنه كان شاعراً أديباً نظم الشعر العربي الجيد والفارسي، ذاكراً نماذج من شعره العربي في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^(١).

١٦. السيد محمد بن فضل الله بن خداداد الموسوي الطبرستاني الساروي (ت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) وهو من مشاهير العلم والأدب في عصره، كان له ديوان شعر بالعربية مخطوط.

١٧. الشيخ أغا رضا بن محمد حسين بن باقر الأصفهاني -المتقدم ذكره- (ت ١٣٦٢هـ / ١٩٤٤م)، وهو عالم كبير وأديب شهير، وشاعر معروف باللسانين العربي والفارسي.

١٨. الشيخ الميرزا مهدي بن حبيب بن أقا بزرك الشيرازي (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) عالم مجتهد مجاهد، وشاعر يحمل ذوقاً عربياً وأدباً جمّاً، ينظم الشعر العربي والفارسي.

١٩. المرجع السيد عبد الهادي الشيرازي (ت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) وهو زعيم ديني كبير، ومرجع عام للفتيا والرأي، وأديب شاعر، له شعر رائق باللسانين العربي والفارسي^(٢) وقد تقدم ذكره سابقاً.

يقول معاصره المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(٣) وكان قوي الحافظة أديباً شاعراً ينظم الشعر العربي الجيد والفارسي، وربما أسمعنا بعض نظمه. وكان يحفظ من الشعر الجاهلي كثيراً، وقد يستشهد به في مجالسه الأدبية التي ضمناها وإياه

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ١٤ / ٣.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٤١-١٤٣.

(٣) المصدر السابق: ١ / ١٤١-١٤٣.

في النجف الأشرف^(١). وكان ينظم العمودي والموشح. ومن موشحاته قصيدة في سبعة عشر دوراً نظمها في ذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام جاء فيها:

يا لها بشرى بها الغم مضى كست الدهر بعيش نضر
أيها الساقى أدر كأس المدام
واسقنيها فهي برد وسلام
وأئل منها الملا جاماً فجام
ودع الزاهد عنها معرضاً لم يذق لذة ماء الكوثر^(٢)

ومن جميل ما عثرت عليه أن المرجع والشاعر والأديب الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء المتقدم ذكره قد مدح السيد مصطفى بن ميرزا حسن الشهير بـ(المجتهد) ابن ميرزا باقر التبريزي (ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م) - وهو عالم جليل وشاعر مطبوع ممن نظم بالأدبين، وأجاد النظم في اللغتين، وأكثر الشعر فيهما - وأشاد بشاعريته الفذة في مقطوعة منها:

تركت سيوف الهند دونك في الفتك على العرب العربا وأنت من الترك
تبرزت من (تبريز) رب فصاحة بها مديناً قد حسبناك أو مكي
فكم لك من نظم ونثر تزينت بنفسهما المسكي كافورة المسك
سكبت مياه الحسن في حسن سبكها فيا لأبيك الخير من حسن السبك^(٣)

(١) معارف الرجال. سابق: ٧٩ / ٢.

(٢) المصدر السابق: هامش صفحة: ٧٩ / ٢ - ٨٠.

(٣) تاريخ النجف الأشرف: ١ / ١٤١ - ١٤٣.

٢٠. المرجع السيد ميرزا مهدي الشيرازي (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) الذي كان يحمل ذوقاً عربياً وأدباً جمّاً كما تقدم، ينظم الشعر العربي والفارسي، له قصيدة عربية طويلة في (١٩٢) بيتاً في استنهاض الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام مطلعها:

أرى وجد قلبي مستنير الجوانب وفيض دموعي مستهل الذوائب
وفي الصدر من نار الفراق شرارة يفور لظاها في زوايا الترائب
أغارث على صبري وأفنت تجلدي وأهدت إليّ الكرب من كل جانب
وله غيرها لا يسع المجال لذكرها^(١).

٢١. السيد عبد الله ابن السيد محسن المدرّس (ت ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) تلميذ المراجع العظام الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ(الأخوند) والسيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني وغيرهم وقد لقب المترجم له بـ(ثقة الإسلام)، وكان إلى جانب ذلك شاعراً له ديوان شعر باللغة العربية^(٢).

٢٢. الشيخ مجتبی ابن الشيخ حسن اللنكراني (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) الذي ولد ونشأ في النجف الأشرف، وواصل دراسته العليا في حوزتها العلمية العريقة حتى أصبح عالماً فاضلاً مجتهداً وأستاذاً في الحوزة العلمية وشاعراً وأديباً أيضاً، له ديوان شعر باللغة العربية^(٣).

(١) ينظر: معارف الرجال: ٣/ ١٦٦ - ١٧٠. وهوامشها.

(٢) ينظر: لوحة الصلابة في المبدأ. الشيخ علي الشرقي. بحث. مجلة الاعتدال. العدد السابع. السنة الثالثة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٣/ ١٧٣ - ١٧٤.

وهناك غير هؤلاء الحوزويين من الفرس الذين أجادوا النظم والنثر العربيين إجادة مشهودة لا يسع المجال لاستقصائهم هؤلاء في هذا البحث^(١) عسى أن يحظى هؤلاء العلماء الشعراء الذين أبدعوا شعراً بغير لغتهم الأم بدراسة مستوعبة مستقصية وغيرهم^(٢).

هذا ولم يقتصر النظم بأكثر من لغة على العرب والفرس من الحوزويين، بل هناك من طلاب وأساتذة حوزة النجف الأشرف من غير العرب قد نظم باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، فأبدع فيها من أمثال الميرزا أبي القاسم بن محمد تقي الأوردبادي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، والشيخ عبد الغني البادكوي العالم والأديب والشاعر فقد نظم شعراً باللغات الثلاث (العربية والفارسية والتركية)^(٣).

وهناك من الحوزويين العرب من نظم الشعر العربي والفارسي فأجاد في الشعر الفارسي أكثر من إجادته في الشعر العربي رغم أنه من شعراء الطبقة الأولى في الشعر العربي من قبيل الشاعر الشيخ جابر ابن الشيخ عبد الحسين ابن عبد الحميد بن الجواد البلدي الكاظمي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م) الشاعر الألمعي المعروف بقوة شعره بحيث يعد من شعراء الطبقة الأولى في شبابه، يقول الشيخ محمد حرز الدين "جلست معه عدة جلسات وأنشدنا بعض شعره العربي والفارسي، وصار له ولع في نظم الشعر الفارسي وأجاد فيه تمام الإجادة، وضعف نظمه العربي بحيث إذا نظم في العربي قصيدة لا تخلو من ركة وابتذال، وطال باعه

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: بأجزائه الثلاثة، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف. سابق بأجزائه الثلاثة، وشعراء الغري بأجزائه العديدة، والمفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: الجزء الثالث عشر، وغيرها.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٤١.

(٣) ينظر: المفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٣ / ٢٩٠.

في الشعر الفارسي وبعد غوره حتى صار فيه فارساً وفي العربي راجلاً، ويمكننا أن نقول إن بعض قصائده الفارسية التي سمعناها منه لا ينظم مثلها الفردوسي الشيرازي صاحب (الشاه نامه) على تقدمه في فنون الشعر ويعرف ما نقوله من أحاط بنظمه الفارسي وحكم بالعدل بينهما له (مجموع أدبي فارسي وعربي)^(١).

بل هناك من الحوزويين العرب من ينظم باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية ارتجالاً من أمثال الشاعر الأديب الشيخ طاهر الدجيلي (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) يقول السيد محسن الأمين^(٢) مترجماً للشيخ طاهر الدجيلي: ومن عجب أمره أنه كان يرقى المنبر فيلقي قصيدة بالعربية أو الفارسية أو التركية على البديهة والفور من دون سبق روية، ولا إعمال رؤية. له شعر كثير.

وهناك من الحوزويين غير من تقدم ممن ينظمون الشعر بأكثر من لغة لا يسع المجال لذكرهم في هذا المجال^(٣).

ومثلما كان هناك من الحوزويين الفرس من تعرّب فنظم الشعر العربي الجميل، ومن الترك من تعرّب فنظم الشعر العربي الرائق، كان هناك من الهنود من تعرّب فنظم الشعر العربي البديع من أمثال السيد علي نقي بن أبي الحسن النقوي اللكهنوي الذي عارض قصيدة الطلاس للشاعر إيليا أبي ماضي بقصيدة رائعة.

والسيد باقر ابن السيد محمد النقوي الهندي (ت ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م)

(١) معارف الرجال. سابق: ١/ ١٤٨.

(٢) أعيان الشيعة. سابق: ١١/ ٤٢٩.

(٣) ينظر: شعراء الغري. سابق بأجزائه المتعددة، ومعارف الرجال. سابق بأجزائه الثلاثة، وماضي النجف وحاضرها. سابق. بأجزائه الستة بما فيها الأجزاء الخطية الماثلة للطبع قريباً إن شاء الله ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف. سابق بأجزائه الثلاثة، والذريعة إلى تصانيف الشيعة. سابق بأجزائه المتعددة وغيرها.

العالم والشاعر والأديب^(١).

والشيخ طيب علي ابن الشيخ محمد ساهي الصورتى (ت بعد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م)، وكان عالماً فاضلاً كاملاً أديباً شاعراً له قصيدة أرسلها إلى أستاذه الشيخ محمد حرز الدين بعد عودته من النجف الأشرف إلى بلده سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، وأثبت بعضها الشيخ حرز الدين في كتابه (معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء)^(٢).

ومنهم السيد محمد باقر ابن السيد أبو الحسن الرضوي الكشميري (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م) تلميذ المراجع العظام الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ حسن المامقاني والشيخ حسين الخليلي وكان إلى جانب علمه شاعراً باللغة العربية^(٣).

ومنهم السيد ناصر حسين ابن السيد حامد حسين اللكهنوي (ت ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) الذي تتلمذ في حوزة النجف الأشرف ثم رجع إلى بلده ليتولى الزعامة الدينية فيها وكان إلى جانب ذلك شاعراً له ديوان شعر^(٤).

ومنهم السيد محمد بن مرتضى الكشميري (ت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) العالم والأديب والشاعر والمؤرخ وصاحب ديوان (حصى النجف)^(٥)، وهناك غيرهم لا يسع المجال لاستقصائهم^(٦).

(١) ينظر: الفصل في تاريخ النجف. سابق: ١٣/ ٣٦٣.

(٢) ينظر: معارف الرجال. سابق: ١/ ٣٨٩.

(٣) ينظر: الفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٣/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١٣/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٣/ ٣٧٢.

(٦) ينظر: نفسه: ١٣/ ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٨١. وغيره من المصادر الأخرى.

وكان هناك من الباكستانيين الذين سكنوا النجف فهضمتهم معدتها حتى أصبحوا نجفيين ينظمون الشعر الجميل الذي لا عجمة فيه ولا شيء يدل على أن شاعره غير عربي^(١).

وكما أبدع الفرس والهنود والباكستانيون فإنك لن تعدم من الأفغانيين من نشأ في حوزة النجف الأشرف وتلقّى علومه فيها وتعلّم لغتها العربية الأصيلة بل أدها العربي الثري فنظم فيه شعراً جيداً، فهذا المجتهد المحقق الشيخ محمد آصف المحسن تلميذ المرجعين الشهيرين السيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وصاحب الكتب الفقهية والأصولية العديدة كان إلى جانب فقهه وجهاده يتكلم العربية ويكتب بها، وقد التقيت به بعد فترة جهاد مريرة قضاها في جبهات القتال بأفغانستان فوجدته صلب الإيمان قوي الشكيمة لا يترك التأليف فترة الجهاد حتى وهو تحت القصف والنار، وكان هذا المجتهد المجاهد شاعراً ينظم الشعر العربي فيجيد نظمه، بل له ديوان شعر عربي مجموع.

ومن الطريف أكثر أن هناك من رجالات حوزة النجف الأشرف الشعراء من أمثال الشيخ طاهر بن عبد الله الدجيلي (ت ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م) كان ينظم قصيدة واحدة بلغات عديدة كالعربية والفارسية والهندية والتركية وغيرها^(٢).

وهناك أيضاً الشيخ علي بن حسين اليزدي (ت ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م)، الذي كان ينظم الشعر باللغات التالية: العربية والفارسية والتركية والكوردية واللورية، وله في بعضها دواوين شعر كاملة^(٣).

(١) الأدب النجفي في القرن الثاني عشر الهجري. سابق: ١٨٤.

(٢) تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١ / ١٤٣.

(٣) ينظر: الفصل في تاريخ النجف الأشرف. سابق: ١٠ / ١١-١٠.

لقد أغنى هذا المشهد الحضاري الأدبي في النجف الأشرف ذاك التنوع الثقافي البديع من الطلاب الوافدين إليها من شتى بقاع العالم للدراسة والتحصيل، حاملين معهم عمقهم الفكري، وأسلوبهم التحليلي، وتراثهم، وآدابهم، وتاريخهم، وحضاراتهم، وجماليات لغتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم. حيث تلاقت كل تلك الأساليب، والحضارات، والأفكار في النجف الأشرف، فأوجدت حركة فكرية ذات خصائص متميزة، مزجت بين القديم والجديد، والتراث والمعاصرة، والثابت والمتحول، في اجتهاد مفتوح، ومنفتح على العالم وحضاراته وطرائق تحليله ومنهجه.



خامساً

الطلاب العائدون من حوزة النجف الأشرف يسعون لإعادة إنتاج ما يشبه حوزة النجف في بلدانهم

ولم تكتف حوزة النجف الأشرف ومدرستها اللغوية بذلك، بل نهدت إلى خدمة اللغة العربية وإثراء فقهها ونحوها ولغتها بأن أعادت إنتاج نظام حوزتها المهتم جداً باللغة العربية وعلومها في بلدان أخرى من خلال مبعوثيها وطلابها فأنتجت عدة مدارس أعانت على خدمة الذهن واللغة.

فمن هذه المدارس وما نشرت تلمس حركة فكرية قوية تسير بخفاء وظهور، وسرعة وبطء، في المشاهد والممالك.

وبكلمة جامعة أقولها جازماً عن سير وطواف: إن ما جاءت به الحيرة والمربد والكوفة والبصرة وبغداد والنجف من آداب اللغة، وما وضعته أو نقلته أو اصطلحت عليه للعلم بسائر أنواعه، والفن بسائر أقسامه، مما اشتملت عليه أمهات الكتب وألوف المصنفات التي هي الأب والأم للبحث والتأليف، هذه الثروة العراقية لم يأت بمثلها قطر من الأقطار العربية في يومنا هذا^(١) رغم تطور العلوم وتبادل الخبرات بين بعض هذه الخبرات والعلوم وبعضها الآخر من جهة، وبينها وبين المدارس اللغوية الأخرى في أنحاء المعمورة بعد انفتاحها عليها من جهة أخرى.

وإذا ما علمنا أن اللغة العربية لم تلقَ من الإعراض والإهمال في تاريخها

(١) الأحلام. مصدر سابق.

الطويل ما لاقته من القرون المتأخرة قبل (ما أطلق عليه) عصر النهضة عرفنا بعض ما أسدته الحوزة العلمية في النجف إلى لغة القرآن الكريم^(١) وآداب اللغة العربية وخاصة الشعر العربي من فضل.



(١) موسوعة النجف الأشرف: ٩٦ / ٦ نقلاً عن مبحث نشوء الحوزة العلمية من كتاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف. لعلي البهادلي.

سادساً

حوزة النجف الأشرف تنشر العلوم باللغة العربية في مدن العراق عامة

ولم تكتف الحوزة العلمية النجفية بدورها في الحفاظ على بقاء اللغة العربية وديمومتها ونقاؤها وصونها من محاولات الإلغاء والتهميش والتحريف والتغريب فقط، بل تعدت ذلك إلى تحمل مسؤولية نشر العلوم في العراق وبث المعارف وتوعية العراقيين بضرورة وأهمية التعلم وتهيأة الوسائل الكفيلة بتحمل ذلك كله بما لا يقاس بما كانت تقوم به وتحمله الدولة وأجهزتها التنفيذية بمدارسها ومعاهدها ومؤسساتها وخاصة في العقود الأولى من القرن الماضي المدارس الرشيدية (التي تعادل الدراسة المتوسطة اليوم) لم تكن لتضم أكثر من (٣٦٠) ثلاثمائة وستين طالباً في جميع أنحاء العراق موزعين على عشر مدارس، في حين أن الحوزة العلمية في النجف وحدها في ذلك العصر كانت تضم ما يقارب عشرة آلاف طالب والفرق بين الرقمين فرق كبير، بل ويستوقف الباحث حتماً.

إذا وضعنا كل تلك الحقائق نصب أعيننا، أدركنا جلياً أهمية الحوزة العلمية في رفع المستوى الفكري والعلمي والحضاري للأمة في عصور التجهيل، وأدركنا كم للحوزة من دور فاعل في الحفاظ على التراث العلمي للأمة الإسلامية^(١)، وتنشيط البحث العلمي وإيقاد جذوته يوم أن باتت - كما يقول علامة النحو المخزومي -

(١) المصدر السابق: ٩٦/٦ نقلاً عن مبحث نشوء الحوزة العلمية من كتاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

قبلة الرواد من أهل العلم، يؤمها منهم مئات، ويتركها بعد أن يتزودوا منها مئات. وكانت النجف إلى عهد قريب - كنت شاهدته ووقفت على آخرياته - غاصة مجالسها بالبحث والجدل والمناقشة، ملأى جوامعها بحلقات التدريس في فروع الثقافات المختلفة من نحو وصرف وبلاغة، ومن منطق وكلام وفلسفة، ومن فقه وأصول فقه، ومن هياة - وهي الجغرافية الفلكية القديمة - وحساب وجبر ناهيك عما يزين محافلها من شعر وأدب. كانت النجف كذلك إلى عهد قريب، وكانت النجف إذ ذاك مكهربة الجو علماً وأدباً، لا يدخل إليها داخل حتى يصبح وكله رغبة في طلب العلم وتحصيله^(١).

ولو قدر للدكتور المخزومي أن يشهد معاهدها ومساجدها ومدارسها اليوم لقرّت عينه بما رأت، فقد بدأت النجف تعود لسابق عهدها مجدداً وإن تدريجياً.



(١) النجف والرأي العام. د. مهدي المخزومي. سابق: ٤١١.

سابعاً

العثمانيون ومحاولاتهم الحثيثة لتتريك العراقيين وتحويل لغتهم العربية إلى التركية

لقد حرص العثمانيون خلال فترة حكمهم للعراق وخاصة الأخيرة منها على إشاعة اللغة التركية بدل اللغة العربية، وخططوا لأن تحل محلها في المستقبل^(١)، وعزموا أن يجعلوا من العراق رقعة تركية بكل معنى الكلمة. فعمدوا من جملة ما عمدوا إليه إلى اعتبار اللغة التركية اللغة الرسمية في المعاملات كافة، وفي دوائر الدولة المختلفة وسجلاتها الرسمية ووثائقها، كما عمدوا إلى (تتريك التعليم) في جميع المراحل الدراسية، فغمطوا بذلك حقاً من حقوق العراقيين الأصيلة من خلال غمطهم حقوق (العربية) في المدارس الأميرية وفي جميع الدوائر الرسمية^(٢).

وتؤكد المس بيل هذه الحقيقة في تقريرها المهم عن الوضع العام في العراق بين سنتي (١٣٣٢ و ١٣٣٨ هـ / ١٩١٤ و ١٩٢٠ م)، ذلك التقرير الذي قدّم لشموله واستيعابه بأمر من صاحب الجلالة البريطانية إلى مجلسي البرلمان البريطاني برقم (سي أيم دي ١٠٦١) سنة (١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) بقولها: كان التعليم كله يتم على عهد الحكومة العثمانية باللغة التركية^(٣).

ولم يكتفِ الأتراك بذلك، بل زادوا عليه يوم عمدوا إلى جعل اللغة العربية في العراق تدرّس باللغة التركية يدرسه أحد المعلمين الأتراك وهكذا بقية

(١) لمزيد من التفاصيل عن محاولات التتريك ينظر: تاريخ التعليم في العهد العثماني. عبد الرزاق الهلالي: ٢٣٥.

(٢) تاريخ القضية العراقية. محمد مهدي البصير. طبعة لندن. سنة (١٩٩٠ م / ١٤١٠ هـ): ص ١٧.

(٣) ينظر: فصول من تأريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الخياط: ٣١٤.

الدروس الأخرى^(١) وبالكتب المدرسية العثمانية التي تستعمل في مدارس استانبول^(٢).

كما كانت جميع الأناشيد التي ينشدها الطلاب في المدارس أناشيد تركية^(٣) تمجد السلطان العثماني^(٤).

وإذ كان العراق يومها مفتقراً إلى معلمين مختصين يحسنون فنون التدريس باللغة التركية، فقد استعين بادی الأمر بمن يحسن اللغة التركية من رجال الدين. ونظراً لعدم وجود دار للمعلمين لإعداد ما تحتاج إليه الولايات من معلمين، فقد أخذت نظارة المعارف ترسل بالمعلمين الأتراك إلى بغداد والموصل والبصرة للتعليم في مدارسها ومع هذا فقد كانت قابليات هؤلاء العلمية محدودة فضلاً عن كونهم لا يحسنون غير اللغة التركية^(٥).

هذا ما يتعلق بالمعلمين أما معلمات مدارس الإناث الرسمية فكان عددهن محدوداً، وأكثرهن من المعلمات التركيات اللواتي كن يأتين رأساً من استانبول للتدريس في مدارس العراق، أو من عوائل الضباط أو كبار الموظفين الأتراك

(١) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني. عبد الرزاق الهلالي: ١٥٥. وينظر: فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الحياض: ٣١٤.

(٢) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني. عبد الرزاق الهلالي ط ١. شركة الطبع والنشر الأهلية. بغداد. العراق (١٩٥٩ م / ١٣٧٨ هـ): ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق: ٢٤١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، وفيه نصاً النشيد باللغة التركية الذي ينشد كل خميس ولا يفهم غالبية الطلاب معناه، وهتاف بها أيضاً الذي تسمعه أذن الطالب المبتدئ من دون أن يعي معناه كذلك وهو يدخل المدرسة لأول مرة: ٢٤١.

(٥) المصدر السابق نفسه: ٢٣٣.

الذين كانوا يعملون في دار الولاية^(١).

وحين تشدد الطورانيون في ساسة (التتريك) وسعوا جهدهم لتثبيت هوية العثمينة القوية^(٢) بات تدريس المواد الدراسية باللغة العربية في البلدان العربية ومنها العراق من المطالب التي كان الوطنيون يطالبون بها، وكانت من شعاراتهم قبل النهضة. فقد أراد أحدهم أن يفتح مدرسة في البصرة باسم (تذكار الحرية) بشرط أن تكون لغة التدريس فيها اللغة العربية إلا أن الوالي قال له: إن اسمها ولغة الدراسة فيها يتعارضان مع القوانين، وبعد لأيّ وجهد فتحت المدرسة، ثم لم تمر على فتحها سنة إلا وأبدل الأتراك اسمها باسم (الاتحاد والترقي)، ولكن الطلاب أبوا الالتحاق بها احتجاجاً على هذا العمل، فاضطرت (جمعية الاتحاد والترقي) إلى غلقها^(٣).

وحين احتلت بريطانيا العراق سعت -من بين ما سعت إليه ونفذته- إلى الاستجابة لرغبات الوطنيين العراقيين بإعادة لغتهم العربية إلى دوائهم الرسمية وسجلاتها ومخاطباتها، بعد أن تركها العثمانيون مكتوبة كلها باللغة التركية^(٤).

كما سعى المحتلون الجدد إلى إزالة اللغة التركية الدخيلة من مناهج التعليم العراقية في المدارس الأولية والجامعية على السواء، لا لسواد عيون لغة العراقيين

(١) المصدر السابق نفسه: ٢٣٤.

(٢) كربلاء في الإرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦ م). ديلك قايا: ٣٥٧.

(٣) حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري. سابق: ٥٤٣ نقلاً عن محاضرات في الشعر العراقي الحديث. عبد الكريم الدجيلي: ١٢. وينظر: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني. عبد الرزاق الهلالي: ١٥٥.

(٤) ينظر: نشأة العراق الحديث. هنري فوستر. ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي: ٣٣٦/٢.

طبعاً، وإنما لغرض في نفس يعقوب، وبذلك أصبح التعليم في المدارس الابتدائية سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) باللغة العربية على الأعم الأغلب^(١)، كما أصبحت لغة التدريس في مدرسة الحقوق القديمة في بغداد -وهي المدرسة المعدة لتخريج وتدريب الموظفين المحليين- بعد إعادة افتتاحها في تشرين الثاني من سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، باللغة العربية بدل اللغة التركية^(٢) وبذلك يقول هنري فوستر متحدثاً عن سنة (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م): أصبحت اللغة العربية الآن بدلاً من التركية هي واسطة التعليم^(٣) الرسمي العام في المدارس العراقية.

كما تقول المس بيل في تقريرها المشار إليه أعلاه: كان تعليم المسلمين في العراق هو التعليم الذي كان يريده الأتراك لهم في الدرجة الأولى، ونظراً لما كان يبدو من السياسة الموضوعية في هذا الشأن كان يقصد بالتعليم (عثماني) العرب أو صبغهم بالصبغة العثمانية^(٤).

ويؤكد الباحث فوستر هذه الحقيقة وهكذا كانت المظاهر الدينية واللغوية للتعليم الحديث في العراق تتناقض بصفة بارزة مع المنهاج السابق المبسط لـ(العثماني)، وذلك عن طريق وسائل التعليم التي كانت سنية في مذهبها، وتركية في لغتها^(٥) كونها تستهدف بتعمد نشر النفوذ التركي بين الطلاب،

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٣٥٥ / ٢.

(٢) نفسه: ٣٥٢ / ٢.

(٣) نفسه: ٣٣٧ / ٢.

(٤) فصول من تأريخ العراق القريب. المس بيل. ترجمة جعفر الخياط: ٣٣.

(٥) نفسه: ٣٥٦ / ٢. ويشير فوستر إلى استجابة المحتلين الجدد لمطالب السكان المحليين فيما يتعلق بالمنهاج الدينية، ففي المدارس المنتشرة في المناطق السنية كان المنهاج الديني السني هو المنهاج المعمول به في تلك المناطق، أما حين تكون المدارس كلها من الشيعة، كما هو الأمر في كربلاء والنجف، يسمح بتطبيق المنهج =

ولأن ما يدرس من شؤون الدين كان سنياً، ولم يتسجل فيها إلا الطلاب السنة^(١).

وباختصار فعندما أصبح زمام السلطة أيام العثمانيين بيد (جمعية الاتحاد والترقي) التي شكلها رجال (تركيا الفتاة) في سالونيك بقصد القضاء على استبداد السلطان العثماني عمل قادتها على ترويج المصلحة التركية على حساب إخوانهم العثمانيين، ولذلك راحوا يحكمون على أساس السيادة العنصرية للجنس التركي، وفضلاً عن ذلك فإنهم تشددوا بالأخذ في مبدأ الحكم المركزي، وعلى الرغم من مساوئ هذه السياسة فإن رجال هذه الجمعية الأتراك لم يبالوا بالعواقب الوخيمة المرتقبة من هذه النعرة التي أثاروها، إنما اتبعوا في سبيلها خطة رعناء لتتريك جميع الشعوب التي تتكون منها المملكة العثمانية، وركزوا جهودهم في هذا المجال بالدرجة الأولى على العنصر العربي فلم يكتفوا باستعمال الصحافة والمنظمات السياسية لتحقيق أغراضهم، بل اتخذوا الدين وسيلة لتحقيقها، فقد أوعزوا إلى أحد علماء الدين المدعو (عبيد الله) بالدعوة للمذهب الجديد^(٢) من خلال خطبه في أكبر الجوامع في تركيا وهو (جامع أيا صوفيا).



= الشيعي كيما يتجاوب مع مطالب الشيعة. (نشأة العراق الحديث: ٢/ ٣٥٤)، وينظر: تقرير المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب: ٣١١).

(١) فصول من تاريخ العراق القريب. المس بيل: ٣٩. وتقول في موضع آخر من تقريرها: كان الأتراك قد اتخذوا الإجراءات اللازمة للتعليم الديني السني فقط: ٣١٠.

(٢) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني. سابق: ١٣٣-١٣٤ وينظر: يقظة العرب. جورج أنطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي. دمشق. (١٩٤٦ م/ ١٣٦٥ هـ).

ثامناً

جهود حوزة النجف الأشرف في إفشال مشروع التتريك العثماني

لقد أصبحت اللغة العربية للمرة الأولى على مدى أربعة قرون من الحكم العثماني هدفاً مهدداً من حكام الباب العالي في العهد الاتحادي^(١) فكان من مهمات حوزة النجف الأشرف ومرجعيتها الدينية التصدي لحملات التتريك هذه، فوقفت موقفاً مشهوداً، ونشط بعض رجالها نشاطاً ملحوظاً بدافع حرصهم على لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، ومصادر المعرفة العلمية فألف حزباً قومياً أطلق عليه اسم (حزب النجف السري) اتخذ من غرفة في مدرسة الملاً كاظم الخراساني في محلة الخويش مقراً له، وكانت أهم مهمات هذا الحزب هو محاربة سياسة التتريك، والحفاظ على الهوية العربية بشكل عام.

وكانت من أهم الشخصيات الدينية التي أسست هذا الحزب هي: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ باقر الشبيبي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ حسين الحلّي، والشيخ عبد الحسين مطر، والسيد أحمد الصافي، والشيخ محمد علي قسام وغيرهم^(٢).

ويؤكد العلامة الدكتور مهدي المخزومي أحد كبار أساتذة النحو العربي ومجديده في القرن العشرين حقيقة ما قامت به النجف الأشرف من دور مهم

(١) محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام (١٩٦٥ م / ١٣٨٥ هـ). د. علي عبد شناوة: ٣٦.

(٢) حركة الإصلاح في الحوزة العلمية خلال القرن الرابع عشر الهجري، منذر جواد مرزة. مجلة آفاق نجفية:

في الحفاظ على لغة القرآن حتى أصبحت النجف الأشرف بذلك محل آمال الشعوب وقبلتها التي تتجه إليها علمياً وأدبياً، والتي تعد خادماً أميناً على التراث العربي المجيد، والتي سهرت عليه وجاهدت في سبيل إبقائه بالرغم من تلك الهجمات العدائية التي كان يقوم بها حزب الاتحاد والترقي الذي كان أول بنوده أن يلحق هذه البلاد العربية بالوطن العثماني، وأن يجعلها جزءاً منه، وذلك لا يكون -قطعاً- إلا بالقضاء على أهم ما يستند إليه في استقلاله عن الوطن العثماني، وهو اللغة، لذلك حاولت تتريك أبنائها، ولكن الأمناء على ذلك التراث المجيد دافعوا عنه دفاع المستميت، وظلوا يدافعون بالرغم من أن رقعة دفاعهم أخذت تضيق بالتدريج إلى أن جاءت النهضة الحديثة على إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى، وإذا بتلك المواقع الدفاعية، الأزهر في مصر، والأديرة في لبنان، والنجف في العراق تسترد نشاطها وتجدد جهادها، وإذا بها تستعيد ما فقد منها في حربها الدفاعية، وإذا بها ترسل الشرارات الأولى لتتشر في هذه الربوع ولتضيء ما أظلم منه، وإذا بها تلتقي فيتكون منها قبس مضيء لا زالت البلاد العربية تهتدي بهداه^(١).

ويقيني -يقول السيد محمد تقي الحكيم- أن أهم عوامل الارتفاع في مستوى الشعر في مدارس النجف الشعرية على يد أمثال السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ جواد الشيببي والسيد جعفر الحلي كان وليد رد فعل لهذه المحاولة^(٢)

(١) النجف والرأي العام. د. مهدي المخزومي. مجلة البيان النجفية. السنة الأولى. العدد ١ - ٥ لسنة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٩ م). نقلاً عن مجلة آفاق نجفية العدد العاشر لسنة (٢٠٠٨ م/ ١٤٢٩ هـ). ص: ٤٠٧.

(٢) النجف فكر وعقيدة وصراع. من كلمة للسيد محمد تقي الحكيم في وفود مؤتمر الأدباء العرب الخامس بمناسبة زيارتهم لجمعية منتدى الشر وكلية الفقه في (١٣/ ٢ / ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ) ضمن زيارتهم للنجف الأشرف. مجلة آفاق نجفية. العدد ١ لسنة (٢٠٠٦ م/ ١٤٢٧ هـ). ص: ٤٦.

محاولة تترك الأمة العربية بالقضاء على أهم مقومات شخصيتها وهي اللغة العربية.

يقول الروائي العراقي غائب طعمة فرمان عاش العراق تحت نير العثمانيين طوال أربعة قرون قضاها في وهدة من الفقر والجهل والحكم الجائر واضطراب حبل الأمن وسوء الإدارة وتواتر الأوبئة وانطفاء النور المشرق بالعلم والعرفان ذلك النور الذي سطع على الدنيا من عاصمة الرشيد أخذاً متألقاً يغري طلاب العلم وعاشقي المعرفة ولاذت اللغة العربية في عصر الظلمة إلى الجوامع والعتبات المقدسة لتجد هناك من يرعاها ويغمرها بالعطف ويحميها من هجمات العثمانيين وذوي سياسة (التريك).

وكان النجف الأشرف مثابة لطلاب العلم ومقاماً للأدباء والشعراء وللمتطلعين إلى دراسة الأدب العربي والفلسفة الإسلامية والمنطق وتقويم اللسان يجلسون حلقات حلقات ينصتون إلى أستاذهم وهو يلقي عليهم درسه في حماسة وشوق.

والجوامع الكبيرة ممتلئة بهذه الحلقات، فهذه حلقة الشعر يتصدرها العالم المجاهد السيد سعيد الحبوبي، وهذه حلقة اللغة يتصدرها الشيخ فخر الدين الطريحي وهذه حلقة. وهذه حلقة آداب اللغة العربية يتصدرها السيد حسين القزويني.

كما أنك تجد حلقات كثيرة في سائر جوامع النجف تختص بأنواع العلوم والآداب وتقضي يومها في مذاكرة ودرس ومناظرة وحوار^(١).

(١) علي الشرفي شاعر الطليعة المتحررة. غائب طعمة فرمان. مجلة الاعتدال العدد ١٠ السنة السادسة (١٩٤٨م/

ويترتب على تميز النجف عن غيرها من مدن العراق، أنها قد احتفظت باللغة العربية وآدابها رغم كل محاولات (التتريك) التي فرضها المماليك والحكام العثمانيون على مدارس العراق وغيرها من البلدان الخاضعة للخلافة الإسلامية من جهة، ورغم انتشار اللغات الشرقية وخاصة اللغة الفارسية بين الوافدين إليها من أقطار العالم الإسلامي التابعة لمرجعيتها الدينية من جهة ثانية^(١).

ولعل من أسباب تركيز حوزة النجف الأشرف على صون اللغة العربية وآدابها مما دخلها من عجمة أو طغى عليها من لحن، هو علم رجالات الحوزة بأن اللغة العربية لم تلق من الإعراض والإهمال في تاريخها الطويل ما لاقته في القرون المتأخرة قبل عصر النهضة^(٢).

وهذا ما يدعونا إلى الاعتراف بما أسدته مدرسة النجف الأشرف إلى لغة القرآن الكريم من فضل، وما بذلته في سبيلها من جهد، وبخاصة بعد محاولات التتريك الشرسة التي مارستها الدولة العثمانية ضد اللغة العربية، بل ضد الحوزة نفسها.

ولئن ناضلت جامعة الأزهر القاهرية ضد العامية والإنكليزية، وحمت جامعة الزيتونة في المغرب اللغة العربية من هجمة البربرية والفرنسية والإيطالية، فجاءت النجف حرست اللغة من غزو بضع عشرة لغة استطاعت أن تحتاح العاصمة بغداد ثم الموصل والبصرة^(٣).

(١) النجف فكر وعقيدة وصراع. سابق: ١٤ - ١٦.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. الشيخ محمد مهدي الآصفي: ١٧.

(٣) المصدر السابق نقلاً عن النجف الحضارية لنصر الله. بحث منشور في مجلة الغدير بيروت. لبنان. العدد ٢

وكما حمت حوزة النجف الأشرف العلمية المدن العراقية من حملات التتريك، كذلك حمت حوزة النجف الأشرف المدن المقدسة وفي مقدمتها النجف الأشرف من تأثيرات العجمة، تلك التأثيرات التي تفرضها ظروف عدة، منها الاحتكاك اليومي وآليات التأثير والتأثير نتيجة تماس اللغات ببعضها، والأقوام الناطقين بها ببعضهم من خلال العلاقات الاجتماعية وفي مقدمتها التزاوج والتصاهر، ذلك أن المدن المقدسة دأبت منذ قرون على استقطاب أعداد كبيرة من غير العرب وخاصة الفرس منهم، القادمين لزيارة الأئمة عليه السلام ومجاورتهم.

وهنا يأتي دور مدينة النجف الأشرف المهم حيث استطاعت هذه المدينة المقدسة بمعونة حوزتها العلمية أن تؤثر بلغتها العربية الأصيلة على هؤلاء الأعاجم الوافدين إليها فتعربهم، وليس العكس كما يحدث في بعض البلدان وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.





الفصل الخامس

**دور حوزة النجف الأشرف في
ريادة وتطوير علوم اللغة العربية**



قد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن يقال بأن حوزة النجف الأشرف كان لها دور ريادي في تطوير علوم اللغة العربية، لما قد يظن من بعد مباحث علماء الفقه وأصوله عن مباحث علوم اللغة العربية، فضلاً عن ريادة أصولي حوزة النجف الأشرف لعلوم العربية، وهو ظن منشؤه أن كثيراً من الدارسين المحدثين لم يتيسر لهم الاطلاع على ما لهذا الحقل من المعرفة (حقل أصول الفقه) من مشاركة في الدراسة النحوية، فضلاً عن كونها مشاركة ذات أثر في صياغة نظرية نحوية عامة، قد تفضل في بعض جوانبها ما قدمه (علم المعاني)^(١) من مشاركة فاعلة في هذا الحقل المعرفي الخطير.

لقد شارك أصوليو حوزة النجف الأشرف - حالهم حال غيرهم من علماء الأصول - علماء النحو والبلاغة في ريادة أو تطوير علوم اللغة العربية، وأبلوا فيها بلاء حسناً، ربما يفوق ما قدمه علماء أصول الفقه الآخرون في حوزات شيعية أخرى في العالمين العربي والإسلامي، أو في مدارس فكرية لمذاهب إسلامية أخرى في الدول العربية وغيرها ماضياً وحاضراً.

أما لماذا أولى علماء أصول الفقه البحث النحوي هذه الأهمية وأعطوه من وقتهم الكثير، فلا نهم في مجال استنباط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب والسنة، لا بدّ لهم من معرفة طرق دلالة النص على ما يحمله من معنى، والمعنى الذي يحمله النص أنواع مختلفة: منها المعنى الحقيقي: وهو ما يتكفل به

(١) البحث النحوي عند الأصوليين. د. مصطفى جمال الدين. النسخة المصنوفة على الآلة الطباعة المقدمة

(علم المعجم)، ومنها الاستعمالي: وهذا ما يتكفل به (علم البيان)، ومنها المعنى الوظيفي: وهو ما تؤديه الكلمة بما لها من معنى حقيقي أو استعمالي في أثناء تركيبها مع غيرها من (وظيفة) من أجلها استخدمت في هذا التركيب. والعلم الذي يتكفل بالمعاني النحوية هو (علم النحو).

والأصوليون قبل أن يدخلوا في صلب موضوعات أصولهم وقواعدهم لاستنباط الحكم من النص، بحثوا فيما يساعدهم على فهم معنى النص بشعب المعنى الثلاثة -الحقيقي والاستعمالي والوظيفي- في مقدمة ضافية أطلقوا عليها اسم (المبادئ اللغوية)، وأحياناً (مباحث الألفاظ، وقد كان نصيب المعاني النحوية من أغزر ما بحثه الأصوليون^(١)).

ومن أجل أن أعرف بشكل موجز بما يبحثه الأصوليون في (مبادئ الألفاظ) من المعاني النحوية، فإنه ليحسن بي أن استعرض بشكل مكثف ما بحثه أحد علماء أصول الفقه في حوزة النجف الأشرف وهو المغفور له المجتهد الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (أصول الفقه) كأنموذج على ذلك.

فهم يبحثون بعمق في: (حقيقة الوضع) و(الوضع والترابط الذاتي) و(من الواضع) و(هل أن الوضع تعييني أو تعيني) و(أقسام الوضع) و(الوضع وعلاقة المجاز) و(مصادر العلم بالوضع).

ثم يبحثون (تحقيق معنى الحرف وما يمتاز به عن الاسم)، وينتهون في بحث الفرق بينهما إلى وجود أقوال ثلاثة هي:

أولاً: إن الموضوع له في الحروف هو بعينه الموضوع له في الاسماء المسانخة لها

(١) المصدر السابق: ٣.

في المعنى، فمعنى (من) الابتدائية هو عين معنى كلمة (الابتداء).

ثانياً: إن الحروف لم توضع لمعان أصلاً، بل حالها حال علامات الإعراب في إفادة كيفية خاصة في لفظ آخر.

ثالثاً: إن الحروف موضوعة لمعان مباينة في حقيقتها وسنخها للمعاني الإسمية، فإن المعاني الاسمية في حد ذاتها معان مستقلة في أنفسها، ومعاني الحروف لا استقلال لها، بل هي متقوِّمة بغيرها.

ثم يختلف علماء الأصول في الصحيح من هذه الأقوال، ويستدل كل منهم على وجهة نظره باستفاضة وعمق.

ويبحثون كذلك: موضوعة (الاستعمال وأنه حقيقي ومجازي): وإذ يقرون ما انتهى إليه البلاغيون في ذلك، يختلفون في مسألة متفرعة عنها مفادها: (هل أن صحة الاستعمال المجازي متوقفة على ترخيص الواضع وملاحظة العلاقات المذكورة في علم البيان) أو (أن صحته طبعية تابعة لاستحسان الذوق السليم)، وتحقيق الأمر في ذلك.

كما يبحثون تقسيم دلالة اللفظ على المعنى إلى (تصورية): وهي أن ينتقل ذهن الإنسان إلى معنى اللفظ بمجرد أن يلفظه لافظ، و(تصديقية): وهي دلالة اللفظ على أن المعنى مراد للمتكلم في اللفظ، وقاصد لاستعماله فيه، ثم هل أن الدلالة تابعة للإرادة أو غير تابعة؟ ولم؟ وينتهي الأصوليون من ذلك إلى القول بأن (الدلالة تابعة للإرادة)، وهو ما ذهب إليه الفيلسوف نصير الدين الطوسي قبلاً.

ويبحث الأصوليون كذلك في (الوضع) ويقسمونه إلى؛ (شخصي): ويريدون به أن الواضع للفظ يتصوره بنفسه، ويضعه للمعنى كما هو الغالب في الألفاظ؛

و(نوعي): ويقصدون به أن يتصور الواضع اللفظ بوجهه وعنوانه.

ويبحثون أيضاً (وضع المركبات): ويقصدون به أن الهياة الموضوع لمعنى، تارة تكون في (المفردات) كهياة المشتقات، وأخرى في (المركبات) كاهياة التركيبية بين المبتدا والخبر لإفادة حمل شيء على شيء، وكهياة تقديم ما حقه التأخير لإفادة الاختصاص.

ويبحثون أيضاً (علامات الحقيقة والمجاز)، وكيف نعالج الحال فيما لو شككنا في وضع لفظ مخصوص لمعنى مخصوص، فلا يعلم أن استعماله فيه هل كان على سبيل (الحقيقة)، فلا يحتاج إلى نصب قرينة عليه؟ أو على سبيل (المجاز)، فيحتاجون إلى نصب قرينة عليه؟ ثم ينتهون من ذلك إلى وضع طرق وعلامات عديدة لتعيين (الحقيقة) من (المجاز) منها:

(التبادر) ويقصدون به: انسباق المعنى من نفس اللفظ مجردا عن كل قرينة.

ومنها (عدم صحة السلب وصحته، وصحة الحمل وعدمه).

ومنها (الاطراد وعدمه).

ويناقشون ما ذهب إليه البعض من أن (الاطراد علامة الحقيقة) و(عدمه علامة المجاز)، ومعناه أن اللفظ لا تختص صحة استعماله بالمعنى المشكوك بمقام دون مقام، ولا بصورة دون صورة، ولا بمصداق دون مصداق ثم يناقشون ذلك وينتهي المحدثون منهم إلى عدمه.

كما يبحثون باستفاضة في (الأصول اللفظية) ومدى حجيتها وأهمها: (أصالة الحقيقة) و(أصالة العموم) و(أصالة الإطلاق) و(أصالة عدم التقدير) و(أصالة عدم النقل) و(أصالة عدم التخصيص) و(أصالة عدم النسخ).

و يبحثون أيضاً: (الترادف والاشتراك) و (استعمال اللفظ في أكثر من معنى) و (الحقيقة الشرعية) و (الصحيح والأعم).

هذه هي أهم (المقدمات) التي يدرسونها بعمق وأصالة وجدية، حتى إذا ما انتهوا من دراسة تلك (المقدمات) وأشبعوها تحصيماً وتدقيقاً، عكفوا على دراسة ما يطلقون عليه (مباحث الألفاظ) ويقصدون بها: تشخيص ظهور الألفاظ من جهة عامة، إما بالوضع، أو بإطلاق الكلام، لتكون نتيجتها قواعد كلية تنقح صغريات (أصالة الظهور) وتقع تلك المباحث في (هيات الكلام) التي يقع فيها الشك والنزاع، سواء أكانت (هيات المفردات)، كهياة المشتق والأمر والنهي، أو (هيات الجمل) كالمفاهيم وغيرها، ويتناول الأصوليون في (مباحث الألفاظ) سبع أبواب مهمة هي:

(المشتق) ويتناولون فيه مباحث عدة منها: (المراد من المشتق) و (جریان النزاع في اسم الزمان) وغيرهما من المباحث الأخرى.

ف (الأوامر) و يبحثون فيها مباحث عدة منها: (مادة الأمر) و (صيغة الأمر وظهورها في الوجوب)، وغيرهما من المباحث الأخرى.

ف (النواهي) و يبحثون فيها: (مادة النهي) و (صيغة النهي) و (ظهور صيغة النهي في التحريم) و (ما المطلوب في النهي) و (دلالة صيغة النهي على الدوام والتكرار).

ف (المفاهيم) و يقصدون بـ (المفهوم) ما يقابل (المنطوق) وهو اصطلاح أصولي يختص بالمدلولات الالتزامية للجمل التركيبية سواء أكانت إنشائية أو إخبارية.

ويبحثون في (المفاهيم): (أقسام المفهوم) ويقسمونها إلى (مفهوم الموافقة أو فحوى الخطاب) و(مفهوم المخالفة): وله موارد كثيرة يذكرون منها: (مفهوم الشرط) و(مفهوم الوصف) و(مفهوم الغاية) و(مفهوم الحصر) و(مفهوم العدد) و(مفهوم اللقب) ويطيلون البحث في كل منها مناقشين، مؤيدين لبعض الآراء التي انتهى إليه بعضهم أو مخالفين.

ف(العام والخاص) ويبحثون فيه من جملة ما يبحثون (أقسام العام) و(ألفاظ العموم) و(المخصص المتصل والمنفصل) و(استعمال العام في المخصص مجاز) و(هل يسري إجمال المخصص إلى العام) ويدخلون من المبحث الأخير إلى الحديث عن (الشبهة المفهومية) و(الشبهة المصادقية) وغيرهما من المباحث الأخرى.

ف(المطلق والمقيد) ويبحثون فيه مطالب ستة منها: (معنى كل منهما) و(تلازم الإطلاق والتقييد) و(مقدمات الحكمة) وغيرها من المباحث الأخرى.

ف(المجمل والمبين) ويبحثون فيه: (معناهما) و(المواضع التي وقع الشك في إجمالها) وغير ذلك من المباحث المتعلقة بهما^(١).

إن (مباحث الألفاظ) هذه، وما تقدم من مباحث سبقتها في (المقدمات)، حوت من الدقة العلمية والجدّة والعمق ما جعلها في مقدمة المباحث اللغوية الجديدة التي أضافت إلى علوم اللغة العربية الشيء الكثير ريادة أو عمقاً وتطويراً. ويعزو علماء أصول الفقه سبب عنايتهم واهتمامهم بهذه المباحث رغم أنها ليست من صميم اختصاصهم كونها مما تمس أو تلبس الكلمة المعبرة، وهي الوسيلة التي اعتمدت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة للتعبير والكشف عن

(١) أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر: ١ / ٢٠٢ (باختصار).

واقع التشريع الإسلامي، وإذ أغفل علماء اللغة دراستها فقد انصب اهتمام علماء الأصول على دراسة ما لم يحظ منها بالعناية الكافية في مجالاتها الخاصة، وأحالوا الحديث على تلکم المجالات وما ألف فيها من كتب في المواضيع التي رأوا أنها قد استوفى فيها الحديث^(١) من أمثال علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها.

فكان لما قدمه الأصوليون في هذا المجال الأثر الطيب في الكشف عن (دوال النسب والارتباطات ومدلولاتها) بما أثرى به بحوث اللغة العربية، فقدّم بذلك خدمة جلّی للغة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وبموازنة يسيرة بين ما بحثه الأصوليون، وما بحثه النحاة والبلاغيون، نجد أن أقربها إلى البحث اللغوي في (نظام التأليف) هو بحث الأصوليين.

لقد استطاع بعض الباحثين الأصوليين من علماء حوزة النجف الأشرف، وفي مقدمتهم سيدي الوالد السيد محمد تقي الحكيم^١ أن يخوض غمار البحث اللغوي الأصولي بجدة، وحادثة رؤية، وأصالة في جملة بحوث نشرها تحت عنوان (من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية).

وإذ بذر (السيد محمد تقي الحكيم) بذرة الغوص في مجالات هذه البحوث في قلوب وعقول تلامذته، سار على نهجه قسم منهم، وفي مقدمتهم المرحوم السيد مصطفى جمال الدين الذي اتخذ من موضوع (البحث النحوي عند الأصوليين) أطروحة لدراسته لمرحلة الدكتوراه، والمرحوم الدكتور صالح الظالمي في رسالته: (المشتق بين النحاة والأصوليين) لمرحلة الماجستير، و(تطور دراسة الجملة بين النحاة والأصوليين) لمرحلة الدكتوراه، والمرحوم الدكتور حسن السيد محمد

(١) من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية. السيد محمد تقي الحكيم: ١٠.

تقي الحكيم في رسالته لمرحلة الماجستير المعنونة (دلالة الألفاظ العربية بين علماء اللغة والأصوليين حتى نهاية القرن السادس الهجري) وهناك غير هؤلاء الباحثين من طلبته الآخرين لا مجال لاستعراض دراساتهم في هذا البحث.

يقول الشيخ محسن الأراكي أحد تلامذة السيد محمد تقي الحكيم: إن ما تميز به السيد محمد تقي الحكيم على صعيد البحث اللغوي الأصولي، دوره الرائد في معالجة الأبحاث اللغوية الأصولية بروح لغوية وبرؤية علمية جديدة، وعرضها على طاولة البحث اللغوي في المجامع العلمية اللغوية، فإنه أول من فتح على اللغويين باب هذه الأبحاث، وهو أبرز من تصدى من الأصوليين المحدثين للبحث المستقل عن المسائل اللغوية الأصولية، مؤكداً على طابعها اللغوي الصرف أولاً، وموضحاً عمق الأبحاث التي خاضها الأصوليون في هذا المجال وسعتها ثانياً، ولافتاً نظر العلماء اللغويين إلى أهمية هذه الأبحاث وإلى ضرورة اطلاعهم عليها وإفادتهم منها، بل وخوضهم فيها ثالثاً^(١).

لقد تناول السيد محمد تقي الحكيم في كتابه (من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية) خمسة أبحاث هي على التوالي (الوضع تحديده، تقسيماته، مصادر العلم به) و(المعنى الحرفي في اللغة بين النحو والفلسفة والأصول) و(الاشتراك والترادف) و(الاجتهاد في اللغة، حقيقته وحجته) و(القياس المقارن وقياسية الاشتقاق من أسماء الأعيان).

وقد ألقى البحث الأول المعنون بـ(الوضع) على مسامع الأساتذة الأفاضل أعضاء (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة، و(أعضاء المجمع العلمي العراقي) ضمن

(١) طبعة البحث اللغوي الاصولي في فكر السيد محمد تقي الحكيم. الشيخ محسن الأراكي. بحث ضمن كتاب: السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف: ١٥٥.

أبحاث (دورة مجمع اللغة العربية) المنعقدة ببغداد عام (١٩٦٥م / ١٣٨٥هـ).
وألقى البحث الثاني المعنون بـ(المعنى الحرفي في اللغة بين النحو والفلسفة والأصول) على مسامع الأساتذة الأفاضل أعضاء (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) وأعضاء (المجمع العلمي العراقي) ضمن أبحاث (دورة مجمع اللغة العربية) المنعقدة بالقاهرة عام (١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ).

ونشر البحث الثالث المعنون بـ(الاشتراك والترادف) في المجلد الثاني عشر من (مجلة المجمع العلمي العراقي) عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
وألقى البحث الرابع المعنون بـ(الاجتهاد في اللغة حقيقته وحجيته) على مسامع (لجنة الأصول) المشكلة في (المجمع العلمي العراقي) سنة (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

وموضوع (الاجتهاد في اللغة) موضوع جديد لم يتناوله الباحثون بالدرس والتحليل وهو ما دفع بالباحث اللغوي الدكتور نعمة رحيم العزاوي لأن يقول: ما أظن أني وقفت على معالجة له في كتب اللغة القديمة والحديثة^(١).
كما ألقى بحثه الخامس الخاص بـ(قياسية الاشتقاق والاشتقاق من أسماء الأعيان) على مسامع (لجنة الأصول) المشكلة في (المجمع العلمي العراقي) أيضاً عام (١٩٨٠م / ١٤٠٠هـ)^(٢).

وقد انتهى في بحث كل منها إلى كثير مما يفيد أهل الاختصاص من اللغويين

(١) السيد محمد تقي الحكيم لمحات من آرائه اللغوية. د. نعمة رحيم العزاوي بحث ضمن كتاب أعلام نجفيون دراسات في اللغة والنحو والأدب: ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) من مقدمة كتاب: (من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية) للسيد محمد تقي الحكيم. بقلم عبد الهادي الحكيم: ٥-٦.

في اختصاصهم الدقيق، مما لم يشبعوه بحثاً، أو لم يتناولوه.

ويلحظ قارئ الأبحاث الخمسة مدى عمق محاولات علماء أصول الفقه، وطول باعهم في المجالات اللغوية، وأهمية دورهم في تحديد طبيعة بعض مفاهيمها، وكشف حقائقها، من خلال منهج علمي رصين لم يتبعه -في حدود ما أعلم- علماء العربية نفسها، مما يلفت نظرهم إلى محاولات جادة عميقة عنى بها الأصوليون، ربما خفيت على الكثير من المعنيين بالشأن اللغوي، فاتحة الباب أمام دارسي اللغة للاستفادة من هذه التجارب في بحوثهم ودراساتهم.

وهو ما دعا بالباحث اللغوي الدكتور نعمة رحيم العزاوي^(١) لأن يرجو من أساتذة اللغة ودارسيها في الجامعات ألا تفوتهم فرصة الاطلاع على هذا الكتاب، لأنه سيزيد في معرفتهم اللغوية، ويقفهم على ما لم تتسع له مصنفات لغويينا القدماء والمحدثين بشأن كثير من قضايا اللغة ومشاكلها.

ومما يعطي بحوث هذا الكتاب أهمية ذات مغزى، أنه استطاع المزاجية بين البحوث الأصولية واللغوية قارنا جهدي العلماء الأفاضل ببعضهما في محاولة جديدة مهمة بغية الحصول على نتائج أكثر دقة وأصالة في مجال البحث العلمي التحليلي^(٢).

وقد حذا حذو السيد محمد تقي الحكيم في تناول بعض تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية تلميذه المرحوم الدكتور السيد مصطفى جمال الدين في كتابه (البحث النحوي عند الأصوليين) وقسمه إلى فصول ستة هي على التوالي:

(١) السيد محمد تقي الحكيم لمحات من آرائه اللغوية. سابق: ١٠٨.

(٢) المصدر السابق: ٦.

(أقسام الكلمة) و(المصدر. ومصدر الاشتقاق) و(الأوصاف. والأسماء المشتقة) و(الفعل) و(الحرف. والمعنى الحرفي) و(الجملة)، شارحاً فيها بالتفصيل دور علماء أصول الفقه في حوزة النجف الأشرف خاصة في إغناء البحث النحوي مقدمين بذلك خدمة جليّ للغة العربية.

ولست في مجال استعراض ما توصلت إليه دراسته العميقة، وما قدم في هذا البحث من آراء، ولكنني سأركز على ما انتهى إليه مما أضافه الأصوليون من جديد لعلوم اللغة العربية في (نحو الأصوليين) ويعني الباحث بالنحو: النظام اللغوي المكوّن من الصيغ والأدوات والعلامات والتركيبات الخاصة، والذي يربط بين مفردات المعجم بحيث تؤدي كلّ منها وظيفتها التركيبية ضمن الهيئة العامة للتأليف الدالة هي على المعنى المؤلف - هو الذي نسميه (نحواً). أما المعنى النحوي فهو تلك الوظيفة التي يؤديها اللفظ المفرد ضمن التركيب من كونه (فعلاً) أو (فاعلاً) أو (مفعولاً) أو (حالاً) أو تمييزاً.. إلخ.

والبحث النحوي عند الأصوليين: هو (البحث عن دوال النسب والارتباطات ومدلولاتها)، ولذا يصح لنا أن نسميه (نحو الدلالة) في مقابل ما انتهى إليه النحاة من (نحو الإعراب) وما انتهى إليه البلاغيون من (نحو الإسلوب)^(١).

إن هذا النحو من البحوث لم يتوصل إليه النحو القديم، ولا علم المعاني، من دلالة نحوية سواء في الأداة أو الصيغة أو التركيب، وإذا توصل الدرس النحوي الحديث إلى بعض ذلك فبتطور الدراسات الغربية المقارنة، على أن الأصوليين سبقوا بجديدهم تلك الدراسات أيضاً.

(١) البحث النحوي عند الأصوليين. سابق: ٧.

ومن ذلك الجديد مثلاً ما ورد في نتائج دراسته من النقاط الآتية:

« **أسس التمييز بين معاني المفردات:** وضع الأصوليون أسساً يستفاد منها تقسيم الكلمة إلى: الاسم، والصفة، والفعل، والكناية، والحرف فخالفوا بذلك ما توصل إليه علماء النحو القدامى، ومنه نفهم لماذا ذهب الدرس النحوي الحديث إلى تقسيم الكلمة تقسيماً جديداً يغير ما تعارف عليه النحاة القدامى.

« **أصل الاشتقاق:** وهو ما توصل إليه الأصوليون - قبل الدرس النحوي الحديث من أن أصل المشتقات المعروفة هو (المادة اللغوية) فلا (الفعل) أصل المشتقات كما يرى الكوفيون، ولا (المصدر) كما يرى البصريون.

« **دوال النسبة:** تختلف دوال النسبة عند الأصوليين باختلاف نوع النسبة المدلول عليها وهي:

« النسبة التقييدية الناقصة: وهي نوعان؛ تركيبية وتحليلية.

« النسبة التركيبية التامة: وهي ثلاثة أنواع؛ نسبة صدورية أو وقوعية، ونسبة تصادقية اتحادية، ونسبة تعليلية.

« النسب الخاصة.

« **زمان الفعل:** اعتبر الأصوليون الزمان مدلولاً نحوياً لا صرفياً، أي أنه مدلول سياق الجملة وقرائنها لا صيغة (فعل يفعل) فأنكروا زمان الصيغة وهو ما تبناه النحويون.

« **لواصق الفعل:** ولبعض الأصوليين فيها رأي يخالف ما استقر عليه النحاة، حيث ذهب هذا الأصولي إلى أنه لا تركيب في صيغ الأفعال العربية، لأن هذه

الحروف الزائدة لم تكن كلمات مزجت بصيغة الفعل، فكان المضارع -مثلاً- مركباً من كلمتين، بل هي حروف زيدت لتحصيل خصوصية في النسبة لم تكن لتحصل لو كانت النسبة مجردة، وإذا فهم الفاعل باعتباره منشأ هذه الخصوصية، إما لتعددده أو لكونه مؤنثاً أو مخاطباً أو متكلماً، فلم يك ذلك إلا بالتلازم الذهني بين تصور النسبة وتصور طرفها، لا بالوضع اللغوي.

ومن الطريف أن ما توصل إليه هذا العالم الأصولي، هو الذي توصل إليه باحث لغوي غربي معروف هو (ج فندريس) الذي اعتبر اللواحق واللواصق والعلامات الزائدة على المادة اللغوية -السواكن الثلاث- كلها من دوال النسبة لا فرق في ذلك بين صيغة (قتل) أو (قتلت) أو (يقتل) أو (نقتل) أو (قاتلت) أو (تقاتلا) أو (تقاتلوا)^(١).

مدلول الجملة: لم يعقد النحاة باباً للجملة ودلالاتها، لأن النحو عندهم (نحو الإعراب) لا نحو الدلالة، ولذلك كان حديثهم عن الجملة في معرض ذكرهم للجميل التي لها محل من الإعراب، أو التي ليس لها محل، أو في مناسبات أخرى من هذا النوع الذي يدل على عدم إهتمامهم بها.

أما الأصوليون فقد عنوا بالجملة عناية فائقة، حيث قسّموها بحسب دلالتها التركيبية إلى جملة ناقصة، وجملة تامة، وميّزوا لأول مرة بين ما تدلان عليه من نقص النسبة وتامها، ثم قسّموها إلى جملة اسمية، وجملة فعلية، وحددوا دلالة كل منهما، وميّزوا بينهما على أساس اختلافهما في طبيعة (المسند)، وطبيعة (الإسناد)، وخالفوا المنطقيين في ذهابهم إلى أن مدلول الجملة الشرطية هو الحكم

(١) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين: ١٩٥ هامش ١. نقلاً عن: اللغة لفندريس ص: ١٠٦ وما بعدها.

بلزوم الشرط للجزاء، فأنكر الأصوليون ذلك مؤكدين بقاء كل من الشرط والجزاء على ما له من نسبة تامة، وإن لم يصح السكوت عليها، أي أن ما تدل عليه الجملة الشرطية كاملة هو (مضمون الجزاء) فقط، وإن كان هذا المضمون معلقاً على شرط.

ثم نظروا في الأساليب فقسّموا الجملة إلى خبرية وإنشائية، وبحثوا في دلالتها بما يشبه بحث البلاغيين، وإن خالفوهم في كثير من التفاصيل، مثل إن الجملة الإنشائية توجد معناها والخبرية تحكي عنه، وزادوا على البلاغيين أنهم حلّلوا النسب الخاصة التي تدل عليها الأدوات الإنشائية، كأدوات الاستفهام والترجي والتمني، والنداء وأمثالها، بما لم يحلّله البلاغيون.

كما أن الأصوليين بحثوا في مدلول آخر للجملة لم يتعرض له النحاة ولا البلاغيون، هو ما سمّوه (مفهوم المخالفة)، وقد تقدمت الإشارة إليه فيما سبق^(١).



(١) المصدر السابق: ٣٢١ - ٣٢٧ (باختصار).

الخاتمة

لقد تفردت الحوزة العلمية في النجف الأشرف باستثناء حقب قليلة بمركز الصدارة لحوزات شيعة أهل البيت عليه السلام المنتشرة في العالم الإسلامي أجمع.

ورغم ذلك فلم أجد في حدود اطلاعي من حاول تقصي البحث عن سرّ هذا التفرد الذي بوأ حوزة النجف الأشرف هذه المكانة على مدى ألف عام.

لقد أماط (الكتاب الأول) اللثام عن أن وجود المرقد العلوي الشريف في النجف الأشرف وفيوضاته الروحية والشعورية على مجاوريه هو العامل الأول والأساس الذي بوأ حوزة النجف الأشرف هذا الموقع المتقدم بين مثيلاتها العديداً من حوزات أهل البيت المنتشرة في عموم المدن والبلدان، ولولا وجود هذه الحضرة الشريفة في هذه البقعة الطاهرة لما كان ما كان.

كما تكفل (الكتاب الثاني) ببيان الدواعي الأخرى لذلك، ومنها العمق الحضاري لمنطقة النجف الأشرف، لأنها جزء من المثلث الحضاري (الحيرة - الكوفة - النجف)؛ ومنها لغة مدينة النجف الأشرف العربية، كونها لغة التشريع: قرآناً كريماً، وسنة شريفة من جهة، ولغة أمهات المصادر والكتب المؤلفة في هذا الباب من جهة أخرى؛ ومنها الطبيعة السكانية لمدينة النجف الأشرف، لأنها وريثة الطبيعة السكانية لزمان التشريع أو ربما شبيهتها في العادات والقيم والتقاليد والأعراف وطرائق المعيشة، ما يقرب الفقيه من تشخيص المراد من الروايات والمقصود بها أكثر فأكثر؛ ومنها البيئة الأدبية الشعرية الثقافية للمدينة الحاضنة للحوزة، حتى قيل بأن النجف بيئة شعرية.

وقد تناول البحث هذه المواضيع بفصول ومباحث عدة وتفرعت عن المباحث مطالب أبانت سر هذا التميز وأوضحت سبب هذه الفريدة.

هذا ولا زالت مدينة النجف الأشرف قبل ذلك وبعده بحاجة إلى معاهد للبحوث والدراسات التخصصية تكشف وتكتشف تراثها الثر الموصول بحاضرها العتيد، والمؤسس لمستقبلها الواعد على صعيدي الفكر النظري والعملي من جهة، والفعل التوجيهي التنفيذي للقرار السياسي - الاجتماعي من جهة أخرى، وهو ما حوربت مدينة النجف الأشرف ومراجعها العظام لأجله - ولا زالت - حرباً ضروساً إثر حرب ضروس، معانية من أعدائها الحكام الطغاة ما عانت، مقدمة الشهداء تلو الشهداء، قدر مخاوف الظلمة من فعلها المؤثر على الأرض، والمستقر في ضمير الأمة ووجدانها، دفاعاً عن مذهب أهل البيت عليهم السلام من جهة، وصوناً للحق والعدل والمساواة والإنصاف من جهة ثانية، وحفظاً لحقوق الوطن والمواطن المشروعة أيّاً كان مذهبه أو دينه من جهة ثالثة، ورفعاً للحيف الممارس بقسوة الحديد والنار ضد العراقيين المسحوقين بأغليتهم المظلومة المهمشة والمعاقبة بالحرمان والقسوة منذ تأسيس العراق الحديث وفق معادلة ظالمة معروفة من جهة رابعة.

أسأل الله العزيز الكريم أن يتقبل عملي بما هو أهله إنه نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عبد الهادي السيد محمد نقي رحمته الله

النجف الآشرف

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م



الملحق

علماء الدرس اللغوي في النجف الأشرف

للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي



فيما يأتي ثبت أجراه الأستاذ المرحوم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي لعلماء الدرس اللغوي في النجف الأشرف، أثبتها هنا كملحق للكتاب، لأدلل من خلالها على حجم الجهد العلمي اللغوي الكبير المبذول من قبل علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف للغة العربية وآدابها وعلومها، وما أضافته هذه الحوزة العلمية العريقة من خدمة كبيرة للغة العربية، لغة التشريع الإسلامي، قرآناً كريماً، وسنة شريفة.

١. **الشيخ الطوسي**، هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي غادر بغداد إلى النجف الأشرف عام (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) بعد هجوم السلاجقة إثر هجوم السلاجقة على منازل ومعاهد الشيعة في الكرخ من بغداد، حيث حرقوا كرسي درسه، ونهبوا، وسلبوا، وعذبوا، وقتلوا.

وعندما حلّ بالنجف نَمَى بذرة الحركة العلمية الموجودة فيها، حتى أصبحت مركزاً علمياً مهماً ومميزاً، ينافس بغداد والمراكز العلمية الأخرى آنذاك.

وقد أودع الشيخ الطوسي بحوثه المتضمنة لآرائه وأفكاره اللغوية وسواها كتبه في الفقه والأصول والكلام والحديث والتفسير.

وقد حفل من بينها كتابه العظيم (التيان في تفسير القرآن) بثروة علمية لغوية وفيرة ومهمة من حيث الدراسة والبحث، والرأي والنتيجة.

٢. **المحقق الرضي**، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي، وشهرته في علمي النحو والصرف غطت على جوانب أخرى بارزة في حياته كاجتهاده الفقهي، ومرجعيته في التقليد، وتضلعه في علمي المنطق والكلام، له (شرح الكفاية) وهو شرح الكفاية في النحو لابن الحاجب و(شرح الشافية في الصرف) وهو لابن الحاجب أيضاً.

٣. **الجرجاني**، ركن الدين محمد بن علي الفارسي الغروي من علماء المائة الثامنة، ألف كتابه الموسوم ب(الأبحاث في تقويم الأحداث) في الغري (النجف)، وفرغ منه بالحضرة العلوية في يوم الجمعة الثالث من جمادى الثانية ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، ذكر ذلك الطهراني في الذريعة^(١).

٤. **الكوفي**، عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي القاضي بعد سنة (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) طن له (شرح بيان كتاب سيبويه والمفصل) و(شرح كتاب المقصود والمحدود).

٥. **ابن العتائقي**، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد من علماء المائة الثالثة له عدد من المؤلفات التي فرغ من كتابتها في النجف الأشرف، له (الاضداد في اللغة) و(الحدود النحوية والمآخذ على الحاجبية).

٦. **الكفعمي**، تقي الدين إبراهيم بن علي الحارثي العاملي (ت ٩٠٥هـ / ١٥٠٠م)، كان من أعلام الطائفة الإمامية في الفقه واللغة، وأكابر المتعبدين المجتهدين، له (مختصر المجازات النبوية للشريف الرضي) و(مختصر غريب القرآن للسجستاني) و(فروق اللغة).

٧. **الملا عبد الله**، الملا عبد الله بن حسين اليزدي (ت ٩٨١هـ / ١٥٧٣م)، من خزنة وسدنة الروضة العلوية في النجف الأشرف، كان من الفقهاء الاعلام إلا أنه اشتهر بالعلوم العقلية كالمنطق والكلام أكثر من سواها، له (حاشية المطول في علوم البلاغة للتفتازاني).

٨. **إبراهيم الوائلي**، الأستاذ إبراهيم بن محمد بن عبد الحسين آل حرج الوائلي، من أدباء القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين. بدأ دراسته العلمية في حوزة النجف الأشرف، وتخرج في مجالسها وأنديتها أديباً وشاعراً، له من الآثار اللغوية (لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر).

٩. **أبو الحسن المشكيني**، الشيخ أبو الحسن بن عبد الحسين الأردبيلي (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م). فقيه مجتهد وأصولي مؤلف، له حاشية على كتاب (كفاية الأصول) لأستاذه الخراساني، اشتهرت في الأوساط العلمية الحوزوية واشتهر بها، من أعماله اللغوية (رسالة في المعنى الحرفي).

١٠. **أبو عبد الله الزنجاني**، السيد أبو عبد الله بن محمد الموسوي (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م)، من الفقهاء المراجع وأساتذة الحوزات العلمية المبرزين، له في علوم اللغة العربية (كتاب الميزان في علم العروض).

١١. **أبو الفضل النوري**، الشيخ أبو الفضل بن أبي القاسم بن محمد علي الكلان تري (ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م). من الفقهاء المجتهدين والحكماء المتكلمين والشعراء المجيدين، له في اللغة العربية (منظومة في النحو) و(قلائد الدرر في علم الصرف).

١٢. **أبو القاسم الصفوي**، السيد أبو القاسم بن إبراهيم بن عبد الحسين الموسوي

ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)، كان عالماً فقيهاً أصولياً، له في علوم اللغة العربية (رسالة في النحو).

١٣. **أبو القاسم الكرجي**، الدكتور أبو القاسم بن محمد الطهراني من علماء القرن الخامس عشر، تتلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف على أفاضل أساتذتها، من آثاره العلمية في اللغة العربية (كتاب في الصرف والنحو).

١٤. **أحمد أبو قطفان**، الشيخ أحمد بن حسن بن علي السعدي (ت ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م)، ذكره الخاقاني في (شعراء الغري ١ / ١٧٠) فقال: وكان ماهراً في علمي النحو والعروض).

١٥. **أحمد البهبهاني**، السيد أحمد بن محمد باقر الموسوي الحائري (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، من العلماء الفقهاء، له في النحو (الفريدة النحوية).

١٦. **أحمد البهبهاني**، الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن محمد باقر (الوحيد البهبهاني) (١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م)، عالم مجتهد ومرجع عام ومؤلف مكثراً، له في النحو (المحمودية في شرح الصمدية).

١٧. **أحمد النحوي**، الشيخ أحمد بن حسن بن علي بن الخواجه (ت ١١٨٣هـ / ١١٨٧هـ / ١٧٦٩ أو ١٧٧٣م)، من مؤلفاته (شرح القصيدة الدريدية) و(أرجوزة في علم البلاغة).

١٨. **أحمد الطعان**، الشيخ أحمد بن صالح بن طعان الستري البحراني (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، من العلماء الأدباء، والمحدثين الرجاليين، والمؤلفين المكثرين له في النحو (كاشفة السجف عن موانع الصرف).

١٩. **أحمد آل عبد الرسول**، الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرسول السماوي (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٣م)، من الفقهاء المراجع الصلحاء له في اللغة العربية منظومة في النحو وكتاب في المعاني والبيان).

٢٠. **أحمد القصير**، الشيخ أحمد قصير العاملي، من المعاصرين تلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتحق بكلية الفقه، وتخرج فيها عالماً فاضلاً، له في النحو (متن الأجرومية ودروس في النحو)

٢١. **أحمد العلومي**، الشيخ أحمد ابن ملاً حسين اليزدي (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، له في النحو (المغني عن المغني).

٢٢. **أحمد الكاظمي**، الشيخ أحمد بن محمد حسين العاملي الكاظمي (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م)، فقيه مجتهد وأديب شاعر، له (منظومة في النحو).

٢٣. **أحمد المراغي**، الشيخ أحمد بن علي أكبر التبريزي المعروف بـ(الفاضل المراغي (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)، فقيه أصولي، ومؤلف محقق، له (حاشية الصمدية في النحو) و(حاشية المطول في البلاغة).

٢٤. **أحمد مغنية**، الشيخ أحمد بن محمود بن محمد العاملي (ت حدود ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) له في النحو (سلسلة القواعد العربية الصحيحة).

٢٥. **أحمد الواعظ**، السيد أحمد الواعظ بن محمد مهدي الكاظمي المعاصر، التحق بكلية الفقه وواصل دراسته العليا بالقاهرة، وهو اليوم من أساتذة اللغة العربية، له (التبيان في تفسير غريب القرآن لابن همام الهائم (تحقيق ودراسة).

٢٦. **أسد الله البروجردي**، الشيخ أسد بن محمد صادق (ت ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م)،

من الفقهاء الأصوليين وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، له (كتاب في النحو).

٢٧. **إسماعيل الأرومي**، الشيخ إسماعيل بن علي نقي التبريزي (ت ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، فقيه مجتهد، كثير التأليف، ومن مؤلفاته في اللغة (كتاب لغات القرآن).

٢٨. **باقر القزويني**، السيد باقر بن هادي القزويني الحلّي (ت ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م)، نشأ في مدينة الحلة حيث تقيم أسرته، وتعلم في النجف الأشرف حتى صار من ذوي الفضل والأدب، له في علوم اللغة العربية (كتاب في الصرف).

٢٩. **جعفر الأعرجي**، السيد جعفر بن محمد الحسيني الأعرجي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، اشتهر في تضلعه بالأنساب والرجال والتاريخ، وكثر تأليفه فيها، له في اللغة العربية (الدروس في شرح قطر الندى).

٣٠. **جعفر الشرقي**، الشيخ جعفر بن محمد حسن الشرقي (ت ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، ترجمه الدكتور الأميني في الرجال (٢/ ٧٤١) فقال: كان بيته مجمع الأدباء العلماء وأهل الفضل، يرجع إليه في بعض المشاكل اللغوية والادبية).

٣١. **جعفر الكرباسي**، الشيخ محمد جعفر بن علي الكرباسي المعاصر، تتلمذ على والده الفقيه الشيخ إبراهيم في الحوزة العلمية بالنجف، ثم اتجه إلى التعليم في مدارس النجف الأشرف النظامية يدرس مادة اللغة العربية، فبرز فيها أستاذًا وكاتبًا نشرت له الصحف النجفية، من أعماله اللغوية تحقيق كتاب

(جواهر القاموس في المجموع والمصادر) تأليف محمد بن شفيع القزويني من علماء القرن الثاني عشر الهجري، نشرته جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف.

٣٢. **جعفر الكريم**، الدكتور جعفر بن هادي حسن الكريم المعاصر، تعلم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتحق بكلية الفقه، وواصل دراساته العليا فالتحق بكلية الاداب - جامعة بغداد -، من مؤلفاته (مذهب الكسائي في النحو) رسالة ماجستير.

٣٣. **جعفر الكشفي**، السيد جعفر بن إبراهيم بم عبد الله الموسوي الدارابي البروجردي (ت ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م)، من أعظم الطائفة الإمامية في القرن الثالث عشر له (منظومة في الصرف والنحو).

٣٤. **جعفر النقدي**، الشيخ جعفر بن محمد بن عبد الله النقدي (ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)، تخرج في النجف الأشرف من منبري الإمامين الكاظمين الشيخ الخراساني والسيد اليزدي، كان من المؤلفين المكثرين، ومن تأليفاته في اللغة العربية (إرشاد الطلاب في علم الإعراب).

٣٥. **جواد الكيشوان**، السيد جواد بن محمد بن صالح الكيشوان من علماء القرن الرابع عشر الهجري، كان عالماً فاضلاً، ومؤلفاً محققاً، له في علوم اللغة العربية (تعليقة على ألفية ابن مالك في النحو والصرف).

٣٦. **جواد العاملي**، السيد جواد بن حسن بن محمد بن محمد جواد (صاحب مفتاح الكرامة) العاملي (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م)، قال الدكتور الأميني في الرجال (٢ / ٨٧٥): (كان فاضلاً كاملاً أديباً شاعراً لغوياً نحوياً حاذقاً فطناً

ذكياً لودعياً، من المعروفين بالفضل والتقوى).

٣٧. **حامد الخفاف**، الأستاذ حامد بن شاكر بن خليل الخفاف النجفي من المعاصرين، أكثر مساهماته اللغوية في تحقيق التراث، ومنها: تحقيقه لرسالة (الليل والنهار) لابن فارس.

٣٨. **حسام الدين الطريحي**، الشيخ حسام الدين بن جمال الدين بن محمد الطريحي (ت ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤م)، من تلامذة الشيخ فخر الدين الطريحي صاحب (مجمع البحرين)، له (جامع الشتات في فروف اللغات).

٣٩. **حسن حرز الدين**، الشيخ حسن بن علي بن عبد الله حرز الدين (١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)، كان من الفقهاء المجتهدين، من آثاره في آداب اللغة العربية (رسالة في العروض).

٤٠. **حسن الحمود**، الشيخ حسن بن علي الحمود الحلي (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)، كان من أدباء النجف وشعرائها ذوي الشأن، وله ديوان شعر، ومن أعماله اللغوية (كتاب في علم الصرف).

٤١. **حسن الحكيم**، الدكتور السيد حسن بن محمد تقي بن محمد سعيد الحكيم (ت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، تخرّج في مدارس متدى النشر في النجف الأشرف ثم في كليتها كلية الفقه، وواصل بعد ذلك دراسته العليا في القاهرة حتى حصل على شهادة الدكتوراه سنة (١٩٨٧م / ١٤٠٧ هـ)، من مؤلفاته اللغوية (ظاهرة الغريب في اللغة العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري) و(دلالة الألفاظ العربية بين علماء اللغة والأصوليين حتى نهاية القرن السادس الهجري).

٤٢. **حسن طراد**، الشيخ حسن بن محمد طراد العاملي المعاصر، تخرج في حوزة النجف الأشرف عالماً فقيهاً وأديباً شاعراً، له - على ما أتذكر - كتاب في البلاغة كان يقوم بتدريسه في الدورة الدينية التي أسسها سماحة المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم.

٤٣. **حسن قفطان**، الشيخ حسن بن علي بن نجم السعدي الشهير بـ(قفطان) (ت ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م)، وعرف الشيخ حسن خاصة بدرس قاموس الفيروزآبادي، وقد جرد منه رسائل مفيدة في بعض الأصول اللغوية وغيرها، منها (طب القاموس)، (أمثال القاموس)، (الأضداد)، (الافعال) اللازمة المتعدية في المعنى الواحد).

٤٤. **حسين الحلي**، الشيخ حسين بن علي بن حسين بن حمود الحلي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، كان من أبرز الفقهاء المجتهدين، وأشهر أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية النجفية المعدودين، تميز درسه بالشمولية والتدقيق، وتصيد الشوارد والتقاط النكات العلمية ذات الأهمية، وهو أول من تناول المسائل المستحدثة بالبحث والدراسة في حوزة النجف، له في المجال اللغوي رسالة في الأوضاع اللفظية وأقسامها وأنحاء وضع الألفاظ من العموم والخصوص وآثار تلك الأوضاع).

٤٥. **حسين العميدي**، قال المامقاني في (تنقيح المقال ١/ ٣١٦): الحسين بن الأبرز الحسيني الحلي، لقبه الشيخ الحر رحمته الله بالسيد كمال الدين، قال: إنه عالم فقيه محدث جليل، شاعر معاصر، له كتب، منها (كتاب الرجال) و(كتاب في النحو)، ومعاصرته للشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م)،

تعني أنه من رجالات القرن الحادي عشر الهجري، وربما القرن الثاني عشر الهجري.

٤٦. **حسين الهمداني**، السيد حسين بن علي بن أبي طالب الهمداني (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، من العلماء الفقهاء والأخيار الصلحاء، له في النحو (شرح الصمدية، للبهائي).

٤٧. **خليل ياسين**، خليل بن ياسين بن إبراهيم العاملي (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، تخرّج في النجف الأشرف عالماً فقيهاً وأديباً شاعراً، له في اللغة العربية (المفردات الأجنبية في اللغة العربية).

٤٨. **رضا الأصفهاني**، الشيخ آغا رضا بن محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م)، من علماء النجف وأدبائها وشعرائها المشهورين، من رعيّل الشيخ جواد الشبيبي والسيد جعفر الحلّي والسيد إبراهيم الطباطبائي والسيد محمد سعيد الحبوبي، له في علوم اللغة العربية وآدابها (السيف الصنيع على رقاب منكري البديع) و(شرح أرجوزة الميرزا مصطفى التبريزي في العروض والقافية).

٤٩. **رفيع الدين التبريزي**، السيد الميرزا رفيع الدين بن علي أصغر بن رفيع الدين التبريزي المشهور بـ(نظام العلماء) التبريزي (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، ترجمه الشيخ الطهراني في الطبقات: النقباء ٢/ ٧٨٧) فقال: كان من مشاهير رجال الفضل والعلم والأدب في عصره، جمع بين المعقول والمنقول، وشارك في أغلب العلوم، فكانت له براعة فيها، وكانت له اليد الطولي في اللغتين العربية والفارسية)، له (كافية العروض).

٥٠. **رؤوف جمال الدين**، الميرزا رؤوف بن محمد بن عبد الله جمال الدين، المعاصر، باحث متتبع، ومؤلف مكثّر، وأديب نثراً وشعراً، تتلمذ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، ثم التحق بدورة رجال الدين التربوية، وعين بعد تخرجه منها معلماً في المدارس العراقية له في اللغة العربية (مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد) و(المعجب في النحو).

٥١. **زهير زاهد**، الدكتور غازي زاهد، من المعاصرين، تخرج من جامعة بغداد بدرجة ماجستير آداب في اللغة العربية، ثم واصل دراسته العليا بكلية الآداب بجامعة القاهرة فخرج فيها بدرجة دكتوراه اللغة العربية، من أعماله اللغوية: تحقيق كتاب (إعراب القرآن) لابن الجصاص، وهو رسالته للدكتوراه.

٥٢. **صادق الفحام**، السيد صادق بن محمد الأعرجي الحسيني الشهير بـ(الفحام) (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م)، عرفه الدكتور الأميني في (الرجال ١ / ١٦٠) بقوله: فقيه كبير، وعالم كامل، وشيخ الأدب، وقاموس لغة العرب، ومن أكابر علماء وشعراء وقته، نبغ في الشعر والأدب، واحتل الصدارة بين رجال القريض وأعلام الأدب) وذكر من مؤلفاته اللغوية (الدرر النجفية في علم العربية) و(شرح شواهد قطر الندى).

٥٣. **السيد صادق الحسيني**، السيد صادق بن مهدي الحسيني الشيرازي المعاصر، عالم فاضل، ومؤلف مكثّر، له شروح لكثير من الكتب الدراسية الحوزوية، ومن أعماله اللغوية (شرح الصمدية للبهائي).

٥٤. **صادق التبريزي**، الشيخ صادق بن محمد بن محمد علي مجتهد القرداغي

التبريزي (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، من الفقهاء المراجع والزعماء العاملين، له في اللغة العربية (رسالة في المشتق).

٥٥. **الشيخ صالح بن باقر بن عبد علي الرشتي النجفي**، من علماء القرن الثالث عشر - الرابع عشر الهجري، له في اللغويات: رسالة في الاشتقاق، ذكرها شيخنا الطهراني في (الذريعة ٢ / ١٠٠ برقم ٣٩١).

٥٦. **صالح صحين**، الشيخ صالح بن مهدي بن علي الساعدي المعروف بـ(صحين) (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، تخرّج في حوزة النجف عالماً فاضلاً وأديباً ناظماً، له في علوم اللغة العربية (منظومة في النحو).

٥٧. **صالح الظالمي**، الأستاذ صالح بن مهدي الظالمي من المعاصرين، ومن شعراء العراق اللامعين، تخرج من كلية الفقه والحوزة العلمية في النجف ثم في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بدرجة ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، وعيّن أستاذاً للغة العربية في كلية الفقه بالنجف، من أعماله اللغوية (دراسته للاشتقاق التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير، ونشر له: دروب الضباب، يضم بعض شعره).

٥٨. **صفي الدين الطريحي**، الشيخ صفي الدين بن فخر الدين الطريحي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م)، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف وحاضرها ٢ / ٤٤٣): (من العلماء البارزين، والمدرسين المشهورين، ومن أرباب الاجازات)، من آثاره (مستدرك مجمع البحرين) (حواشي على مجمع البحرين).

٥٩. **طاهر الحكامي (الحجامي)**، الشيخ طاهر بن عبد علي بن عبد الرسول

المالكي الحكامي (الحجامي) (ت ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م)، كان من الفقهاء المجتهدين، والزعماء المراجع في بلاد سوق الشيوخ، له في اللغة العربية (الصحيفة العلية في نظم متن الاجرومية) (الأنوار السنية في شرح شرح الأجرومية).

٦٠. **عباس الترجمان**، الدكتور عباس بن علي الترجمان المعاصر، من أقطاب الأدب الشعبي في النجف الأشرف، ومن أشهر الرواديد الحسينيين. له في النحو (معاني حروف المعاني).

٦١. **عباس كاشف الغطاء**، الشيخ عباس بن حسن بن الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء، (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، تخرّج في الحوزة العلمية النجفية فقيهاً جليلاً وعالماً يشار إليه، له في علم النحو (نظم متن الأجرومية).

٦٢. **عباس الخويراوي**، الشيخ عباس بن عواد بن شاتي الخويراوي الناصري (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)، تخرّج في الحوزة العلمية النجفية، وشغل منصب المرجع الديني العام في منطقة الناصرية بالعراق، فكان من العلماء الزعماء الموفقين، له في النحو (مفتاح القواعد).

٦٣. **عباس زين العابدين**، الشيخ عباس بن هاوي زين العابدين، المعاصر، جاء في (رجال الأئميني ٢ / ٦٥٣): من أفاضل المشتغلين والمجدين في حقل الفقه والأصول، له الخبرة والألمام في الصرف والنحو الأدب له بحث في النحو).

٦٤. **عبد الحسين البقال**، الأستاذ عبد الحسين بن محمد علي البهبهاني البقال، المعاصر، تخرج في كلية الفقه بالنجف الأشرف، ومارس وظيفة التعليم

في المدارس العراقية، واتجه وجهة تحقيق التراث، فحقق من كتب الفقه والأصول، واشتهر بتحقيقه لكتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، له في اللغويات (معجم في اللغة) (المعجم المفهرس في مفردات يفعول).

٦٥. **عبد الحسين الرشدي**، الشيخ عبد الحسين بن عيسى بن يوسف الرشدي (ت ١٧٧٣م / ١١٨٧هـ)، تصدى للتدريس في النجف فتهافت عليه الطلاب زرافات ووحداناً، وكان لهم في الحلقات زحام حوله لما امتاز به من رحابة الصدر وحسن الخلق، وغزارة الفضل وحلاوة التعبير، وقد درّس الفقه والأصول والفلسفة وغيرها عشرات السنين، وتخرج عليه خلال ذلك المئات من طلاب العلم العرب والعجم والأتراك والهنود وغيرهم، من آثاره اللغوية (رسالة في الصرف)، (رسالة في النحو).

٦٦. **عبد الحسين الطريحي**، الشيخ عبد الحسين بن نعمة بن علاء الدين الطريحي (ت ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، له في علوم اللغة العربية (كتاب في الصرف)، (موصل الطلاب إلى أصول البناء والإعراب).

٦٧. **عبد الحسين محيي الدين**، الشيخ عبد الحسين بن قاسم بن محمد محيي الدين (ت ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)، من مبرزي أدباء وشعراء النجف في عصره، له (منظومة في النحو).

٦٨. **عبد الحسين المسلمي**، الشيخ عبد الحسين بن علي بن عبد الله حرز الدين (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)، من فقهاء النجف وأدبائها المعروفين في عصره، له في علوم اللغة العربية (كتاب في علم النحو)، (رسالة في العروض)، (رسالة في البديع).

٦٩. **عبد الرزاق محي الدين**، الدكتور عبد الرزاق بن أمان بن جواد محي الدين المتوفى بعد الأربعمئة والألف الهجرية، بدأ دراسته العلمية في حوزة النجف، وبعد أن أتم دراسة علوم العربية التحق بجامعة القاهرة، وواصل دراسته فيها حتى حصل على شهادة دكتوراه الآداب، كتب عن سيرته بقلمه في كتاب (الحالي والعاطل).

٧٠. **عبد الرسول التبريزي**، ترجمة شيخنا الطهراني في (الطبقات: الكرام ٧٣٠ / ٢) فقال: كان من المشاهير في النجف وحجة في العلوم ولا سيما الأدب حتى يقال إنه كان سيبويه زمانه...، له تصانيف بقيت في المسودة لرداء خطه.

٧١. **عبد الرسول الطريحي**، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف ٤٤٩ / ٢): ذكره في سلك الدرر... فقال: عبد الرسول الطريحي النجفي الأصل الحلي المولد والمسكن الأديب الفاضل الشاعر النحوي الكاتب، كان بارعاً بالأدب والمعاني والبيان والعروض والنحو والشعر، (ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م).

٧٢. **عبد الرسول عليخان**، السيد عبد الرسول بن عبد الحسين حتى وفاته طالباً فأساذاً، وخرج في أنديتها الأدبية كاتباً وشاعراً، وخلف أكثر من مؤلف بين مخطوط ومطبوع، منها (دروس في النحو).

٧٣. **عبد الصاحب الحلو**، السيد عبد الصاحب بن محمد حسن الحلو (ت ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م)، كان من الفقهاء المجتهدين والأتقياء الصالحين، له في اللغويات (رسالة في المعنى الحرفي) و(منظومة في النحو).

٧٤. **عبد الصمد الجزائري**، السيد عبد الصمد بن أحمد بن محمد الموسوي

الجزائري (ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)، تخرّج في الحوزة العلمية النجفية، وعدّ من المبرزين في الفقه والأصول والحديث والرجال، وأصبح المرجع العام في بلاده، نشر له (نظم كافية ابن الحاجب في النحو).

٧٥. **الشيخ عبد الظاهر بن مهر علي الأردبيلي** (ت بعد ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)، كان من أهل العلم الفضلاء والمعروفين بجودة الخط وكثرة النسخ للكتب، له (الجوابات لبعض المطالب الصرفية المشكّلة).

٧٦. **عبد الكريم الجزائري**، السيد عبد الكريم بن محمد جواد بن عبد الله الموسوي الجزائري (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، من أكابر العلماء الفضلاء والمؤلفين المحققين، له (شرح ألفية ابن مالك)، (حاشية على مغني اللبيب).

٧٧. **عبد الكريم الدجيلي**، الأستاذ عبد الكريم بن مجيد بن عيسى الدجيلي المعاصر، أوجز المترجم له نشأته العلمية في رسالة منه إلى الأستاذ الخاقاني نشرها في كتابه (شعراء الغري ٥ / ٥١٩) له في علوم اللغة العربية وآدابها (البند في الأدب العربي)، (ديوان أبي الأسود الدؤلي)، (المرشد في الإملاء ورسم الخط العربي).

٧٨. **عبد الكريم سعادة**، الشيخ عبد الكريم بن محمد علي بن عبد الكريم البرازجاني (ت ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م)، من علماء النجف وأدبائها، له أكثر من مؤلف منها في اللغويات (خلاصة الصرف).

٧٩. **عبد الله الجزائري**، السيد عبد الله بن أحمد بن عبد الله الجزائري المعروف بـ(السيد نجفي)، من المعاصرين، التحق بحوزة النجف، وبعد أن قطع شوطاً في الدرس أهله للقيام بمهمة الإرشاد والتبليغ رحل إلى بلاده (تستر)،

وأقام فيها يمارس وظيفة المبلِّغ الديني له (لغات القرآن).

٨٠. **عبد الله الموحيدي**، الشيخ عبد الله بن القاسم بن محمود الموحيدي المعروف بـ(نظر علي)، من المعاصرين، ترجمه الدكتور الأميني في (رجال الفكر ٣/ ١٢٤٧) فقال: من أجلاء المشتغلين والمتبعين في النحو والعلوم العربية، درس في النجف الأشرف، وحضر على شيوخها وفضلائها، وتصدى لتدريس المقدمات له (إيضاح العوامل).

٨١. **عبد الله الكرمانشاهي**، الشيخ عبد الله بن محمد تقي بن محمد مهدي الكرمانشاهي (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م)، قال شيخنا الطهراني (الطبقات: النقباء ٣/ ١١٩٥): عالم بارع وفاضل جليل... له آثار، منها: حاشية البهجة المرضية للسيوطي).

٨٢. **عبد الله الطهراني**، الميرزا عبد الله بن الميرزا ابن الحسن المولى بابا الأسترآبادي الطهراني الشهير بـ(جهل ستوني) (ت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)، من الفقهاء المجتهدين ومراجع الدين في بلاده طهران، له في اللغويات (رسالة في المشتق).

٨٣. **عبد المحسن اللويمي**، الشيخ عبد المحسن بن محمد بن مبارك اللويمي الأحسائي (ت حدود ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)، من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين والعلماء الزاهدين، له في علوم اللغة العربية (شرح العوامل للجرجاني)، (شرح الأجرومية)، (كفاية الطالب المودعة بدائع علم الإعراب نظماً وشرحاً).

٨٤. **عبد المطلب الخرساني**، السيد عبد المطلب بن هادي بن باقر الخرساني

من المعاصرين، تخرّج في كلية الفقه والتحق بسلك التعليم في المدارس العراقية وهو اليوم من فضلاء النجف وأدبائها، له (دراسات لغوية).

٨٥. **عبد المنعم الفرطوسي**، الشيخ عبد المنعم بن حسين بن حسن الفرطوسي (ت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، من أدباء النجف البارزين وأشهر شعرائها المحلقين، درس في حوزتها ودرّس، واشتهر بتدريسه لعلوم البلاغة من خلال كتابي (مختصر المعاني) و(المطول) للتفتازاني، وله في هذا المجال (شرح شواهد مختصر المطول).

٨٦. **عبد المهدي مطر**، أستاذنا الشيخ عبد المهدي بن عبد الحسين بن حسن بن مطر الخفاجي (ت بعد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، من أفاضل علماء النجف ومشاهير شعرائها، تخرّج في حوزتها، وقام بالتدريس فيها، وكذلك في كلية الفقه لمادتي النحو والصرف، وقد دوّن محاضراته في كتاب بعنوان (دراسات في قواعد اللغة العربية) بأربعة أجزاء، وهو من خيرة ما ألّف في هذا العلم على النمط القديم، فقد استوعب فيه مؤلفه المادة النحوية بشمولية وافية وبحث مؤصل ومعمق، واختيار موفق في المنظورات والمتبنيات.

٨٧. **الشيخ عبد الهادي بن جواد بن كاظم البغدادي الملقب ب(شليلة)** (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، درس ودرّس في النجف الأشرف واشتهر بالبراعة والحدق في الأدب والشعر وبالتبحر والخيرة في المنطق والحكمة، وبالتحقيق والتدقيق في الفقه والأصول، وسعة الاطلاع في غير ذلك، وقد ظهر فضله واشتهر علمه وأصبح في مصاف أجلاء العلماء في النجف (الطبقات: النقباء ٣ / ١٢٥٥) له (المختصر الشافي في العروض والقوافي)

و(شرح موصل الطلاب إلى أصول البناء والإعراب)، (رسالة في المشتق).

٨٨. عبد الهادي ابن الميرزا محسن ابن الشيخ سلطان الفضلي كاتب هذا

البحث، كانت بدايات تعليمي علوم اللغة العربية وآدابها على يد سماحة المغفور له والدي الشيخ ميرزا محسن الفضلي (ت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)، وفي مجال التعليم الجامعي بمرحلة البكالوريوس درست في كلية الفقه بالنجف الأشرف، وفي مرحلة الماجستير درست بكلية الآداب / جامعة بغداد، وكان موضوع وعنوان رسالتي للماجستير (أسماء فعال والأصوات دراسة ونقد) بإشراف الدكتور إبراهيم السامرائي، وفي مرحلة الدكتوراه التحقت بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة، وكان موضوع وعنوان رسالتي (قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية) بإشراف الأستاذ الدكتور أمين علي السيد، ومن مؤلفاتي في علوم اللغة العربية (مختصر الصرف)، (مختصر النحو)، (تلخيص البلاغة)، (تلخيص العروض)، (في علم العروض: نقد واقتراح)، (دراسات في الفعل)، (دراسات في الإعراب).

٨٩. عدنان الغريفي، السيد عدنان بن شبر بن علي الموسوي الغريفي البحراني

(ت ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م)، اشتهر المترجم له بين طبقات أهل العلم والفضل والأدب في النجف، واعترف بمكانته السامية ومقامه الرفيع أساتذته وغيرهم من أكابر العلماء والمدرسين، وأصبح في عداد الأجلاء البارزين والفقهاء المجتهدين، ووجوه رجال الدين، وهو متوسط السن، وكانت شخصيته جامعة فقد شارك في مختلف فنون العلم وبرع في الأدب والشعر والحكمة والتاريخ والحديث والتفسير والفقه والأصول وغيرها،

تصدى للتدريس فقرأ عليه كثير من الفضلاء واستفادوا من علمه ومعرفته، له في النحو (شرح شواهد المغني).

٩٠. **عز الدين الجزائري**، الشيخ عز الدين بن محمد جواد بن علي الجزائري المعاصر، تتلمذ على والده الشيخ محمد جواد الجزائري وعمه الشيخ عبد الكريم الجزائري، وغيرهما في حوزة النجف العلمية، وعرف في أوساطها أديباً من أدبائها، وكاتباً موفقاً وبخاصة في مجال الفكر الإسلامي الرسالي، له في النحو (التعاريف النحوية).

٩١. **عقيل الخلخالي**، السيد عقيل بن عبد الرزاق بن عبد الفتاح الحسيني الخلخالي (ت ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)، تخرّج في الحوزة العلمية النجفية وقام بالتدريس فيها، وكان إلى جانب هذا متخصصاً بالطب البشري، له في اللغة حاشية على القاموس المحيط للفيروزآبادي).

٩٢. **السيد علي بن محمد بن حسن بن محسن الأعرجي الكاظمي**، من علماء القرن الرابع عشر الهجري، من آثاره النحوية (شرح مبحث الاستثناء من ألفية ابن مالك).

٩٣. **علي بحر العلوم**، السيد مير علي بن محمد بن محمد تقي آل بحر العلوم (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، كان من العلماء الأدباء، له في النحو (كشف الأسرار في شرح الإظهار لمحمد الكركي).

٩٤. **علي الرامهرمزي**، السيد علي بن محمد بن علي الموسوي الرامهرمزي (ت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، تخرّج في الحوزة العلمية النجفية، وشغل في منطقة الأهواز منصب العالم الديني المرجع، من آثاره اللغوية (أساس النحو).

٩٥. **علي الحكيم الجزائري**، السيد علي أصغر بن حسين بن علي الموسوي الجزائري المعروف بـ(الحكيم) (ت ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م)، من الفضلاء الأجلاء والمصنفين الكثيرين، له في النحو (مختصر مغني اللبيب).

٩٦. **علي الجواهري**، الشيخ علي بن مير أحمد بن حسين الجواهري من علماء القرن الرابع عشر الهجري، من أعماله اللغوية (أرجوزة في النحو)، (كتاب في العروض).

٩٧. **علي حيدر**، الشيخ علي بن محمد علي آل حيدر (ت ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م)، وكان من علماء الحوزة العلمية النجفية وأساتذتها المبرزين، والمؤلفين المحققين له (شرح مختصر التفتازاني في علم المعاني).

٩٨. **علي الصدر (الأب)**، علي محمد خان نظام الدولة بن محمد بن علي الصدر الأصفهاني (ت ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م)، من العلماء الفضلاء والأدباء الشعراء والمشاركين في أكثر من علم، له (كتاب النحو والصرف).

٩٩. **علي الصدر (الابن)**، علي بن محمد خان - المقدم ذكره (ت حدود ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م)، درس في حوزة النجف ثم اشتغل بالتجارة وكان من أكابر وجهاء النجف، له (كتاب في النحو).

١٠٠. **علي أبو عبد الكريم الخنيزي**، الشيخ علي (أبو عبد الكريم) بن حسن علي ابن حسن الخنيزي القطيفي (ت ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م)، تخرّج في حوزة النجف ورجع إلى بلاده القطيف وشغل فيها وظيفة العالم الديني ووظيفة القاضي الجعفري الرسمي، من آثاره في علم الصرف (شرح حاشية النظام على الشافية).

١٠١. **علي الشريعتمداري**، الشيخ علي بن محمد جعفر الشريعتمداري الأسترآبادي الطهراني (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين، فقد جاوز عدد مؤلفاته السبعين، ذكر فهرسها شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٤ / ١٣٦٢) نقلاً عن كتاب من كتب المترجم له ومن مؤلفاته اللغوية هي (الجامعة النحوية والصرفية بين التركيب وشرح الألفية)، (عمدة الطالب في النحو).

١٠٢. **علي الشرقي**، الشيخ علي بن جعفر بن محمد حسن الشرقي سنة (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، من أعلام الأدب النجفي ومشاهير الشعراء العراقيين، تخرج في حوزة النجف، معاهدها العلمية وأنديتها الأدبية، شغل منصب القضاء الجعفري في المحاكم العراقية ثم عضوية محكمة التمييز الجعفرية ببغداد، له في اللغة العربية (كتاب قيد الفصح وصيد الشوارد). قال عنه الشيخ محبوه في (ماضي النجف وحاضرها ٢ / ٣٩٧): مجموع لغو نفيس).

١٠٣. **علي آل عطيفة**، السيد علي بن عطيفة الحسيني الكاظمي (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)، قال شيخنا الطهراني في ترجمته من (الطبقات: النقباء ٤ / ١٤٨١): كان غزير العلم، واسع المعرفة والاطلاع، بارعاً في كثير من العلوم، معروفاً بالتحقيق في تدريس النحو والمنطق، والمهارة في الفقه والأصول، له في النحو نهج الهدى في شرح قطر الندى، ألفه سنة (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م).

١٠٤. **علي الجزائري**، السيد علي بن آقا سيد بن عبد الله الجزائري التستري، من المعاصرين، تخرج في كلية الفقه، وتعلم في الحوزة العلمية النجفية، ثم رجع إلى بلاده الأهواز يشغل فيها وظيفة العالم الديني مشغلاً بالتأليف والكتابة، له في النحو (الجملة الشرطية).

١٠٥. **علي العلياري**، الشيخ علي بن عبد الله بن محمد العلياري (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: ٤/ ١٤٧٦): عالم جليل وفقه كبير ومؤلف مكثراً، له (الوافية في شرح لغز الكافية).

١٠٦. **علي الغريفي**، السيد علي بن محمد بن علي الموسوي الغريفي البحراني (ت ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) عالم مشارك، وشاعر مجيد، له (المقاييس في اللغة).

١٠٧. **علي الفضلي**، الشيخ علي بن محمد بن ميرزا محسن الفضلي المعاصر، التحق بكلية الفقه، ثم واصل دراسته في كلية دار العلوم بالقاهرة وحصل على ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، وشارك في التعليم الجامعي في العراق ثم استقر في النجف للدرس الحوزوي، وله أكثر من مؤلف في اللغويات وغيرها.

١٠٨. **علي كاشف الغطاء**، الشيخ علي بن محمد رضا بن هادي آل كاشف الغطاء (ت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، من العلماء الفضلاء والمؤلفين المشهورين، له (نهج الصواب أو حل مشكلات الإعراب).

١٠٩. **علي محيي الدين**، الشيخ علي بن حسين آل محيي الدين (ت ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م)، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف ٣/ ٣٢٣): من رجال العلم وأهل التأليف والتصنيف، وكان فاضلاً جامعاً للمعقول والمنقول وحاوياً للفروع والأصول، له قصيدة في النحو.

١١٠. **علي المشغري**، الشيخ علي بن محمد المشغري العاملي من علماء وأدباء القرن الحادي عشر الهجري، له رسالة في العروض.

١١١. **علي الهمداني**، السيد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد الصمد الحسيني الهمداني (ت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م)، من العلماء الأجلاء والفقهاء الفضلاء، له (حاشية علي شرح التصريف).

١١٢. **فخر الدين الطريحي**، الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي (ت ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م)، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف ٢ / ٤٥٤): من مشاهير علماء النجف، اجتهد فحاز السبق في كل الفنون العلمية، وألف واشتهرت مؤلفاته اشتهاه الشمس في رابعة النهار، أسس لأسرته مجدداً خالداً، وبنى لها بيتاً قائماً بالعلم والأدب، وقد خدم الدين والمذهب خدمة جليلة، له في اللغويات (مجمع البحرين ومطالع النيرين في تفسير غريب القرآن والحديث).

١١٣. **الشيخ فرج الله الحويزي**، الشيخ فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي (ت ١١٤١هـ / ١٧٢٩م)، من فضلاء النجف وأدبائها الشعراء، له: كتاب (تذكرة العنوان).

١١٤. **قاسم محيي الدين**، الشيخ قاسم بن حسن بن موسى محي (ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، له في علوم اللغة العربية (المصابيح النحوية في شرح الألفية)، (أمان الخليل في علم العروض).

١١٥. **كاظم القاروبي**، الشيخ كاظم ابن الحاج فرج القاروبي التبريزي، من المعاصرين، من علماء حوزة النجف وأساتذتها المعروفين، له (السيف المشهر في بيان المصدر واسم المصدر)، (مغالطات الألفية).

١١٦. **مجيد ناجي**، الدكتور مجيد بن حميد ناجي، من المعاصرين، تخرج في كلية

الفقه ثم واصل دراسته العليا في القاهرة حتى حصوله على شهادة الدكتوراه في علم البلاغة، وقام بالتعليم الجامعي في كلية الفقه في النجف وجامعات ليبيا والجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن، وهو اليوم من أدباء العراق وشعرائه المعروفين، وله في علوم اللغة العربية وآدابها أكثر من مؤلف.

١١٧. **محسن الأمين**، السيد محسن بن عبد الكريم بن علي الأمين الحسيني العاملي (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)، من أكابر علماء الإمامية في الفقه والحديث والرجال والتاريخ والأدب نثره وشعره، تخرج في حوزة النجف وشغل منصب العالم المرجع في دمشق حتى وفاته، وله الموسوعة الشهيرة الموسومة بـ(أعيان الشيعة) في تراجم أعيان الشيعة.

١١٨. **محسن البزوني**، الشيخ محسن بن حسن آل كريم البزوني، من المعاصرين، من العلماء والأدباء والباحثين المؤلفين، له (معجم القرآن الكريم).

١١٩. **محسن الجواهري**، الشيخ محسن بن شريف بن عبد الحسين الجواهري (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، فقيه مجتهد وحكيم ومتأله وباحث متضلع، له (الفرائد الغوالي في شرح شواهد الأمالي (أمالي الشريف المرتضى)، وهو من أوسع الموسوعات اللغوية الأدبية في المادة اللغوية الأدبية، وأوفرها في التدقيق والتحقيق، وأغناها بالنكت الفكرية والفنية.

١٢٠. **محسن الحكيم**، السيد محسن بن مهدي بن صالح الطباطبائي الحسيني الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، من عظماء أعلام الإمامية، وأعظم مراجعها الزعماء، نهض بأعباء الرئاسة الدينية التي أناطتها الطائفة بشخصيته القيادية في أفضل الوجوه، فنشطت وتوسعت الحركة العلمية في أيامه، وكان لها حضورها

السياسي. أنشأ الكثير من المؤسسات الثقافية، منها: مدرسته الدينية ومكتبته العامة في النجف الأشرف، وموسوعته الفقهية القيمة (مستمسك العروة الوثقى) وغيرها، له في علوم اللغة العربية (رسالة في شرح الاستثناء)، (شرح مراح الأرواح في علم الصرف).

١٢١. **محسن الدجيلي**، الشيخ محسن بن أحمد بن عبد الله الدجيلي (ت حدود ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م)، كان من العلماء الأدباء، له (شرح الأمثال العربية).

١٢٢. **محمد علي الآيتي**، الشيخ محمد علي بن حسن الآيتي (١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م)، عالم فاضل، وأديب ناثر شاعر، له في علوم اللغة العربية (الفوائد المرضية في شرح القواعد النحوية والصرفية).

١٢٣. **محمد باقر الأراكي**، الشيخ محمد باقر الأراكي (العراقي) (ت بعد ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، من العلماء الفضلاء، والمؤلفين المحققين، له (السيف المشهر في تحقيق اسم المصدر).

١٢٤. **محمد باقر الأردكاني**، الميرزا محمد باقر الشريف ابن علي رضا الأردكاني، كان معاصراً للشيخ صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م)، وكان من علماء عصره الأجلاء، قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: الكرام ١ / ١٨٧): وله آثار جلية.

١٢٥. **محمد إسماعيل الأرومي**، الشيخ إسماعيل بن علي نفي الأرومي (ت ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م)، من العلماء المجتهدين والمؤلفين المكثرين، له (لغات القرآن).

١٢٦. **محمد تقي الدزفولي**، الشيخ محمد تقي بن حسن بن أسد الله الدزفولي الكاظمي (ت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)، تخرج في حوزة النجف العلمية وسكن مدينة الكاظمية في العراق مرجعاً دينياً حتى وفاته، له في النحو (شقائى المطالب في شرح كافية ابن الحاجب).

١٢٧. **محمد حسين الأصفهاني**، الشيخ محمد حسين بن محمد حسن معين التجار الأصفهاني الغروي الشهير بـ (الكمباني) (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، كان من أعظم الفقهاء وأكابر الفلاسفة، تخرج فيه جمع كبير من علماء النجف الأشرف، كان الكثير منهم من مراجع التقليد والفتيا، وله تأليفات قيمة تميزت بالتحقيق والتدقيق والغور إلى الفكر العميق، له في الدراسات اللغوية (رسالتان في المشتق).

١٢٨. **محمد مهدي الأصفهاني**، السيد محمد مهدي بن صادق بن زين العابدين الأصفهاني الكاظمي (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، عالم فاضل ومؤلف مكثراً، له أكثر من خمسين مؤلفاً، منها (منظومة في النحو).

١٢٩. **محمد هاشم الأصفهاني**، السيد محمد هاشم بن جلال الدين بن مسيح الأصفهاني (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، كان من أساتذة حوزة النجف العلمية في الفقه وأصوله، له (حاشية المغني).

١٣٠. **محمد علي الأفغاني**، الشيخ محمد علي بن مراد علي الأفغاني (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، الشهير بـ (المدرس)، من أشهر أساتذة الحوزة النجفية في علوم اللغة العربية، وكانت حلقة درسه من أوسع الحلقات الدراسية، له (الكلام المفيد للمدرس والمستفيد).

١٣١. **محمد البغدادي**، السيد محمد بن صادق بن محمد العطار الحسيني البغدادي (ت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، كان من مراجع الدين التقليد والفتيا، وأساتذة الدراسات العليا في الفقه والأصول، له (منظومة في النحو).

١٣٢. **محمد علي البهشتي**، الشيخ محمد علي بن حسين القاري (ت بعد ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م)، من علماء النجف الأفاضل، اشتهر بتخصصه في علوم القرآن الكريم، وله في ذلك (حلية المرتلين في تجويد القرآن المبين).

١٣٣. **محمد علي التبريزي**، الشيخ محمد علي بن أحمد القرجة داغي التبريزي (ت حدود ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)، عرفه الدكتور الأميني في (الرجال ١ / ٢٨٦) بقوله: فقيه أصولي متتبع متكلم مفسر عروضي عارف بالعربية، مؤلف محقق، من أساتذة الفقه والأصول، له (العروض والقافية).

١٣٤. **محمد الجرجاني**، الشيخ محمد بن علي بن محمد الجرجاني من علماء القرن الثامن الهجري، تتلمذ على العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) وأقام في النجف أستاذاً في حوزتها ومرشداً لأهلها، له (المباحث العربية)، (سرائر العربية)، (البدیع في النحو).

١٣٥. **محمد تقي الجزائري**، السيد محمد تقي بن أحمد بن علي أكبر الجزائري المعاصر، تخرج في حوزة النجف.

١٣٦. **محمد جواد الجزائري**، الشيخ محمد جواد بن علي بن كاظم الجزائري (ت ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م)، من علماء النجف الأفاضل وأساتذة حوزتها الأمثال، من أعلام منتدياتها الأدبية، اشتهر بالفلسفة الإلهية، وألف فيها،

وكان من أبطال الثورات الإسلامية العراقية ضد الاستعمار البريطاني، له في النحو (حاشية علي شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك).

١٣٧. **محمد حسن الجزائري**، السيد محمد حسن بن محمد حسين بن محمد جعفر الجزائري المعاصر من فضلاء النجف وأدبائها، له تضمين ألفية ابن مالك.

١٣٨. **محمد علي الجزائري**، السيد محمد علي بن محمد عباس بن علي أكبر الجزائري (ت ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م) الملقب بـ (المفتي)، تخرج في النجف الأشرف وأقام في لكهنؤ بالهند أستاذاً حوزوياً ومرشداً دينياً، وللمدرسة الدينية فيها، له (ضبط الغريب من لغة العرب).

١٣٩. **محمد الجزائري**، الشيخ محمد بن علي بن كاظم الجزائري (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)، من أفاضل النجف وأدبائها، له كتابات في النحو.

١٤٠. **محمد تقي الجلاي**، السيد محمد تقي بن محسن الجلاي المعاصر، عالم فاضل ومرشد عامل، له (نزهة الطرف في علم الصرف).

١٤١. **محمد علي الجهاروهي**، الشيخ محمد علي بن محمد بن زين العابدين الجهاروهي (ت ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م)، كان من أبرز علماء النجف وألمع أساتذتها وبخاصة فيما يعرف بدرس السطوح، له (التيان في اللغة).

١٤٢. **محمد باقر الحائري**، السيد محمد باقر ابي القاسم بن حسين الطباطبائي الحائري (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٣م)، الملقب بـ (الحجة)، تخرج في حوزة النجف الأشرف، وأقام في كربلاء المقدسة مرجعاً دينياً في التدريس والفتيا والأصلاح، له (الدرة في النحو).

١٤٣. **محمد علي الحسيني**، الدكتور السيد محمد علي بن هادي الحسيني، المعاصر، تخرّج في جامعة بغداد وبدرجة الماجستير في اللغة العربية، ثم واصل دراسته حتى حصل على الدكتوراه في اللغويات من بريطانيا، وهو الآن من علماء اللغة العربية وأدائها المعروفين، ومن أساتذة اللغويات في طهران، له في النحو (الوافية في شرح الكافية "تحقيق").

١٤٤. **محمد تقي الحكيم**، أستاذنا الكبير السيد محمد تقي بن محمد سعيد بن حسين الحكيم، المعاصر، من أعلام علماء وأدباء وأساتذة النجف الأشرف، شارك في تأسيس كلية الفقه في النجف، وكان من أبرز أساتذتها وأحد عمدائها وعمداها، كما شارك في التدريس بقسم ماجستير الشريعة في معهد الدراسات العليا بجامعة بغداد، واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو أول من ألّف في أصول الفقه المقارن، وكتابه المعنون (الأصول العامة للفقه المقارن) يعتد أهم مرجع علمي في هذه المادة، ويقوم بتدريس البحث الخارج في حوزة النجف العلمية، وتميز بالمنهجية في كتاباته وتأليفاته، وبالقدرة التربوية، فقد تخرج فيه الكثير من أدباء النجف وفضلائها المعاصرين وبخاصة الذين تتلمذوا عليه في كلية الفقه، له في اللغويات (الاشتراك والترادف)، (الوضع: تحديده. تقسيماته. مصادر العلم به)، (المعنى الحرفي في اللغة بين النحو والفلسفة والأصول).

١٤٥. **محمد مهدي الخرسان**، السيد محمد مهدي الخرسان، السيد محمد مهدي ابن حسن بن عبد الهادي الخرسان، من المعاصرين، من أفاضل علماء النجف

وأماثل محققي التراث فيها، تميزت باهتماماته في بيليوغرافيا المخطوطات العربية، وقدم للكثير من كتب التراث المطبوعة، له (شرح مسائل نافع بن الأزرق).

١٤٦. **محمد هادي الخرسان**، السيد محمد هادي بن محمد رضا بن حسن الموسوي الخرسان، المعاصر، تخرج في كلية الفقه وحوزة النجف العلمية، له في الدرس اللغوي (شرح تهذيب المغني).

١٤٧. **محمد الخليفة**، السيد محمد بن خليفة الموسوي الأحسائي (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)، تخرج في حوزة النجف عالماً فاضلاً، وأقام بمدينة البصرة عالماً مرجعاً، من مؤلفاته (شرح بحث الاستثناء من شرح بدر الدين لألفية ابن مالك).

١٤٨. **محمد الخليلي**، الشيخ محمد بن حسين الخليلي (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، من الفقهاء المجتهدين والزهاد المتسكين، له (غريب القرآن).

١٤٩. **محمد علي الخونساري**، الشيخ محمد علي بن محمد حسن بن محمد علي الخونساري (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، من علماء حوزة النجف الأفاضل وأساتذتها المعروفين، له (رسالة في المبادئ اللغوية).

١٥٠. **محمد تقي الخوئي**، السيد محمد تقي بن أسد الله الخوئي من علماء القرن الرابع عشر الهجري، له (التحفة المرضية: أرجوزة في علم الصرف).

١٥١. **محمد رضا ذهب**، الشيخ محمد رضا بن محمود بن محمد ذهب (ت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م)، من علماء حوزة النجف وأساتذتها، اشتهر بتضلعه في علوم اللغة العربية وآدابها وكان من أهم مراجعها آنذاك.

١٥٢. **محمد الزيني**، السيد محمد بن أحمد بن علي الحسيني الزيني (ت ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، كان عالماً أديباً وشاعراً مجيداً، اشتهر بتفوقه في علوم البلاغة وله تأليفات فيها.

١٥٣. **محمد السماوي**، الشيخ محمد بن طاهر حبيب الفضلي الشهير بـ(السماوي) (ت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، من مشاهير علماء النجف وأدبائها، شغل وظيفة القاضي الجعفري في عدة مدن عراقية، وعين عضواً في محكمة التمييز الشرعي الجعفري ببغداد، له في النحو (ملتقطات الصحو في مستنبطات النحو) وهي أرجوزة.

١٥٤. **محمد حسين سميسم**، الشيخ محمد حسين بن محمد بن أحمد آل سميسم (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) من العلماء الفضلاء والمؤلفين المكثرين، له (مختصر مجمع البحرين، للطريحي).

١٥٥. **الشيخ محمد جواد بن علي بن عبد الرضا السهلاني المعاصر**، من العلماء الأدباء والوجهاء النبلاء، له (في ظل الخليل: دراسة في علم العروض).

١٥٦. **محمد رضا الشبيبي**، الشيخ محمد رضا بن جواد بن محمد الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، كان من مشاهير مؤرخي العرب، ومبرزي علماء اللغة، اختير عضواً في جميع المجمع اللغوية العربية، ورأس المجمع العلمي العراقي، وحاضر في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة، ومنح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة، له (أصول ألفاظ اللهجة العراقية)، (لهجات الجنوب).

١٥٧. **محمد حسن شريعتمدار**، الشيخ محمد حسن بن محمد جعفر بن سيف الدين شريعتمدار الإسترابادي (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م)، من الفقهاء المجتهدين والمؤلفين المكثرين، له (حاشية شرح الجامي على كافية ابن الحاجب في النحو).

١٥٨. **محمد علي الشهرستاني**، السيد هبة الدين محمد علي بن حسين بن محسن الشهرستاني (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)، قال شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٤/ ١٤١٤): عالم كبير ومجتهد مجدد ومصلح معروف له (رواشح الفيوض في علم العروض).

١٥٩. **محمد حسين الشيرازي**، الشيخ محمد حسين بن خليل الله بن أسد الله الشيرازي (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م)، تخرّج في حوزة النجف عالماً جليلاً ومؤلفاً باحثاً، له (لغات القرآن).

١٦٠. **محمد علي الشيرازي**، الشيخ محمد علي بن محب علي بن محمد علي الشيرازي (ت ١٣١٩هـ / ١٩٠١م)، تخرّج في حوزة النجف وقطن شيراز مرجعاً لأهلها في الفتيا والإصلاح، له (فرائد الدرر في النحو).

١٦١. **محمد رضا آل صادق**، الشيخ محمد رضا بن محمد بن صادق آل صادق، المعاصر، تخرج في كلية الفقه، وانخرط في سلك التعليم العراقي، له (الوصف عند النحويين والأصوليين).

١٦٢. **محمد حسن الطالقاني**، السيد محمد حسن بن عبد الرسول بن مشكور الطالقاني، من شعراء النجف وكتّابها، أصدر صحيفة (المعارف)، وقام بالتعليم الابتدائي في المدارس العراقية، له (سحر الأديب في شواهد اللبيب).

١٦٣. **محمد حسين الطريحي**، الأستاذ محمد حسين بن محمد كاظم بن كاتب الطريحي، تخرّج في جامعة بغداد، له (اللغة في شعر الجواهري).
١٦٤. **محمد رضا الطريحي**، الاستاذ محمد رضا بن محمد كاظم بن كاتب الطريحي، تخرّج في كلية الفقه، ثم في كلية دار العلوم بدرجة ماجستير اللغة العربية في النحو والصرف والعروض، له (النواسخ في النحو العربي).
١٦٥. **محمد هادي الطهراني**، الشيخ محمد هادي بن محمد أمين الطهراني المعروف بـ(المدرس) (ت ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م)، من أعلام الحوزة العلمية في النجف علماً وتديساً وشهرة، له (منظومة في النحو).
١٦٦. **محمد الظويهري**، الشيخ محمد بن يونس بن راضي بن شويهي الظويهري من علماء القرن الثالث عشر، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف ٣/ ٥٦٥ هامش): وهو من العلماء المصنفين المكثرين، جرى قلمه في أكثر الفنون)، له (الجمانة البحرية في اللغة).
١٦٧. **محمد علي العاملي**، السيد محمد علي بن صدر الدين بن صالح الموسوي العاملي (ت ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م)، تخرّج في حوزة النجف فقيهاً ومجتهداً، ومارس التدريس العالي والبحث والتأليف، وسكن بعد ذلك مدينة أصفهان زعيماً دينياً عاماً حتى وفاته، له (ألفية في النحو).
١٦٨. **محمد الزين**، الشيخ محمد بن سليمان بن علي الزين العاملي (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)، اشتهر في أوساط حوزة النجف - مضافاً إلى فقاوته - بتخصصه في علوم اللغة العربية وآدابها، له (حاشية علي شرح النظام في شافية ابن الحاجب في الصرف).

١٦٩. **محمد علي العاملي**، السيد محمد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي (ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م)، له (كتاب في النحو)، (كتاب في الصرف).
١٧٠. **محمد علي علي خان**، السيد محمد علي بن عبد الحسين بن علي آل السيد علي خان (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، من فضلاء النجف وأدلائها، شارك في التدريس الحوزوي والنشر في الصحف النجفية، له (كتاب في النحو).
١٧١. **محمد رضا الغراوي**، الشيخ محمد رضا بن قاسم بن محمد الغراوي (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، فقيه مجتهد وأديب فاضل ومؤلف مكثر، وعالم مشارك، له (لب اللباب في معاني بعض غريب اللغة والحديث والكتاب).
١٧٢. **محمد مهد الغروي**، من فضلاء النجف في القرن الرابع عشر الهجري، كان حياً سنة (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، وعرف بأستاذيته للمقدمات الحوزوة وبخاصة النحو والصرف والمنطق، وله (رسالة في أبواب التعريف، رسالة في النحو).
١٧٣. **محمد رضا آل كاشف الغطاء**، الشيخ محمد رضا هادي بن عباس آل كاشف الغطاء (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)، من مشهوري علماء النجف وأساتذتها، ومن الفاضل المشاركين في الكثير من العلوم، له (رسالة في الخط العربي / رسالة في الفرق بين الضاد والطاء).
١٧٤. **محمد الكركي**، الشيخ محمد بن علي الكركي العاملي، المعاصر لشيخنا الطهراني صاحب الذريعة عرف بتضلعه في النحو والصرف، وله فيه (كتاب الإظهار، وهو متن مختصر رتبّه على ثلاثة أبواب الأول في العامل والثاني في المعمول والثالث في العمل).

١٧٥. **محمد الكرمي**، الشيخ محمد بن محمد طه بن نصر الله الكرمي، من أفاضل العلماء المعاصرين والمؤلفين المحققين، له (الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح).

١٧٦. **محمد علي كمال السدني**، الأستاذ السيد محمد علي بن عيسى بن محمد آل كمال السدني (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، تخرّج في دار المعلمين العالية ببغداد والتحق بسلك التعليم الثانوي في المدارس العراقية، أَلَف في اللغة والأدب والتاريخ، وله: كتاب تيسير العربية في النحو.

١٧٧. **محمد حسين الكيشوان**، السيد محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي الشهير بـ(الكيشوان) (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، له (تحفة الخليل في العروض والقوافي (منظومة)).

١٧٨. **محمد جواد محفوظ**، الشيخ محمد جواد بن موسى بن حسن آل محفوظ (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م)، تخرّج في حوزة النجف عالماً فاضلاً وأديباً لامعاً، له حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام / منظومة في النحو.

١٧٩. **محمد رحيم المشهدي**، الشيخ محمد رحيم بن محمد المشهدي (ت ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م)، قال فيه شيخنا الطهراني في (الطبقات: النقباء ٢ / ٧٢٢): عالم كبير وفقه جليل من الأعاضم المشاهير، له: كتاب في النحو.

١٨٠. **محمد جواد مطر**، الشيخ محمد جواد بن حسن بن مطر (ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م)، قال فيه الشيخ محبوبة في (ماضي النجف ٣ / ٣٥٩): من أهل العلم الساهرين والمجتهدين في طلبه... له مؤلفات كثيرة تزيد على الستين كتاباً في شتى الفنون لم يطبع منها شيء، له في النحو والمنطق والهيئة وعلم الدراية، وله أرجوزة في النحو والمنطق.

١٨١. **محمد كاظم الملكي**، الأستاذ محمد كاظم بن محمد صادق بن قنبر الملكي (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، قال الدكتور الأميني في (الرجال ٣/ ١٢٤٣): من أساتذة الحساب واللغة العربية، ولد في النجف الأشرف، وتخرج من مدارسها الحكومية. له: الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية.
١٨٢. **محمد علي الموحى**، الشيخ محمد علي بن بشارة بن عبد الرحمن آل موحى الكعبي (ت حدود ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م)، من العلماء والأدباء ذوي الحضور والصيت في الأوساط العلمية والأدبية في النجف، الريحانة في النحو.
١٨٣. **محمد كاظم النحوي**، السيد محمد كاظم الموسوي النحوي (ت ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م)، من العلماء الأجلاء، له: التهليلية في إعراب كلمة التوحيد.
١٨٤. **محمد النصيري الدامغاني**، من العلماء الفضلاء المعاصرين، له جامع الفروق / شواهد المغني.
١٨٥. **محمد علي الهزار جريسبي**، الشيخ محمد علي بن محمد باقر الهزار جريسبي (ت ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م)، عامل جليل ومؤلف مكثراً، له: تعليقة على حرف الهمزة من كتاب المغني لابن هشام.
١٨٦. **محمود التبريزي**، السيد محمود بن علي أصغر بن محمد تقي الحسيني (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) فقيه مجتهد ومؤلف محقق، له: حاشية مجمع البحرين.
١٨٧. **محمود سميم**، الشيخ محمود بن أحمد آل سميم (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)، من مشاهير علماء وأدباء النجف في عصره، له: شرح ألفية ابن مالك.
١٨٨. **محمود الشاهرودي**، السيد محمود بن علي بن عبد الله الحسيني الشاهرودي (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، من الفقهاء المجتهدين ومراجع التقليد والفتيا، ومشاهير أساتذة الحوزة العلمية، له كتاب في علم النحو.

١٨٩. **مرتضى الشيخ**، السيد مرتضى بن علي رضا الطباطبائي المعروف بـ(الشيخ) (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م)، قال الدكتور الأميني في (الرجال ٢/ ٧٦٦): مجتهد جليل عالم مؤلف ورع زاهد. عرف بـ(الشيخ) لكثرة زهده وورعه، له كتاب في النحو.

١٩٠. **مرتضى نظام الدولة**، الشيخ مرتضى قلي خان بن علي محمد خان آل نظام الدولة (ت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)، من أفاضل علماء النجف ومشاهير أدبائها، له تنمة طراز اللغة، للسيد علي خان المدني.

١٩١. **مصطفى التبريزي**، الشيخ مصطفى بن حسن بن محمد باقر التبريزي (ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)، من العلماء البارزين وذوي المعرفة الواسعة في العلوم الأدبية والرياضيات، له: رسالة في علم العروض.

١٩٢. **مصطفى جمال الدين**، الدكتور مصطفى بن جعفر بن عناية الله جمال الدين، المعاصر، تخرّج في كلية الفقه، ثم واصل دراسته العليا حتى حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، بالإضافة إلى دراسته الحوزوية، له: الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة، البحث النحوي عند الأصوليين.

١٩٣. **مصطفى الدشتي**، السيد مصطفى بن عبد الله بن محمد صادق الحسيني الدشتي، من أفاضل العلماء ومبرزي أساتذة الحوزتين في النجف الأشرف وقم المقدسة، له شرح ألفية ابن مالك.

١٩٤. **منصور المرهون**، الشيخ منصور بن علي محمد المرهون القطيفي (ت ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م)، له القواعد العربية.

١٩٥. **مهدي أبو الكابو**، السيد مهدي بن محمد بن حسن الموسوي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م) من العلماء الأجلاء ومشاهير أدباء العراق، له أرجوزة في المعاني والبيان.

١٩٦. **مهدي التفريشي**، السيد مهدي بن مصطفى بن حسن الحسيني التفريشي (ت ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، فقيه مجتهد وعالم مشارك، له: البديعية في شرح ألفية ابن مالك.

١٩٧. **مهدي الخالصي**، الشيخ مهدي بن محمد حسين بن عبد العزيز الخالصي (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، قال السيد الأصفهاني في (أحسن الوديعه ٢٧١): من أكابر العلماء المجتهدين وأفاضل الفقهاء البارعين ومن مراجع التقليد والفتيا، له منظومات في علوم العربية.

١٩٨. **مهدي السويج**، السيد مهدي بن محمد السويج، من مشاهير خطباء المنبر الحسيني، والمؤلفين الكثيرين، تخرّج في الحوزة العلمية في النجف، له: الستائة المهدية في الحذف والتقدير في الدروس النحوية والصرفية.

١٩٩. **مهدي المخزومي**: الدكتور مهدي بن صالح بن حسن آل زايددهام الشهير بـ(المخزومي) (ت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، قرأ مقدمات الدرس الحوزوي من الصرف والنحو والبلاغة والمنطق ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه في النجف الأشرف، ثم التحق بكلية الآداب - جامعة القاهرة، وتخرّج فيها بدرجة دكتوراه في اللغة العربية، وعين أستاذاً بجامعة بغداد، كما قام بالتدريس في جامعة الرياض، ويعدّ -في ضوء ما قدم من نتاج علمي في النحو العربي- من أعلام النحاة العرب، ومن المجددين للفكر النحوي

في هذا العصر، له من الآثار النحوية (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه)، (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو).

٢٠٠. **نصر الله المدرس**، الشيخ نصر الله بن عبد الغفار المدرس (ت ١٢٩١هـ/

١٨٧٤م)، عالم أديب ومؤلف محقق، له: كتاب في العروض والقافية.

٢٠١. **نعمة الساعدي**، الشيخ نعمة بن هادي الساعدي، تخرّج في كلية الفقه وفي

حوزة النجف العلمية، وعيّن مدرساً في التعليم الثانوي العراقي، وهو من العلماء الفضلاء والمؤلفين المحققين، له: شرح منظومة ابن الحاجب في الأسماء المؤنثة الساعية.

٢٠٢. **نور الدين الجزائري**، الشيخ نور الدين بن محمد صالح بن هادي الجزائري،

من العلماء الأدباء، له كتاب في اللغة، النحو في الخيال.

٢٠٣. **هادي الأشكوري**، السيد هادي بن حسين بن عباس الحسيني الاشكوري

(ت ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، قال الدكتور الأميني في (الرجال ٢ / ١٢٦): من

أهل الفضل والفضيلة المرموقين والكتّاب المؤلفين، له: الإفاضات الغروية في معرفة اللغة العربية.

٢٠٤. **هادي آل كاشف الغطاء**، الشيخ هادي بن عباس بن علي آل كاشف الغطاء

(ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، قال الشيخ محبوبه في (ماضي النجف ٣ / ٢١٠):

أحد أعلام النجف... له مودّة أكيدة، وصحبة صادقة مع أعلام الأدب

كالشيخ آغا رضا الأصفهاني والشيخ جواد الشبيبي والشيخ عبد الحسين آل

صاحب الجواهر والسيد جعفر الحليّ، ودارت بينهم المباريات في الشعر

والمكاتبات، وجلها مدونة، تشهد بتضلعه في اللغة والأدب له: نظم الزهر

لنشر القطر.

٢٠٥. **هادي كمال الدين**، السيد هادي بن حمد بن فاضل كمال الدين، عالم أديب وصحافي كاتب، اشتهر بتضلعه في علوم اللغة العبية وآدابها، له: تحفة الحضر والإعراب في علم النحو والإعراب.

٢٠٦. **هاشم الحائري**، السيد هاشم بن جواد بن مهدي الحائري (ت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، قال الدكتور الأميني في (الرجال ١/ ١٤٦): عالم جليل مجتهد، فاضل نحوي متتبع مؤلف ورع خير ثقة صالح. له: علوم العربية في النحو والصرف وشواهد النحو.

٢٠٧. **هاشم الخاتون آبادي**، السيد هاشم بن محمد حسين بن محمد رضا الخاتون آبادي (ت ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)، من العلماء الأفاضل والأساتذة المعروفين، له فروق الكلمات.

٢٠٨. **هاشم شلاش**، الأستاذ هاشم بن طه آل شلاش، من أساتذة اللغة والأدب البارزين، له: أوزان الأفعال ومعانيها.

٢٠٩. **يوسف الأزري**، الشيخ يوسف بن محمد بن مراد الأزري (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، من العلماء الأدباء الذين عرفوا بتخصصهم في علوم العربية، له: النخبة في النحو، شرح النخبة (وهو شرح لكتابه المذكور قبله).



مصادر البحث ومراجعته

١. أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي. دراسة ومراجعة د. نصير الكعبي. ط ١. منشورات المركز الأكاديمي للأبحاث. النجف الأشرف. توزيع منشورات الجمل. ٢٠١١ م.
٢. الأحلام. الشيخ علي الشرقي. موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية. القسم الرابع. جمع وتحقيق موسى الكرباسي. مطبعة العمال المركزية. بغداد. جمهورية العراق. ١٩٩١ م.
٣. الأديان والمذاهب بالعراق. رشيد الخيون. ط ٢. منشورات الجمل. ألمانيا. ٢٠٠٧ م.
٤. أعلام نجفيون. دراسات في اللغة والنحو والأدب. د. نعمة رحيم العزاوي. ط ١. جمعية منتدى النشر. النجف الأشرف. العراق. ٢٠١٢ م.
٥. أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين. ط ٥. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. لبنان. ١٩٩٨ م.
٦. آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين. تأشيرات في حياته وآفاق فكره وعمله. أحد طلاب مدرسته الفكرية والأدبية. (السيد عدنان البكاء). ط ١. النجف الأشرف. العراق. ١٤١٩ هـ.
٧. بين النجف وجبل عامل (١) هاني فحص. الأسبوعية. مؤسسة خندان للبحث والنشر. العدد ١٩٨. ١١-١٧ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١١ م. بغداد. العراق.

٨. تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧ م. عبد الرزاق الهلالي. ط ١. شركة الطبع والنشر الأهلية. بغداد. العراق. ١٩٥٩ م.
٩. تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي. مطبوعات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي العراقي. بغداد. العراق.
١٠. تذكرة الأعيان. الشيخ جعفر السبحاني. ط ١. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام. إيران. قم. ١٤١٩ هـ.
١١. تهذيب الأحكام. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. ط ٤. تحقيق حسن الخرسان. دار الكتب الإسلامية. قم المقدسة. إيران. ١٣٦٥ هجري شمسي.
١٢. الجذر الحضاري لإقليم الكوفة والسؤال الفلسفي / العربي الإسلامي. د. علي حسين الجابري. حولية الكوفة. العدد الأول. أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقه به. ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
١٣. الحياة الفكرية في النجف الأشرف (١٣٤٠-١٣٦٤ هجرية، ١٩٢١-١٩٤٥ م). د. محمد باقر أحمد البهادلي. ط ١. المطبعة ستارة. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٤٢٥ هجرية / ٢٠٠٤ م.
١٤. الحيرة أول عاصمة لحضارة العرب. د. عبد المعطي حسن الخفاف. مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة. ١٤٣٠ / ٢٠٠٩ م.
١٥. الحيرة المدينة والمملكة العربية. يوسف رزق الله غنيمه. مطبعة دنكور الحديثة. بغداد. العراق. ١٩٣٦ م.
١٦. الحيرة وشعراؤها. بحث. عبد الحميد أفندي الدجيلي. مجلة الاعتدال. العدد الثامن. السنة الأولى. أيلول. ١٩٣٣ م. النجف الأشرف. العراق.

١٧. خصائص الأئمة محمد بن الحسين الموسوي المعروف بـ(الشريف الرضي). تحقيق محمد هادي الأميني. مجمع البحوث الإسلامية التابع للأستانة الرضوية. مشهد المقدسة. إيران. ١٤٠٦ هجرية.
١٨. دائرة المعارف الإسلامية. الخيرة. الجزء الثامن. طبعة مصر.
١٩. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية. حسن الأمين. ط ٥. دار التعارف للمطبوعات. بيروت. لبنان. ١٤١٨ هجرية - ١٩٩٨ م.
٢٠. دراسة تحليلية تخطيطية للمحافظة على المركز التاريخي والحضاري لمدينة النجف الأشرف. د. المهندس حيدر عبد الرزاق كمونة. بحث. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكنز المعارف والعلوم. مركز دراسات الكوفة. جامعة الكوفة. النجف الأشرف. العراق ١٤٣١ هجرية / ٢٠١٠ م.
٢١. الديوان. د. السيد مصطفى جمال الدين. ط ١. دار المؤرخ العربي. بيروت. لبنان. ١٤١٥ هجرية / ١٩٩٥ م.
٢٢. رجال السيد بحر العلوم. السيد محمد صادق بحر العلوم. ط ١. مكتبة الصادق. طهران. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٣٦٣ هجري. شمسي.
٢٣. رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب. ميهاي فضل الله الحداد. ترجمة ثائر صالح.
٢٤. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. المحقق الحلي أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن. تحقيق وإخراج وتعليق عبد الحسين محمد علي. الطبعة المحققة الثانية. دار الأضواء. بيروت. لبنان. ١٩٨٣ م.
٢٥. شرح نهج البلاغة. عبد الحميد المدائني المعروف بـ(ابن أبي الحديد). تحقيق

- محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
٢٦. شيعة العراق. إسحاق نقاش. الطبعة العربية الأولى. ترجمة عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت. لبنان. ١٩٩٢ م.
٢٧. العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. تحقيق الدكتور جودت القزويني. ط ١. بيروت. لبنان. ١٩٩٨ م.
٢٨. عروبة المتنبي. الشيخ علي الشرقي. بحث. مجلة الاعتدال. العدد الثاني. السنة الرابعة. آذار ١٩٣٧. النجف الأشرف. العراق.
٢٩. على ضفاف دجلة والفرات. الليدي درور. ترجمة فؤاد جميل. ط ١. دار الوراق للنشر المحدودة. لندن ولبنان. ٢٠٠٨ م.
٣٠. علي الشرقي شاعر الطليعة المتحررة. غائب طعمة فرمان. مجلة الاعتدال. العدد العاشر. السنة السادسة. ١٩٤٨ م. النجف الأشرف. العراق.
٣١. العمارة والأختام والرسوم في المواقع الأثرية القديمة. أ. د. جواد مطر الموسوي. ط ١. الموسوعة الثقافية. دار الشؤون الثقافية. بغداد. جمهورية العراق. ٢٠١٠ م.
٣٢. الغابة العذراء دراسات في الشعر النجفي الحديث. إعداد: حامد المؤمن. ط ١. بغداد. العراق ١٩٩٩ م.
٣٣. فضل الكوفة وفضل أهلها. محمد بن علي العلوي الحسني الكوفي. تحقيق محمد سعيد الطريحي. ط ٣. منشورات أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به. الإصدار الأول. ٢٠٠٩ م.
٣٤. كتاب الجمل وصفين والنهروان. أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي.

جمعه وحققه حسن حميد السنيدي. ط ١. مؤسسة دار الإسلام. المملكة المتحدة. لندن: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٣٥. كربلاء في الإرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠ - ١٨٧٦م). ديلك قايا. إشراف وتقديم أ. د. زكريا قورشون. ط ١. الدار العربية للموسوعات. بيروت. لبنان. ٢٠٠٨م.

٣٦. الكوفة وأهلها في صدر الإسلام. دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم. د. صالح احمد العلي. ط ١. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ٢٠٠٣م.

٣٧. الكوفة ويوم التاج / ١. الحاج عبد المحسن شلاش. بحث. مجلة الاعتدال النجفية. العدد الخامس. السنة الثانية. تشرين الأول. ١٩٣٤م.

٣٨. الكوفة ويوم التاج / ٣. الحاج عبد المحسن شلاش. بحث. مجلة الاعتدال النجفية. العدد السابع. السنة الثانية. كانون الأول. ١٩٣٤م.

٣٩. لوحة الصلابة في المبدأ عند العرب. الشيخ علي الشرقي. مجلة الاعتدال. العدد السابع. السنة الثالثة. ١٩٣٥م. النجف الأشرف. العراق. ١٩٣٥م.

٤٠. مجلة كلية الآداب. كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد الخامس لسنة ١٩٦٢م.

٤١. مجلة كلية الفقه. كلية الفقه. جامعة الكوفة. العدد العاشر السنة الخامسة. ١٤٣١ هجرية / ٢٠١٠م.

٤٢. المجموعات الخطية ودورها في حفظ الأدب النجفي مجموعة السيد جعفر الخرسان أنموذجا. بحث. د. علي خضير حجي. النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية وكنز المعارف والعلوم. مركز دراسات الكوفة. الجزء

- الأول. جامعة الكوفة. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣١ هجرية / ٢٠١٠ م.
٤٣. محنة الأهوار والصمت العربي. الدكتور السيد مصطفى جمال الدين. ط ١. لندن. المملكة المتحدة. ١٩٩٣ م.
٤٤. المدارس الدينية في النجف الأشرف. تاريخ وتطور. حسين جهاد الحساني. ط ١. مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي. النجف الأشرف. العراق. من دون ذكر سنة الطبع.
٤٥. المدارس القديمة والحديثة في النجف. الشيخ محمد الخليلي. ط ١. النجف الأشرف. العراق.
٤٦. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحوية. د. مهدي المخزومي ط ٣. دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. ١٩٨٦.
٤٧. المفصل في تاريخ النجف الأشرف. د. حسن عيسى الحكيم. ط ١. المكتبة الحيدرية. قم المقدسة. إيران. ٢٠٠٦ م، و ٢٠٠٩ م.
٤٨. مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد. السيد هاشم الميلاني. ط ١. العتبة العلوية المقدسة. ١٤٢٩ / ٢٠٠٨ م.
٤٩. ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة. د. نزار عبد اللطيف الحديثي. حولية الكوفة. العدد ٢. أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
٥٠. منطقة الحيرة. دراسة طبوغرافية مستندة على المصادر الأدبية. د. صالح أحمد العلي. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد الخامس. مطبعة العاني. بغداد. العراق. ١٩٦٢ م.

٥١. موسوعة العتبات المقدسة. قسم النجف. جعفر الخليلي. ط ١. دار التعارف. بغداد. العراق. ١٣٨٦ هجرية / ١٩٦٦ م.
٥٢. موسوعة النجف الأشرف. جمع بحوثها جعفر الخليلي. الطبعة الأولى. دار الأضواء. بيروت. لبنان. ١٤١٥ هجرية / ١٩٩٥ م. و ١٩٩٧ م.
٥٣. النجف وطبقات شعرائها. بحث. الشيخ محمد رضا الشيباني. مجلة الاعتدال. العدد الرابع. السنة الثانية. ١٩٣٤ م. النجف الأشرف. العراق.
٥٤. النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ م. محمد علي كمال الدين. تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري. ط ١. دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ودار المواهب للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
٥٥. نشأة المدينة العربية الإسلامية. هشام حطيظ. ط ٣. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ٢٠٠٥ م.
٥٦. نهج البلاغة. للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. مكتبة الروضة الحيدرية. تحقيق السيد هاشم الميلاني. النجف الأشرف. العراق. ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
٥٧. هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي. منشورات الشريف الرضي. قم. إيران.
- وهناك مصادر أخرى لا مجال لذكرها هنا.



الفهرست

الديباجة..... ٥

تمهيد..... ١٣

الفصل الأول: العمق الحضاري والأرضية الثقافية للبيئة الحاضنة..... ١٥

المبحث الأول: العمق الحضاري للنجف الأشرف قبل الإسلام وبعده..... ١٧

المطلب الأول: وحدة المثلث الحضاري (الخيرة - الكوفة - النجف الأشرف) .. ١٧

المطلب الثاني: العمق العربي لمدرسة النجف قبل الإسلام..... ٢١

المطلب الثالث: مدرسة النجف الأشرف وريثة مدرستي الكوفة اللغوية والشرعية

في العصر الإسلامي..... ٣١

المبحث الثاني: الأرضية الثقافية المشكّلة للبيئة العربية الحاضنة (المكتبات والدوريات

أنموذجاً)..... ٥٥

المطلب الأول: مكتبات النجف الأشرف العامة والخاصة قديماً وحديثاً..... ٥٥

تمهيد..... ٥٥

١. المكتبات الأهلية العامة في النجف الأشرف قبل عام (٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ) .. ٥٧

٢. ازدياد وتوسع نشاط المكتبات الأهلية العامة في النجف الأشرف بعد عام

(٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ)..... ٦٢

٣. المكتبات الخاصة في النجف الأشرف قديماً وحديثاً..... ٦٦

٤. المكتبات التجارية في النجف الأشرف..... ٦٨

٥. صرعى الكتب والمكتبات في النجف الأشرف..... ٦٩

٦. بعض من نوادر صرعى الكتب في النجف الأشرف..... ٧١

- ٧٧ **المطلب الثاني: الدوريات**
- ٧٧ **توطئة: انفتاح النجف الأشرف على الثقافة الحديثة مبكراً**
١. الصحف والمجلات الفكرية الصادرة في النجف الأشرف قبل (٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ) ٨٢
٢. الدوريات الصادرة في النجف الأشرف للفترة من (٢٠٠٣-٢٠١٠م/ ١٤٢٤هـ - ١٤٣١هـ) ٨٢



- ٨٥ **الفصل الثاني: الذائقة الشعرية للبيئة الحاضرة**
- ٨٧ **المبحث الأول: ولع النجفيين بأدب اللغة العربية عامة والشعر منها خاصة**
- أولاً: كثرة أعداد المجالس العلمية الأدبية وكثرة ما ينشد فيها من شعر ٩٣
- ثانياً: بعض من تأثير المجالس النجفية على روادها ٩٧
- ثالثاً: بعض مصادر توثيق مجالس النجف الأشرف ١٠٦
- رابعاً: الجمعيات الأدبية والفكرية في النجف ١٠٧
- خامساً: الجامعات الشعرية ١٠٨
- سادساً: هيام النجفيين بتقنية الشعر ١١٠
- سابعاً: منزلة الشاعر عند النجفيين ١١٣
- ١١٦ **المبحث الثاني: كثرة أعداد شعراء النجف الأشرف ماضياً وحاضراً**
- ١٢٠ **المبحث الثالث: من عوامل وأسباب نشاط الحركة الأدبية في النجف الأشرف**
- أولاً: الخلفية التاريخية الفكرية لمدينة النجف الأشرف ١٢٠
- ثانياً: مصادر الفكر الشيعي الثرية ١٢٠
- ثالثاً: الجذور العلمية والأدبية للأسر النجفية عامة ١٢١
- رابعاً: طباع النجفيين العربية الأصيلة وفي مقدمتها الكرم الباذخ ١٢٢
- خامساً: زحف القبائل العربية على النجف الأشرف وتوطنها فيه ١٣٠

سادساً: تنشئة المجتمع النجفي لأبنائه وتدريبهم على تذوق الأدب..... ١٣٤

سابعاً: حب النجفيين للاجتماع والمجالسة والأدب..... ١٣٥

الفصل الثالث: الحوزة والشعر العربي..... ١٣٧

التمهيد..... ١٣٩

المبحث الأول: جملة من أسباب إيلاء حوزة النجف الأشرف الأهمية الكبرى للغة

العربية وآدابها وفنونها..... ١٤١

المبحث الثاني: اهتمام حوزة النجف الأشرف بالأدب العربي عامة وبالشعر خاصة في

القرن الثالث عشر الهجري وما بعده..... ١٤٥

المبحث الثالث: اهتمام الحوزويين بالأدب العربي عامة والشعر منه خاصة في القرن

الرابع عشر الهجري..... ١٧٤

المبحث الرابع: اهتمام العلماء بالأدب العربي وخاصة الشعر منه في القرن الخامس عشر

الهجري..... ٢٠٨

المبحث الخامس: أنشطة أخرى تدل على اهتمام علماء الحوزة بتنشيط الروح الأدبية

لطلابها..... ٢٢٣

الفصل الرابع: دور الحوزة في حفظ وحراسة لغة القرآن الكريم..... ٢٣٣

أولاً: حوزة النجف الأشرف حاضنة اللغة العربية وحاميتها من محاولات التتريك

والعجمة..... ٢٣٥

ثانياً: منهج الحوزة الدراسي ولغة التدريس الحوزوية باللغة العربية..... ٢٣٨

ثالثاً: تعريب الحوزة لطلابها الوافدين من غير العرب..... ٢٤٠

رابعاً: الحوزويون النجفيون من غير العرب ينظمون الشعر العربي..... ٢٤٤

خامساً: الطلاب العائدون من حوزة النجف يسعون لإعادة إنتاج ما يشبه حوزة النجف

- في بلدانهم..... ٢٥٩
- سادساً: حوزة النجف الأشرف تنشر العلوم باللغة العربية في مدن العراق عامة ... ٢٦١
- سابعاً: العثمانيون ومحاولاتهم الحثيثة لتتريك العراقيين وتحويل لغتهم العربية إلى التركية..... ٢٦٣
- ثامناً: جهود حوزة النجف الأشرف في إفشال مشروع التتريك العثماني..... ٢٦٨

- الفصل الخامس: دور حوزة النجف الأشرف في ريادة وتطوير علوم اللغة العربية ... ٢٧٣

- الخاتمة..... ٢٨٩

- الملحق: علماء الدرس اللغوي في النجف الأشرف للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي..... ٢٩١

- مصادر البحث ومراجعته..... ٣٣٥

- الفهرست..... ٣٤٣



المؤلف في سطور

« ولد الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم في النجف الأشرف سنة ١٩٤٩م، وتلقى تعليمه الأولي في الحوزة العلمية، ثم تخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف سنة (١٩٧٠م)، ليكمل دراسته العليا فينال بها شهادة الدكتوراه من لندن، ثم ليحاضر في إحدى جامعاتها ثماني سنوات.

« اعتقل من قبل أجهزة النظام البائد مع العشرات من أفراد أسرته (آل الحكيم) أكثر من ثماني سنوات، ابتداء من سنة (١٩٨٣ - ١٩٩١م)، متنقلا بين زنازين مديرية الأمن العامة، والانفرادي، وقسم الأحكام الخاصة المغلقة في سجن أبي غريب.

« اختير من قبل المرجعية الدينية العليا، ففاض بعضوية (الجمعية الوطنية العراقية)، و(لجنة كتابة الدستور العراقي)، وكتب ديباجة الدستور.

« انتخب عضوا في مجلس النواب العراقي لدورتين متتاليتين ابتداء من سنة (٢٠١٠ - ٢٠١٨ م).

« باحث وشاعر . من كتبه المطبوعة: (النجف الأشرف وحوزتها في سبعة أجزاء)، (قيادة المرجعية الدينية لثورة العشرين)، (دستور حوزة النجف الأشرف)، (عقد التأمين حقيقته ومشروعيته)، (وردة حب الله - شعر)، (تراثيل في أحباب الله - شعر)، (الفتاوى الميسرة)، و(الفقه للمغتربين)، و(الميسر في الحج والعمرة) ثلاثتها وفق فتاوى المرجع الأعلى سماحة السيد السيستاني (دام ظله).

« ترجمت بعض كتبه الى اللغات الحية. كالإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والأسبانية، والروسية، والهولندية، والأندونيسية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والسواحيلية، وغيرها.

